المملكة العربية السعودية

جامعة الملك فيصل

كلية التربية

اللغة العربية/ أدب ونقد

شعر
عبد الرحمن بن عثمان آل ملا
دراسة موضوعية وفنية

رسالة علمية تكميلية مقدمة لنيل درجة الماجستير
في الأدب والنقد

إعداد الطالب

عبد الرحمن خليفة الملحم

إشراف الدكتور

محمد عبد الله عباس

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية ـ كلية التربية ـ جامعة الملك فيصل

١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م

المقدمة

نقرأ كثيرا في تاريخ الأدب أن شاعراً ما ذاع صيته، وأن الغبار نُفِضَ عن آثاره بعد عشرات السنين، ثم يظهر لنا بعد ذلك أن الشاعر فحل من الفحول، ولا يقل شأنا عن شعراء معاصرين له طبق ذكرهم الآفاق.

وعند التأمل في ظاهرة عدم بروز الشاعر نجد أن لها أسباباً متعددة ومتداخلة، منها: أن الشاعر كان نفوراً من الناس، أو أنه غير مداح ولا يقف على أبواب ذوي العطايا والسلطان، أو أنه مع جودة شعره يفتقر إلى من يروي شعره ويذيعه.

ولقد صادفني وأنا أبحث في الشعر المعاصر في الأحساء أن عثرت على ديوان شعر لشاعر معاصر، فقد بصره في السنة الخامسة من عمره ،إثر إصابته بالرمد الصديدي ؛ وهذه الإصابة لم تقلل من إصراره على مواصلته التحصيل العلمي وممارسة الكتابة ونظم الشعر، وقد قيض الله لشعره أن يجمع ويعتنى به، وعندما قرأته وجدت فيه ما يستحق الدراسة والبحث، بل ما هو جدير بالتحليل والنقد، ولقد مضت عزيمتي على أن أجعل من شعر عبدالرحمن بن عثمان آل ملا مادة بحث أتقدم بها لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد.

وتتمثل أهمية هذه الدراسة في أكثر من جانب، أهمها:

الجانب الأول: أنه لم يدرس في بحث أكاديمي ولم يعالجه أحد من الدارسين في كتاب مستقل.

الجانب الثاني: أن الشاعر لا يقل في جودة شعره عن الشعراء المعاصرين الذين كان الحظ حليفهم بالعناية والبحث والدراسة.

الجانب الثالث: أن الشاعر تطرق في ديوانه لأكثر أغراض الشعر وفنونه، مما يجعل هذه الدراسة تثري المكتبة الأدبية والدارسين.

الجانب الرابع: أن للشاعر مطولة تربو على أربعمائة بيت تناول فيها أحوال الناس ومواقفهم، وعما تقوم عليه العلاقات بينهم من العادات العقيمة والممارسات السقيمة، وقد تخللتها حكم كثيرة زادت من جمال هذه المطولة وأعطتها حيوية وروعة.

الجانب الخامس: اتصف ديوان الشاعر بذكر أسماء كثير من المواضع والبقاع والبلدان ،وكثير من شخصيات التاريخ، وهو بذلك يشبه الشعر القديم.

الجانب السادس: أسهم الشاعر في مجال الشعر المسرحي، وهذا الإسهام يعطيه تميزا واضحا عن غيره من شعراء هذا العصر.

الجانب السابع: أن الشاعر فقد بصره في سن مبكرة وهذا يعطي الصورة الشعرية لديه تميزا واضحا.

وقد جاء البحث مقسما إلى:

●**مقدمة**: وبينت فيها أهمية اختيار البحث، والدافع إليه وخطته.

●**تمهيد**: وتحدثت فيه عن حياة الشاعر ومؤلفاته، شعرا ونثرا، وشخصيته وفلسفته، وبراعته وشاعريته.

●**الفصل الأول**: وجاء بعنوان اتجاهاته الشعرية وتناولنا فيه أغراض شعره، وهي:

- الشعر الاجتماعي.
- شعر المناسبات والإخوانيات.

- الشعر الإسلامي.

- شعر التأمل والحكمة.

- شعر الطبيعة.

- الشعر السياسي.

● **الفصل الثاني**: المسرحية الشعرية.

● **الفصل الثالث**: وجاء عنوانه الدراسة الفنية، وتناولنا :

اللغة والأسلوب.

الصورة .

الصورة الحسية.

الصورة البصرية.

الصورة السمعية.

الصورة الشمية.

الصورة الذوقية.

الصورة اللمسية.

الصورة الممزوجة.

الصورة المعنوية.

الخيال.

الرمز.

التجربة الشعرية.

المعاني والأفكار بين التقليد والتجديد.

الوحدة الموضوعية والفنية.

الموسيقى الشعرية.

١- الموسيقى الداخلية.

٢- الموسيقى الخارجية.

- الخاتمة: وتحدثنا فيها عن نتائج البحث.
- فهرس المراجع.
- الفهرس العام.

وفي الختام أسأل الله التوفيق والسداد في الوصول إلى ما أرنو إليه من هذه الدراسة، فإن كان فيها توفيق وسداد فمن الله وحده، وإن كان فيها تقصير فمني ومن الشيطان، فما هي إلا جهد بذلته، واجتهاد قدمته، وما كان لهذه الرسالة من نقد وتوجيه من أساتذتي الكرام، فسوف أنتفع به، وألتزم به، إن شاء الله.

كما أنني أقدم شكري لكل من كان له دور في إعداد هذه الرسالة، سواء بالإرشاد أو بالمساعدة في الحصول على المراجع، أو التوجيه، كما أشكر السادة الدكاترة الذين تفضلوا بمناقشة خطة البحث أثناء التسجيل.

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من الدكتور/ ظافر عبدالله الشهري رئيس القسم، والدكتور محمد عبدالله عباس المشرف على الرسالة، لدورهما المشكور في التوجيه والإرشاد، مما ساعد على انجاز هذا العمل ،سائلا المولى أن يجزي الجميع خير الجزاء.

} [illegible]

[illegible]

[illegible] فَانْصُرْنَا

[illegible][1] { صدق الله العظيم.

ـــ

(١) سورة البقرة، الآية٢٨٦.

التمهيـــــد

- **حياة عبدالرحمن آل ملا .**
- آثــــاره .
- شخصيته.
- بواعث شاعريته.

حياته:

عبد الرحمن بن عثمان بن محمد آل ملا، من أسرة آل ملا المعروفة في الأوساط العلمية والأدبية بكثرة من أنجبت من العلماء عبر القرون الخمسة الماضية، وأسرة آل ملا أسرة عالمة أكثر منها شاعرة، وقد عُرِفَ علماؤها بعدم الاهتمام بالشعر، بل كانوا يوصون أبناءهم بتركه، حتى لا يشغلهم عن طلب العلم، ومع ذلك فقد روي عن غالبيتهم وامتد في بعض ذريّاتهم، ولكنهم لم يهتموا بنشره فظل حبيس المخطوطات [١].

وكان لرباط [٢] أبي بكر بن عبد الله آل ملا [٣] دور أدبي بارز خلال القرن الرابع عشر، حتى أنه كان يتحول ليلاً إلى نادٍ أدبي تقام فيه المساجلات والمسامرات الثقافية بين الطلاب؛ وكان الشيخ أبو بكر آل ملا يحب الاجتماع بهؤلاء الطلبة ويستمع إليهم، وقد كان لهذا الأمر تأثير على شباب الأسرة ممن يحضر هذه الجلسات، ومنهم الشاعر عبد الرحمن آل ملا، بل كان لجده أبي بكر بن محمد الذي تنسب إليه الأسرة جلسات مشابهة تنشد فيها القصائد [٤]. يشير إليها أحد جلسائه من العلماء، حيث يقول [٥]:

---

(١) إحدى اللقاءات مع الشاعر في ذي القعدة ١٤٢٧هـ.

(٢) الرباط هو مدرسة ، وقسم للوافدين، كان قبل خمسة وأربعين عاما شعلة ثقافية، وكان يزوره العلماء من خارج الأحساء،وكانوا يقيمون فيه، إضافة إلى طلبة العلم..انظر لقاء مع الشاعر، المجلة العربية عدد ٣٢١، ٢٨ شوال ،١٤٢٤هـ.

(٣) ولد عام ١٢٨٠هـ في الأحساء وتعلم فيها، وتوفي سنة ١٣٦٦هـ. انظر شخصيات رائدة من بلادي، معاذ عبدالله المبارك،ص١٦، الدار الوطنية الجديدة ،الخبر،ط١ ،١٤٢٠هـ،

(٤) المجلة العربية،عدد ٣٢١، ٢٨ شوال، ١٤٢٤هـ.

(٥) تاريخ نجد للآلوسي، تحقيق محمد بهجت الأثري، ص ٣٥،مكتبة الثقافة الدينية، دار المصري للطباعة، القاهرة،ط.ب،ت. ب. والقصيدة للشاعر عبد الله بن محمد بن عثمان.

وإذا شددنا للرحيل رواحلاً قصداً إليك فذاك عيدُ

ونعد من خير المطاعم زادنا ومن الشراب كؤوس بن تسعد

ويرى لنا منا اجتماع خير حا دٍ دونه إسحاق فيما ينشد[1]

ومتى اقترحناه الذي نهواه من نغماته يسمح ولا يتردد

وممن قال الشعر منهم، عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله (١٣٥٢ -١٣٥٣هـ) ومحمد بن أبي بكر (ت ١٣٩٥هـ)،وعبد الرحمن بن أبي بكر آل أبي بكر آل ملا وغيرهم [2] .

وقد ولد عبد الرحمن بن عثمان آل ملا في صفر من سنة ١٣٥٩هـ، بمحلة الرويضة من حي الكوت [3] مقر سكن أسرته، وفيها كانت نشأته، فقد الشاعر بصره وهو في السنة الخامسة من عمره، إثر إصابته بالرمد الصديدي، ولم يحد ذلك من إصراره على مواصلة تحصيله العلمي ،وممارسته للكتابة ونظم الشعر، ألحقه والده لحفظ القرآن بعدد من الكتاتيب، ككتاب الشيخ أحمد القرين، والشيخ علي اليماني وغيرهما.

ومما تجدر الإشارة إليه،أن الشاعر لم يجد في الكتاتيب ما يروي ظمأه للمعرفة،فضاق ذرعاً بها وبما يتبع فيها من أساليب التعليم،فصار يختلف إلى امرأة كفيفة صالحة تتقن حفظ القرآن الكريم وتجويده، فأتم على يدها

---

(١) أبو محمد إسحق بن إبراهيم الموصلي، من أشهر المغنين في العصر العباسي. انظر نهاية الأرب في فنون الأدب ،ج٢،ص١،شهاب الدين النويري،وزارة الثقافة والإرشاد القومي،مصر،ط. ب، (د.ت).

(٢)الشعر الحديث في الأحساء ١٣٠١هـ -١٤٠٠هـ،د.خالد الحليبي،نادي المنطقة الشرقية الأدبي ص٩١ -٩٣ ،ط١،١٤٢٢هـ .

(٣) الكوت بضم أوله، كلمة غير عربية، وتعني الحصن، وربما تكون الكلمة برتغالية على الأغلب، وهي مقر الإمارة لبلدة الهفوف.الموسوعة الجغرافية لشرق البلاد العربية السعودية، عبدالرحمن العبيد، ص٢٠٥. نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ط١، ١٤١٣هـ.

حفظ القرآن الكريم في السنة الثانية عشرة من عمره.

كما أخذ مبادئ النحو والصرف عن الشيخ عبد المحسن الحوراني، أحد خريجي الأزهر المستقدمين للتعليم بالمملكة، وفي سنة ١٣٧٤هـ، التحق بالمعهد العلمي القسم الثانوي؛ حيث حصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية سنة ١٣٨١هـ، وكان خلال هذه الدراسة يُنظّم في الإجازة الصيفية - احتساباً- حلقة يُدرسُ فيها مبادئ العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية لكل من يرغب في الالتحاق بالمعهد العلمي، وليس لديه المؤهلات اللازمة للقبول فيه.

وكانت تلك الحلقات تعقد بإحدى المدارس الخيرية في الكوت، يساعده في ذلك محمد عبد الرحمن بن سعيد الجلال. وممن استفاد من تلك الفرصة التعليمية الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل ملا رئيس المحكمة المستعجلة بمدينة المبرز، والشيخ أحمد بن عبد اللطيف السالم، وغيرهما كثير.

وقد واصل عبد الرحمن آل ملا تعليمه الجامعي ليحصل على الليسانس في اللغة العربية، من كلية اللغة العربية بالرياض سنة ١٣٨٥هـ، وفي السنة ذاتها وجهّه سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ للعمل بوزارة الأوقاف، ولأن النظر في القضايا الشرعية لا يدخل في مجال تخصصه، فقد تمكن بعد جهد من إقناع الشيخ بعدم رغبته في مزاولة ذلك العمل، ومن ثم انتظم في سلك التدريس بوزارة المعارف، وفي سنة ١٣٩٦هـ توجه إلى القاهرة للدراسة بها ضمن بعثة دراسية أوفدتها إلى هناك وزارة المعارف، ليحصل على دبلوم في التربية الخاصة.

وكان الشاعر شغوفا بمطالعة الكتب في مختلف العلوم والآداب، وتذوق الشعر ونظمه منذ نعومة أظفاره، وكان دائم المتابعة للحركة الفكرية وذلك

في رباط الشيخ أبي بكر؛ مما مكنه من المشاركة الفعالة في النادي الأدبي بالمعهد العلمي فور التحاقه به.

ونُشِرَت بعض بواكير قصائده في المجلة التي أصدرها نادي المعهد العلمي بعنوان (هجر)، وطبعت في بيروت عام ١٣٧٥هـ.

وحصل على التقاعد المبكر سنة ١٤١٤هـ بناء على طلبه، وهو الآن عضو الجمعية التاريخية السعودية، وعضو جمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون الخليجي، وعضو الجمعية العلمية السعودية للأدب العربي، وعضو مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز بالرياض، وعضو إدارة مركز الترجمة و التأليف والنشر بجامعة الملك فيصل [(١)]،ورئيس النادي الأدبي بمحافظة الأحساء.

مؤلفاته:

أ- شعـــــره:

١- ديوان شعر بعنوان (أغاريد من الخليج) - مطبوع – الناشر الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع - الخبر- ١٤١٤هـ.

٢- وجوه ومرايا ،ديوان شعر طبع في مطابع الكفاح،الأحساء،ط١،١٤٢٦هـ.

ب - مؤلفاته الأخرى:

١ -كتاب في التاريخ من جزأين تحت عنوان (تاريخ هجر) دراسة حضارية شاملة في الحياة الطبيعية والعمرانية والاقتصادية والسياسية في الجزء الشرقي من شبه الجزيرة العربية (الأحساء -الكويت -البحرين وقطر في

---

(١) إحدى اللقاءات مع الشاعر في ذي الحجة ١٤٢٨هـ.

العصر الحديث) . الناشر مكتبة التعاون الثقافي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠ هـ،والطبعة ثانية ١٤١١هـ.

٢ -كتاب تاريخ الحركات الفكرية واتجاهاتها في شرق الجزيرة وعمان (مطبوع) الناشر الدار الوطنية للنشر والتوزيع –الخبر - ١٤١٦هـ.

٣ -تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية، الناشر مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين.

٤ -حركة التأليف والنشر في الأحساء والمنطقة الشرقية، من مطبوعات مركز الترجمة والتأليف والنشر بجامعة الملك فيصل سنة ١٤٢٢هـ.

٥ -شارك في كتاب آثار المنطقة الشرقية من سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، إصدار وكالة الآثار والمتاحف بوزارة التربية والتعليم.

٦ -عدد من المسرحيات التاريخية والاجتماعية تم تمثيل بعضها على مسارح المنطقة الشرقية في المملكة، وقد كان من أوائل من كتب المسرحية الشعرية في المملكة العربية السعودية، وأول من كتب المسرحية النثرية إنشاءً في المنطقة الشرقية، وقد كانت تقتصر من قبل على النقل من قصص التراث والوقائع التاريخية.

٧ -مجموعة من الموضوعات واللقاءات الأدبية والاجتماعية تم بثها عبر قنوات محطة التلفزيون السعودي، القناة الأولى، والقناة الإخبارية، وتلفزيون الشرق الأوسط (mbc)،ودار الإذاعة العربية بالرياض القناتين الأولى والثانية، مثل برامج: وللحديث صلة ،أرض الخليج، حديث السهرة، وغيرها.

٨ -قصائد مختلفة الأغراض نشرت في عدد من الصحف والمجلات، كمجلة

الجزيرة التي كانت تصدر من الرياض تحت إشراف الأديب عبدالله بن خميس.

٩ -وشارك في بعض الأمسيات الشعرية، وألقى طائفة من المحاضرات التاريخية والأدبية في عدد من المناسبات الثقافية بالجامعات وبعض المؤسسات الأكاديمية.

شخصيته :

تجدر الإشارة إلى أن الشاعر لم يكن بمعزل عن عصره وبيئته، إذ عاش أحداث زمانه، وألف طبيعة بيئته، وكان لذلك أثر واضح في تكوين شخصيته.

والمتأمل في شعر آل ملا يدرك أنه مثّل عصره بأحداثه خير تمثيل؛ فهو يصور أحداث عبور الجيش المصري للقناة و تحطيم خط بارليف [(١)]، يقول[(٢)]:

سطري مصر بالقنا والشباة	سيرة المجد والإبا والأباةِ
فإذا باطل اليهود هباء	وإذا النصر خافق الرايات
بددته مع الرغام(٣) رجال	عبروا نحوه الردى في ثبات
وتراءت لنا طيوف الأماني	من فلسطين رغم أنف الطغاة

فهو بذلك ابن بيئته يتأثر بها وينطبع بطابعها الخاص، ويرى ابن خلدون أن

---

(١) خط بارليف، تحصين عسكري إسرائيلي، تم بناؤه على طول شرق قناة السويس، وكان يعتقد أنه لا يمكن اختراقه، وفي يوم حرب الغفران تمكنت القوات المصرية من اجتيازه، ويتميز بارتفاع شاهق وانحدار شديد، انظر مجلة الوفاق عدد٢٣٢٢، الثلاثاء ٢٠٠٥/١٠/١١م. (مجلة تدوين رسمية).

(٢) أغاريد من الخليج ، عبد الرحمن آل ملا، ص١٠٦، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع ،الخبر ،ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

(٣) الرغام: التراب، انظر مختار الصحاح، أبو بكر الرازي ، مادة (رغم) ، ص٢٤٩، دار الجيل بيروت ،ط.ب، ١٤٠٧هـ.

الإنسان ابن عوائده ومألوفة ،والمرء يستطيع أن يعدل من شخصيته حسبما تتطلبه البيئة التي يعيش فيها [1].

وآل ملا نشأ وترعرع في منطقة الأحساء ذات الطبيعة الخلابة الجذابة، فطبعت هذه البيئة الشاعر بطابعها،وجعلته سهلاً في لفظه،رقيقاً في طبعه وواضحاً في معانيه.

وهو متابع كذلك لما يحدث في العالم الإسلامي بما في ذلك أرض البوسنة والهرسك، ولما يتعرض له المسلمون هناك من قتل وتعذيب وتشريد يقول [2]:

صرخـــة دوت بسمـــع العالـــم اجمعوا أشلاء شعب مسلـــم

استروهـــا بالثرى علّ لكـــم من بقايا الأجر ستر الحـــرم

لست أدعوكم إلى خوضِ وغـــى حسبكم جوداً حضـور المأتم

والبيت الأخير يصور أسلوب الشاعر،وشخصيته الساخرة في التعبير عن ألمه، وعن مرارة في نفسه مما يحدث في العالم الإسلامي من مآس ونكبات وأحداث مروعة ، وأسلوب السخرية عند الشاعر الكفيف سمة من سمات شعره يقول الدكتور عدنان العلي:(إن سخرية الكفيف نمط سلوكي مكثف، أو مفرط، لذا صار سمة من سمات شخصية الكفيف - في الغالب - حتى صارت عند الشاعر الكفيف غرضا شعريا مهما يتخلل الأغراض) [3].

ويقول أيضاً:

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ، عبدالرحمن بن خلدون،ص٤٠ وما بعدها ، الدار الذهبية القاهرة،(د.ب). (د..ت).

(٢) أغاريد من الخليج: ص ١٣٨.

(٣) شعر المكفوفين في العصر العباسي،د. عدنان عبيد العلي،ص٢١٩، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، (ط..ب)،١٩٩٩م.

يا لشعب ولغت في دمه   طغمة الصرب بدعم عالمي

والمتأمل في شعر آل ملا يلمس شخصيته الحزينة، ولكن حزنه هذا لم يكن يوماً على حاله، وإنما على حال الأمة الإسلامية، وما ألم بها من نكبات. يقول في ذلك مشركاً نفسه مع هموم أمتيه العربية والإسلامية ثائراً لهما [1]:

علمتني مأساة شعبي الصمودا   لا تسلني متى أموت شهيدا

إن لي قصة من الثأر باتت   خبراً راع في الأنام اليهودا

من جراحي ومن جراح رفاقي   ينسج المجد للنضال بنودا

ويتضح من الأبيات، استخدام الشاعر لضمير المتكلم بكثرة:(علمتني، شعبي، تسلني، أموت، أن لي قصة، من جراحي، رفاقي) مما يدل على المشاركة الوجدانية الصادقة في هذه الأحداث الأليمة.

و ظهرت ملامح شخصية الشاعر منذ نعومة أظفاره، فهو الرجل العصامي الذي لم يستسلم لفقدان بصره، ولم يتوقف عن التعليم. والمتأمل في قصائده يلاحظ قلة الأبيات التي تعبر عن ظروفه وفقدانه بصره، فهو يحاول أن ينتصر على فقد البصر و يقول عن ذلك:(أنا راض كل الرضا ولم أشعر في يوم من الأيام بالحرمان، ولذلك لن تجد في شعري ما يشعرك بذلك الأثر)[2] وهو يرى أن الشعر مرآة، وهو الذي يعيش في وسط مجتمعه ويشعر بما يشعر به المجتمع ويفرح له وكأنه يرى بعينيه، يقول في قصيدة (العلم أكسير الحياة) عند

---

(١) أغاريد من الخليج، ص١١٢.

(٢) الإعاقة في الأدب العربي: عبد الرزاق حسين، ص ٢٩٩.منشورات مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

الاحتفال بنخبة من المعلمين المحالين على التقاعد [1]:

فأشـرق في الإنسـان نـور بيانه ... وإبداعـه حتـى تألـق كوكـبا

يُشع بألـوان المعـارف والهـدى ... فعمّـر أوطانـاً وصـاغ غـرائبا

ولـست أرى النـبراس غـير معلـم ... بحكمته يشفي العقول من الكِبا

إلى أن يقول:

فأكـرم بقـوم كـرّموا مـن ... رجـالاً بـنور العلـم كانـوا

أولـئك أعـلام الـهـدى ... نحقـق آمـالاً ونجنـي رغـائبـا

ولعل من أبرز صفات الشاعر عبدالرحمن آل ملا وفاءه لأصدقائه، واعترافه بجميلهم، فقد كان وفياً في صحبته وصداقته، غير منكر لحقوق خليل، ولا جاحد لعطاء كريم، وإذا فرقت الأيام بينه وبين أصدقائه، فإنه يبقى محتفظاً لهم بالوداد والمحبة الخالصة،كما تظل ذكرى الصحبة عالقة في فؤاده، ويتضح ذلك في علاقته مع صديقه احمد بن محمد الموسى [2] حين غادر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٩٤م، يقول [3]:

فقد تركت فراغاً ليس يملـؤه ... إلا رجوعك للأصحاب والولـد

في ثـوب عـافيـة وفـراء تلبسهـا ... مدى الحياة بأمر الواحد الأحد

ومن أهم ما يتميز به الشاعر أيضاً، بعده عن الغلو في المدح، فهو لا يمدح الرجل إلا بما فيه، فهو بعيد عن المبالغات التي تودي بصاحبها إلى الكذب، ويعتبر ذلك من النفاق الاجتماعي، وهو ينتقد ذلك المنافق الذي يرائي الناس

---

(١) أغاريد من الخليج ص ٢٨ -٣٠ .

(٢) توفي سنة ١٤٢٦هـ.

(٣) أغاريد من الخليج ، ص ٨٢.

ويبدل جلده كل مرة يقول [1]:

أشر الناس محتال مرائي ... يتاجر في المودة والإخاء

يبدل جلده لؤماً ومكراً ... مراراً في الصباح وفي المساء

إلى أن يقول:

له في كل ناحية لسان ... بليغ في الخديعة والرياء

وشاعرنا ذو خبرة عميقة في الحياة ، وصاحب تجارب عديدة، وهو يفرغ هذه الخبرة وهذه التجارب من خلال الحكم والأمثال التي تضمنها شعره، يقول [2]:

فذو اللب يُكفَى بالعظات بغيره ... وذو الجهل يأبى الرشد حتى يُكَبَدا

ومن لدغته حية ظل عُمْرُهُ ... يرى في ظلال الحبل أرقم أربدا

ويقول أيضا [3]:

وكم من لئيم بعض جودك لحمه ... من اللؤم أضحى ميت الحس جاحدا

يعيش ككلب الصيد يلهث جامعا ... فرائسه للوارثين متى ودا

ونلمس نبرة التفاؤل عند الشاعر عندما يتحدث عن هموم أمتيه العربية والإسلامية ونكباتها، وهذا ما نلمسه في القصائد التي يتحدث فيها عن المآسي التي تعرضتا لها. يقول في قصيدة(الفدائي والفردوس الجريح)[4]:

---

(١) أغاريد من الخليج، ص٩٥.

(٢) وجوه ومرايا، الشاعر عبدالرحمن عثمان آل ملا ص٤٥.، مطابع الكفاح الحديثة، الأحساء، ط١، ١٤٢٦هـ .

(٣) وجوه ومرايا، ص٥١.

(٤) أغاريد من الخليج، ص١١٢، ١١٣.

أبداً لن يعيش أهلي عبيدا   أبـدا لـن يظـل شعبـي طريـدا
أبدا لن تضيع أرض فلسطـ   ين فقد مزق الكماة الركودا

ويقول في قصيدة (البوسنة في محنة الصراع)[1]:

شـــرف الغايـة في محنتكـم   سوف ينسيكم جميع الألم
أبشروا بالنصر مهما عصفت   بكـم ريـح البلاء الداهـم

أما فلسفة الشاعر وآراؤه في الأمور ومنطقتها، فإننا نلمسها واضحة في ديوانه (وجوه ومرايا) . وهو عبارة عن ديوان أفرغ فلسفته في الحياة فيه ،وآراءه في كثير من شؤونها. ولا بد من الرجوع إليه للإلمام بفلسفة الشاعر في هذه الحياة وآرائه في أمور كثيرة. ونورد هنا بعضا منها. يقول [2]:

ولا يدرك الشأو الرفيع أخو منى   ولا من له ظن الطريق معبدا
ودون العلا شوك القتاد فإن ترد   وصولا له فلتركب العزم صامدا

ويقول أيضا [3]:

وليس بحر من يدنس ساحه   من اللؤم أو يقضـــي الحياة مسنــدا
فما فاز باللذات إلا مغامـر   يرى الصعب سهلا والنوائب مصعدا

ولا شك أن نشأة الشاعر في بيئة دينية، وحفظه للقرآن الكريم في سن مبكرة،واطلاعه على الحديث النبوي الشريف، كل ذلك كان له تأثير انعكس في شعره . يقول في قصيدة (تأمل ومناجاة) [4]

---

(١) أغاريد من الخليج،ص١٤٤.

(٢) وجوه ومرايا ،ص٣٨.

(٣) وجوه ومرايا ،ص٣٦.

(٤)أغاريد من الخليج،ص١٣.

سَـرِّحَ العقـلُ مـرة نظـراتـــه	في صنيع الإلـه في معجـزاتـــه
فـتأمل يـا عقـل خالقـك الجـبـ	ـار إنـــي لـديـك مـن آيــاتـــه
أنــت كــل الــرجا أنــت مــلاذي	يـوم يؤتـى كـل امـرئ صـفحاتـه

ونلمس في الكثير من قصائده جوانب شخصيته الإسلامية، خاصة في تلك القصائد التي تطرق فيها إلى هموم أمتيه العربية والإسلامية، مثل قصيدة (إلى لاجئة) التي يتحدث فيها عن مأساة لاجئة فلسطينية؛ وقصيدة (كلمة للمجاهدين في البوسنة) وغيرهما من القصائد.

بواعث شاعريته:

إن المتأمل في حياة الشاعر عبدالرحمن آل ملا يستنتج مجموعة من المؤثرات كان لها الأثر الفعّال في نبوغ شاعريته ؛ ومن هذه المؤثرات:

١- الوراثة الشعرية:

كما أسلفنا ،أسرة آل ملا أسرة عالمة أكثر منها شاعرة ومع ذلك فقد روي الشعر عن غالبية أفرادها، وامتد في ذراريهم، إذاً هو من أسرة عرف أفرادها بقول الشعر، كما كان للمسامرات والمساجلات الثقافية التي كانت تقام في رباط أبي بكر آل ملا أثر في نبوغه الشعري وأول من قال الشعر منهم إبراهيم بن حسن الذي رسم للأسرة أسس المجد ،حيث قال [1]:

ولا يرفـــع الإنســان غير صنيعــه	فأغلى برودِ المـجد نسج يديــه
فقد خاب من مارى بما لـــجدوده	مـن الحسب السامي ونام عليـه
لئن كنت في طيٍّ وجدت خؤولتـي	وفي مضـــرٍ وافى أبـي أبويــــه
فإنـي إلى علـم الشريعـــة أنتمـــي	بفضلي وفخري في انتمائـي إليه

٢ - موهبته الشعرية:

يتمتع آل ملا بقريحة شعرية جيدة وموهبة فذة ظهرت مبكرا. فعندما تولّى الأديب والشاعر المعروف عبد الله بن خميس إدارة المعهد العلمي في عام ١٣٧٣م، والذي كان خلوقاً ذا نفس محبوبة ،قام بزيارة كبار العلماء ورغّبهم في المعهد، واستطاع أن يضم نخبة من المعلمين، ومن ذلك الوقت بدأت فكرة إيجاد

---

(١) الشعر الحديث في الأحساء، د. خالد الحليبي ص ٩٢.

ندوة أدبية تكون مسرحاً لأقلامهم وآرائهم، وبذلك يعتبر أول ناد أقيم في ربوع هذه البلاد من الناحية الاجتماعية والصحفية [1] .

ومن أبرز ما كان يقدم في النادي مما له علاقة في الأدب والشعر باب(رأيت وسمعت)؛ وفيه يقوم الأستاذ بالتعليق على كل ما يلقى في النادي، مبيناً مواطن الإجادة ومشيداً بها، وملفتاً إلى مواطن الضعف، ومعلقاً عليها، ولا يخفى ما لهذا الباب من أثر قوي في توجيه الناشئة، وإبعادهم عن مواطن الضعف وإرشادهم إلى نواحي الإجادة [2].

وتطرح كذلك في النادي قضايا نقدية معاصرة كالقصيدة النثرية والمذاهب الأدبية المعاصرة [3].

وفي مطلع شهر صفر من عام ١٣٧٥هـ أنشأ المعهد صحيفة رفيعة المستوى سماها [الضياء الجديد] يرأس تحريرها عبدالله الشباط، وكانت منبرا لنشر نتاج الطلبة داخل المعهد وخارجه، وقد علم مدير المعهد من خلال هذه الصحيفة أن عدداً من الطلبة يحملون مواهب أدبية طيبة، فوافق على إصدار مجلة بعنوان(هجر) تخرج خارج أسوار المعهد، ومن الذين برزوا في المعهد في تلك الفترة الشاعر عبد الرحمن آل ملا، الذي نشرت معظم بواكير شعره في مجلة هجر التي أصدرها المعهد العلمي، وكل هذا كان من الدعائم و البواعث المهمة التي أظهرت شاعريته.

---

(١) أول الغيث : مقالة عبدالله بن خميس. مجلة هجر ص ٤٠. تاريخ العدد ١٣٧٦هـ.

(٢) انظر مقالة بعنوان مع برامج النادي، عبدالله النعيم ، مجلة هجر، ص٥ -٦.تاريخ العدد ١٣٧٦هـ .

(٣) انظر المقالة السابقة. ص٦، ٧.

ومن شعره في مرحلة الشباب الأولى،الذي نشر في مجلة المعهد العلمي (هجر) قصيدة تعبر عن مشاعر وطنية، يدعو فيها إلى الدفاع عن الوطن والعمل على رفعته ، وصنع مجده، والتفاني من أجل رفعته في جميع جوانب الحياة يقول في قصيدة (وهبنا الحياة)[1]:

وهبنا الحياة فدى للوطن	فبعنا النفوس بأغلى الثمن
سنرجع مجدا لناقد مضى	إلى الشرق رغم عوادي الفتن
نريد الثريا لنا مقعدا	نريد الصعود جميعا إذن

٣ـ المكان (الطبيعة):

مما يجب الإشارة إليه أن الشاعر ابن البيئة التي يعيش فيها ويتأثر بها، والأحساء بنخيلها وحدائقها،ومياهها العذبة،وعيونها المتفجرة،سحرت عقول وأقلام الشعراء على مر العصور،سواء في السابق أو في الوقت الحالي. والشاعر آل ملا ممن تأثر بالأحساء وبما فيها من معالم أثرية أو طبيعية،يقول في جواثا[2]:

هذي جواثا تحيي نخبة النجبِ	من كل شهم سما بالعلم والأدب[3]
تقول والشوق للزوار شيمتها	يا مرحباً بكم في مهد كل أبي
أصغوا إلى عبد قيسٍ في منازلها	تشدو بأروع لحنٍ سار في الحسب
المسجد الثالث الشرقي كان لنا	والمنبران وفصل القول في الخطب

---

(١) أغاريد من الخليج،ص١١٧، ١١٨.

(٢) أغاريد من الخليج،ص ٦٨.

(٣) جواثا: من القرى التي لا تزال معروفة في منطقة الأحساء، وتقع في الجهة الشمالية من الواحة،وقد صار الآن موقعها منتزهاً ،ومن الأماكن الأثرية في مدينة الأحساء،وبها مسجد كانت تقام فيه الصلاة في زمن الصحابة،.وجاء في كتب الحديث أنه أول مسجد صليت به جمعة بعد مسجد الرسول ﷺ. تاريخ هجر،عبدالرحمن بن عثمان آل ملا،ج١، ص١٤٢. مكتبة التعاون، الأحساء،ط ٢، ١٤١٠هـ.

٤ -الرحلات:

كان للبعثات العلمية إلى خارج المملكة أثرها الكبير في انتشار الوعي، وتنوع المعرفة، وذلك بسبب الاتصال بالثقافات الأخرى، والاطلاع على كل جديد في العلوم والفنون، و منها الأدب، وأهم رحلة للشاعر آل ملا والتي كانت الاتصال الأول له بالعالم العربي إلى مصر، عندما توجه للدراسة ضمن بعثة دراسية أوفدتها إلى هناك وزارة المعارف، فحصل على دبلوم التربية الخاصة، وكان لتلك الرحلة أثرها في بناء شخصيته العلمية والأدبية والشعرية خاصة.

٥- أحداث عصره:

كان للأحداث المأساوية التي عاشتها الأمتان العربية والإسلامية، وما عانته شعوبها من ظلم واضطهاد على أيدي أعدائها، من قتل وذبح وتشريد، أثر في نفس الشاعر ،الذي عايش هذه الأحداث و تفاعل معها ، وسخر قلمه لوصف المآسي التي حلت بها، معبراً عن مشاعره الحزينة لما ألم بهذه الشعوب، وما وصلت إليه من ذل وهوان، كما استنهض الهمم حاثاً الشعوب على رفض الذل والهوان من أجل العودة إلى ما كانت عليه من العزة والمنعة والكرامة والمكانة القوية ،مذكراً إياها بتاريخ آبائها وأجدادها .

فتناول في شعره المأساة الفلسطينية، ووصف ما حل بالشعب الفلسطيني من التشريد والقتل من قبل الصهاينة، كما تناول في قصائده أحداث البوسنة والهرسك وما تعرض له المسلمون هناك من مذابح على أيدي الصرب ، كما تحدث عن مجزرة (قانا) التي قام بها الصهاينة في الجنوب اللبناني عندما قصفت الطائرات الصهيونية المدنيين مما أدى إلى سقوط ما يربو على مائة شهيد، معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ العزل من السلاح .

كما تغنى بالنصر الذي حققه الجيش المصري الباسل في حرب رمضان، عندما استطاع تحطيم خط بارليف، الذي أقامه العدو الصهيوني على الضفة الشرقية لقناة السويس.

الفصل الأول

الاتجاهات الشعرية

- الشعر الاجتماعي.
- شعر المناسبات والإخوانيات.
- شعر الوصف
- الشعر الإسلامي.
- شعر التأمل والحكمة.
- الشعر السياسي.

الاتجاهات الشعرية

الشعر الاجتماعي:

لم تتضح معالم الشعر الاجتماعي عند الشعراء قديماً،لأن الأدب كان يعيش في كنف الملوك والأمراء،فهم محور الحياة السياسية والاجتماعية،و ذلك يؤدي إلى توقف رواج البضائع الأدبية،واتضحت معالم الشعر الاجتماعي في الشعر العربي في مطلع القرن الرابع عشر الهجري؛ حين نالت المجتمعات العربية الكثير من الثقافة والوعي بسبب وجود الصحف والمطابع ووسائل الاتصال، وبذلك تحرر الأدب من ظلم البلاط وتوجه نحو المسائل العامة والمشاكل الشعبية [1].

ومن الدوافع التي دفعت الشاعر لخوض غمار الشعر الاجتماعي،نشأة الشاعر في بيئة اجتماعية تتسم بالتواصل والتقارب، بالإضافة إلى ثقافته الدينية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة،فاكتسب شعره الاجتماعي بعداً دينياً، وانبثقت توجهاته للمشكلات الاجتماعية من الدين الإسلامي، وبذلك أصبح شعره الاجتماعي شعر توجيه وإصلاح،ومن الدوافع لهذا الغرض أيضا، محبته لوطنه وأهله، فوطنه أرض المقدسات الإسلامية وقبلة المسلمين في شتى أنحاء الأرض.

وإذا عرف كل إنسان وطنه وأهله وحقهما عليه وواجبه نحوهما، ترجم

---

(١) انظر: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس مقدسي ص ٢٠١ -٢٠٢، بتصرف، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٨٢م.

قلت: هذا الكلام غير دقيق، فالشعراء الصعاليك لم يكتبوا في كنف الملوك.

مشاعره تجاهها،وقد ترجم الشاعر محبته لوطنه وأهله من خلال شعره الاجتماعي، وذلك من خلال طرح ومناقشة القضايا الاجتماعية.

والشعر الاجتماعي: (ذلك اللون من الشعر الذي حمل شُدَاتهُ على عاتقهم مهمة الإصلاح الاجتماعي على أسس ودعائم تستمد مرجعيتها من الرسالة الإسلامية وقيمها ومثلها، فدعوا إلى محاربة الجهل،والفقر والمرض، والعلل والمفاسد الاجتماعية، وإفساح المجال لأنوار العلم والحضارة الجديدة لتشرق وتسطع في سماء المجتمع وسائر أرجائه) [1].

ويعرّف الدكتور خالد الحليبي الشعر الاجتماعي أو الواقعي:(بأنه الشعر الذي يبتعد عن الهيام بالطبيعة، والاستغراق في التخيل، ويفتح ذراعيه لدنيا الناس وعالم الحياة، وما يعج فيه من آلام وأفراح وأشواق و آمال)(٢)،كما يصور أعماق المجتمع ووجدان البيئة،ولا ينتظر من الشعر الاجتماعي أن يعطي رسماً فوتوغرافياً للبيئة كما تعطيه الدراسات الاجتماعية المتخصصة،ولكنه بوح إنساني وفيض تلقائي بما يكنه من أمل وألم يتدفق به تيار الوعي في مجموعة من الصور تمثل جوهر البيئة وحقيقتها (٣) .

و الشاعر عبد الرحمن آل ملا اهتم بقضايا بلاده الاجتماعية وقدم بصدق وواقعية تجارب لمسها في مجتمعه، وهي تمثل جانباً من مختاراته الشعرية، فيها

---

(١) الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها حتى عام ١٣٩٥هـ ،دراسة فنية تحليلية،د.مفرح إدريس أحمد سيد،ص١٨ ،نادي المدينة المنورة الأدبي. (د. ط.) ،(د . ت).

(٢)الشعر الحديث في الأحساء،د.خالد الحليبي ص٢٤٦.

(٣)انظر:تطور الشعر الحديث بمنطقة الخليج،ماهر فهمي،ص١١٣، بتصرف ،مؤسسة الرسالة،بيروت، (د ط)،١٤٠١هـ.

روح صادقة، وفيها مرارة وقوة إيقاع، ومن هذه القضايا: التعليم ومحاربة الجهل، وغير ذلك.

ومما لاشك فيه أن اهتمام الشاعر بمشكلات مجتمعه، يعتبر إحساساً بأن للأدب رسالة في إنهاض الشعوب وإصلاحها.

ويجب الإشارة إلى أن هذا اللون مهّد لظهوره وانتشاره على مساحة واسعة من ديوان الشعر السعودي عموماً، وعند الشاعر آل ملا خصوصاً عاملان:

أولهما: سعي الدولة إلى الإصلاح الاجتماعي، وتجنيدها كل إمكاناتها وطاقاتها في سبيل النهوض بمجتمعها، وتطويره تطويراً ينبع من واقعه وظروفه وقيمه الروحية والعقدية.

ثانيهما: إدراك شعرائنا لرسالتهم وواجبهم تجاه مجتمعهم، ومدى وعيهم بخطورة أن الشعر أداة فاعلة ومؤثرة في التوجيه والتغيير، وحجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه شعبهم [1].

و يعتبر الشعر الاجتماعي عند عبد الرحمن آل ملا تصويراً حقيقياً لما في المجتمع من عقم وسوء، ونقلا حيا لسلبيات الحياة الاجتماعية التي عاش فيها، فهو يريد أن يكون مجتمعه مثالياً يسوده الود والفضيلة والقيم الإنسانية العالية، ويقوم على الصدق والمحبة وكل الوسائل التي ترتقي بالناس وتجعلهم يعيشون في مجتمع مثالي نبيل.

ومن أبرز القضايا التي عالجها الشاعر قضية طلب العلم ونشره والحث

---

(١) الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية، مفرح إدريس أحمد، ص١٨ -١٩.

عليه، فقد حمل الشاعر هم الدعوة إلى العلم وضرورة طلبه، وأنه أساس كل شيء،وأنه شعار للأمة المتقدمة يقول [1]:

يعيد إلى الأوطان سالف مجدها ويشعل من نور الحضارة ما خبا

على أن فجر المجد لاح سنــــاؤه غداة غدا التعليم حقـــــا واجبا

والإنسان في نظر الشاعر لا قيمة له بدون العلم [2]:

وما قيمة الإنسان لو لم يكن له من العلم نبراس يزيح الغياهبا

والمتعلمون فرسان من دونهم لم ولن يقوم في الأرض عمران، وأنهم بناة العلا ،وهؤلاء الفرسان هم من دولة العلم [3]:

لدولة العلم والأخلاق فرسان بدونهم لم يقم في الأرض عمران

فهم بناة العلا تسمو بهمتهم لــذروة الــمجد أجيــال وأوطـان

وهـو يعيب على الأمـم المتخلفة،الـتي تـرى أن العـيش في القـبور أهـدى لهـا ، وتـرى الــتخلف والجمــود والــتغني بأمجادهــا الماضــية أرشــد مــن كــل شــيء. يقول (٤):

تحـاول نـشر العلـم في عقـل أمــــة تـــرى العـــيش في الأرمـــاس(٥)أهـــدى

تـرى الليل صبحاً والجمـود أصـالة وأطـــلال مــجــدٍ زال فخـــراً وســـؤددا

وإن تلـتمس في ثـورة العلـم حظهــــا ستلفــي لهـا صفــر الشمــال مقيـــــدا

---

(١) أغاريد من الخليج:ص٢٩ ، ٣٠.

(٢)أغاريد من الخليج: ص٢٩ .

(٣)أغاريد من الخليج ، ص٣١ .

(٤) وجوه ومرايا،ص ٤.

(٥) الأرماس جمع رمس وهو القبر، انظر لسان العرب،ابن منظور. مادة (رمس). أبو الفضل جمال الدين بن منظور،ج٦، ص١١٤،دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

والشاعر في تناوله للقضايا الاجتماعية، يعيش في وسط ذلك المجتمع، غير منعزل عنه وكأنه يرى تلك القضايا ويعيشها، والقارئ لتلك الأبيات التي تتناول تلك القضايا يستبعد أن يكون هذا الشاعر فاقداً لبصره.

وذم الشاعر ظاهرة الفخر بالأحساب والأنساب، هذه الظاهرة التي انتشرت في المجتمع حتى أصبحت مرضاً عضالاً وغروراً بصاحبها، وبين أن التفاخر بالتقوى، يقول [1]:

إذا أفلس المغرور من كل قيمة رأى الفخر في الأعراق أجدى وأخلدا

ولم يدر أن الفخر في الفضل والتقى وليس بجلدٍ قد بلى وتقرّدا [2]

فلا يعظم الإنسان إلا بقدر ما أضاف وأعطى للحياة وشيدا

وأبرز القضايا الاجتماعية التي تناولها الشاعر قضية المرأة، والظلم التي تعاني منه الزوجة وعدم إعطائها حقها، وأن كثيراً من الناس يرى أن وظيفة المرأة هي الطبخ والإنجاب فقط، يقول [3]:

لقد هان قوم لم يروا لنسائهم سوى الطهي والإنجاب كيما تُحَيَّدا

ويرى الشاعر أن النجاح والتألق مرتبط بالنساء وأنهن يسهمن في صنع الحضارة والبناء مثل الرجال، يقول [4]:

وما علموا أن النجاح هباتهن إذا بتن في حضن الكرامة وُلَدا

---

(١) وجوه ومرايا :ص ٢١، ٢٢.

(٢) تقرد : بمعنى تمعط وتلبد ،لسان العرب، ابن منظور ،ج٥ ،ص٣٥٧٥.

(٣) وجوه ومرايا ،ص١٩.

(٤) وجوه ومرايا ،ص١٩.

وأسهمن في صنع الحضارة والبنا   وأطلقن عقلاً في الجماجم صُفدا[1]

وهو يتمنى أن يكون نساء المجتمع، مثل أمهات المؤمنين في القيم والرقي والمثالية، حتى يتحقق لهن النجاح داخل بيوتهن [2]:

وحسبك ممن تعلمون خديجةُ   وفاطمة الزهراء ومريم مُقتَدى

ويعالج الشاعر الغدر والظلم للفتيات اليتيمات، حينما يصبحن في أيدي من لا رحمة لهم، خصوصاً أزواج الأمهات، ويصور مأساة تلك الفتاة العذراء بعد فقدها لأمها، يقول في قصيدة (مأساة عذراء) [3]:

فغدت أميمتها ضحية حـادثٍ   أدى بها للقبر بعـد زمـــان

ومضت لتترك للشقـاء فتاتها   بالقصر قابعـة مع الأحزان

وهذه الفتاة عاشت تلك المأساة والتي تتابعت أحداثها حتى انتهت بالغدر والخيانة من زوج الأم، يقول [4]:

وإذا بها يوماً تفيق لكـي ترى   آثار غدر الذئب بالحمـــــلان

يروي فجيعتها بفقد عفافها   المسلـوب في لؤمٍ وفي عدوان

ومن المشكلات الاجتماعية التي تناولها الشاعر الفراغ وإضاعة الوقت، ومدى المعاناة التي يعيشها الإنسان بسبب هدر الوقت ، وما أكبرها من خسارة،

---

(١)الصَفَدُ : الوَثاقُ. ، والأَصْفادُ: القُيودُ. انظر الصحاح، مادة: صفد. ص٣٦٤.

(٢) وجوه ومرايا، ص١٩، ومقتدى: قدوة ومثال يُحتذى به . انظر العين مادة(قدو)،ص٦٦٠. . الخليل بن أحمد الفراهيدي، داوود سلوم وآخرون. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٤هـ.

(٣) أغاريد من الخليج، ص٥٧ .

(٤)أغاريد من الخليج، ص ٥٧ ، ٥٨.

لأنها تؤدي إلى خسارةٍ وضياعٍ لعمر الإنسان [1]:

وأخسر ما تمنى به من خســارة   قضاؤك وقتاً لا يضيف فوائدا

فمن ضيع الأوقات ضيع عمــره   هبــاءً ولو في دفتر الشيب قُيدا

وعالج الشاعر قضية حب الإنسان للمال وتفضيله على الأب والأم والأهل جميعاً، وهي من القضايا التي انتشرت في المجتمع، وأصبح المال مَلِكَ العقول والنفوس، يقول [2]:

ومن يجعل الدينار غــاية أمــره   يصير لـه الدينـار أمـاً ووالـــدا

فلم يحتمل أما ولم يحترم أبـــاً   ولم يصطنع خيراً وعاش مُنَكَدا

ومن عواقب حب المال في نظر الشاعر، أن الشقيق يبيع شقيقه، وأن الضمير يصبح متبلدا. حتى أن الوالد يصد الخاطبين عن بناته، والحياة الزوجية تدمر، يقول [3]:

وفي ســوقه [4]باع الشقيق شقيقه   وفي أمـره بـــات الضمير مصفـــدا

ومصَّ دنــي النفس جهـد بنـاتــه   وعنهــن صــد الـخاطبيـن وبعـــدا

ودمـــر للزوجين عش هناهمـــا   فأمسى فِراخ العش في التيه شـرداً

لقد سلب المال العقول وأشـعلت   بسلطانـه أقسـى الحـروب تـوقـدا

---

(1) وجوه ومرايا، ص٤٠ -٤١.

(٢) وجوه ومرايا، ص٤٧.

(٣) وجوه ومرايا، ص ٤٧، ٤٨.

(٤) أي المال.

وينتقد الشاعر حديث الإنسان عن ذنوبه بالرغم من ستر الله سبحانه وتعالى له، وأن هذا مدعاة وطريق للفضيحة في الدنيا قبل الآخرة ، يقول[1] :

وكم مذنب قد أسدل الله ستره　　　عليه فأنضى الستر عنه محاردا[2]

والشاعر غير راض عن كثير من العادات الاجتماعية السيئة، التي لا يخلو المجتمع منها، بل لا يكاد يخلو بيت منها؛ ومن هذه العادات السيئة الرياء، وهو يرى أن المرائي من أشر الناس ، يتلون في كل صباح ومساء، يعطيك من طرف اللسان حلاوة في وجهك، ومن خلفك هو ألد الخصام. يقول[3] :

متى تلقاه تحسبه شقيقاً　　　لما يبديه من حسن الثناء

وإن لاقى عدوا صار أنكى　　　عليك بما يكيد من العِداء

وعبد الرحمن آل ملا يرسم ملامح ذلك الوصولي المرائي بدقة متناهية، وهي صورة متكاملة لتلك الشخصية الشريرة [4]:

ووجهٌ باسم القسمات خُبثاً　　　وطَرف كحلته يد الدهاء

يكاد يجن حين يفوز يوماً　　　قريب أو رفيق بارتقاء

والشاعر يخاطب جميع الناس الذين أصيبوا بهذا الداء، ويدعو لهم بالشفاء العاجل من هذه الأسقام،يقول [5]:

---

(١) وجوه ومرايا، ص٤٦.

(٢) أنضى: ألقى، انظر العين مادة (نضو)، ص٨٣٠، .والحرد: الحدة، انظر العين مادة (حرد) ١٤٩.

(٣) أغاريد من الخليج:ص٩٥ .

(٤) أغاريد من الخليج ،ص٩٥ -٩٦ .

(٥) وجوه ومرايا :ص ٩٧.

فقل لمنافقي الدنيا أفيقوا　　　لأنتم في البرية شر داء

شَفاكم بارئ الأسقام مما　　　دهاكم في الطباع من البلاء

ومن العادات الاجتماعية السيئة الفتنة بين الناس، وتتبع عوراتهم قصداً، نشراً للشر والسوء [1]:

وأقبح من لاقيت في الناس مفتناً　　　غدا لمطايا الشر سرجاً وَمِقوَدا

تراه حقوداً همه كل همه　　　تتبع عورات الأنام تقصدا

متى لاح خلف عارض دس أنفه　　　به ليزيد الشر فيه تمددا

ومن العادات السيئة كذلك الحسد، وهو يرى أن الناس لا يحسدون إلا نجومهم المتألقين، وأن شر الناس هو الحقود [2]:

ولا يحسد الأقوام غير نجومهم　　　فلم تر للأوباش في الناس حُسّدا

ولا من غدا الحقد الدفين سجية　　　لديه وشر الناس من عاش حاقدا

والشاعر يخاطب حساده في هذه الأبيات، وكأنه تعرض للحسد من قِبَلِ فئة من الناس حاقدة، وذلك راجع إلى اعتداد الشاعر بنفسه، ومدى ثقته في أنه أحد نجوم المجتمع الذين قد يتعرضون للحسد، وتأكيد هذا قوله [3]:

جزى اللّه خيراً حاسديَّ بفضلهم　　　عشقت العلا شيخاً وكهلاً وأمردا

ومن العادات السيئة التي تناولها الشاعر آل ملا النميمة والوشاية، لأنها

---

(١) وجوه ومرايا ،ص٣٣.

(٢) وجوه ومرايا ،ص ٣٩.

(٣) وجوه ومرايا ،ص ٣٩.

من العادات التي تكثر في المجتمع، وهو يعتبر ذلك أكلا للحوم الرجال، مستوحيا المعنى من الآية الكريمة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ }[(1)] وهو هنا يحذر من أن الذي ينم عن غيرك أمامك فسينم عليك غدا أمام غيرك؛ وهو يخص بالخطاب هنا من يصاحب أهل النميمة ويستمع إليهم [(2)]:

ومن يعث في لحم الرجال نميمة لديك فقد أصبحت وجبته غدا

وصفة اللؤم من العادات الاجتماعية السيئة التي عالجها الشاعر، لأن اللؤم مكان ومرتع لكل رذيلة، وأن اللئيم فاقد الكرامة بعيد عنها، وأن الذي يقيه الله سبحانه وتعالى اللؤم فقد نال الأجر والثواب، يقول [(3)] :

أرى اللؤم همياناً [(4)]لكل رذيلة غدا خِدنُه لاسم الكرامة فاقدا

فمن قد وقاه الله من شح نفسه فقد نال في الدارين للفوز موعدا

واللئيم دائماً مصيره الشقاء مجندُ له لا يملك حيلة [(5)]:

فقل للئيم النفس ويلك لا تكن حمار كُرُوم للشقاء مُجنَدا

والشاعر يحارب ضعاف النفوس والمحتالين ممن اتخذوا من الدين شعاراً

---

(1) سورة الحجرات، الآية (12)

(2) وجوه ومرايا، ص49.

(3) وجوه ومرايا، ص 52.

(4) الهمْيانُ: هِمْيانُ الدراهم، بكسر الهاء، الذي تُجعل فيه النَّفَقَةُ، .انظر مختار الصحاح، مادة (همي).، ص 699.

(5) وجوه ومرايا، ص 53.

لهم،وجعلوا اللحى منظراً للوصول إلى مصالحهم،غير مراعين ما لها من حرمة ووقار [1]:

فكم ماكرٍ تحت هذي اللحى   توارى وخبأ مـــا قد صنع
يتـــــاجـر بالفضـل في قومـــه   ويخدعهم بصنـوف الخدع

# # #

(١) أغاريد من الخليج، ص ٩٨.

شعر المناسبات والإخوانيات

أ- شعر المناسبات:

شعر المناسبات هو: (الشعر الذي يدوّن الأحداث التاريخية، من تولية خليفة، أو وزير أو وال،أو أحداث حربية،أو تقلبات اجتماعية،وكيفية معالجتها [(1)])، أو هو الشعر الذي يتناول الأحداث سواء التاريخية أو اليومية، من تهنئة أو مدح أو تعزية أو غيرها.أو هو الشعر الذي يقال في المناسبات بأنواعها.

(وقد عُنِي الشعراء بأية حادثة يرفعون من خلالها أصواتهم، حتى ولادة المولود،يسجلها الشاعر في شعره بأسلوب يجمع بين التهنئة والتأريخ الشعري)(٢) ولو أن كل باحث يقيم ظاهرة من الظواهر التي يمثلها شعر المناسبات لوجدنا كماً هائلاً من القضايا التي يعنى بها الأدب (٣).

ومن النقاد من يعد شعر المناسبات ليس من صميم الشعر، أو هو خارج عن عمود الشعر الجديد،والجواب على هذا هو: أن شعر المناسبات ليس على إطلاقه مكروهاً، يجب طرحه من ديوان الشعر العربي الحديث، والعبرة قبل كل شيء بالبواعث التي دعت إليه،والحوافز التي ملأت نفس الشاعر ودفعته لقوله فاستجاب لها، وما كان يسعه إلا أن يستجيب.

فالمناسبات يعنون بها ما يتصل بشعور الشاعر ووجدانه من المناظر

---

(١) الاتجاهات الفنية في الشعر إبان الحروب الصليبية،د.مسعد عيد العطوي،ص ١٢٣مكتبة التوبة،الرياض، ط١. ١٩٩٥م.

(٢) انظرالشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥ -١٣٩٥هـ) د.عبدالله الحامد،ص١٨٩،نادي المدينة المنورة الأدبي،ط١، ١٩٨٨م.

(٣) انظر:الاتجاهات الفنية في الشعر إبان الحروب الصليبية،د.مسعد عيد العطوي، ص١٣٤.

والأحداث والناس، وهي بالتالي ليست سبباً من الأسباب التي تدعو إلى الحكم على الشعر بعدم الأصالة،وعدم المناسبة ليس بذاته سبباً يدعو إلى الحكم على الشعر بالجودة والأصالة،وإنما مصدر الحكم هو صدق الشعور [1].

وشعر المناسبات عند الشاعر عبد الرحمن آل ملا قليل، وعلى الرغم من قلة هذه القصائد،فلم يكن الشاعر يعمد إلى كتابة هذه القصائد للمناسبات ، حيث يذكر الشاعر مناسبة إحدى القصائد: عندما قامت إدارة التربية والتعليم في منطقة الأحساء بالاحتفال بمناسبة إحالة الشيخ احمد بن عبدالله بن أبي بكر آل ملا الموجه التربوي بوزارة المعارف على التقاعد سنة ١٤١١هـ في مزرعة عبد اللطيف آل ملا، ولم يكن للشاعر أي فقرة في الحفل، ومن وحي الاحتفال، ومنزلة الشيخ أحمد عنده، أخبر الشاعر اللجنة المنظمة بأن لديه مشاركة، ولم يكتبها الشاعر إلا أثناء الحفل،وقد نالت استحسان الجميع، وهي قصيدة (ذكرى) (٢) يقول:

لكل امرئ بين الورى سيرة تدرى ... وإن أجل الناس أطيبهم ذكرى

فلا المال والسلطان والجاه خالدٌ ... وتخلد للإنسان آثاره الغَرَّا

فكم رجلٍ أمسى سراج زمانه ... بأخلاقه المثلى وأعماله الكبرى

كمثل ربيب الجودِ والفضل أحمدٍ ... سليل بني الملا،ومن بالثنا أحرى

كذلك من قصائد المناسبات الاجتماعية قصيدة (العلم أكسير الحياة) وألقيت في الاحتفال بنخبة من المعلمين المحالين على التقاعد سنة ألف وأربعمائة واثنتي عشرة هجرية،وذلك بإدارة التعليم بالأحساء. يقول فيها عن

---

(١) انظر:قيم ومعايير،العوضي الوكيل، ص١٣٨ -١٣٩،الدار المصرية،القاهرة،ط.ب،١٩٦٥م،.

(٢) أغاريد من الخليج، ص٧٩.

العلم[1]:

أرى العلم أكسير الحياة المجربا بطاقَتِـهِ رَبـع الحضارة أخصبـا

وسخّر مـــا في الكائنات لنفعـه فأبدع في كل الفنـون وأعجبـا

ولم تخل قصائد آل ملا من المناسبات الاجتماعية الخاصة، ومن هذه المناسبات قصيدة ابتهاج بمولد فواز بن عصام عبدا للطيف آل ملا من كريمة الشاعر عبد الرحمن آل ملا في عام ١٤١٣هـ، يقول في قصيدة (فواز)[2]:

يقـف البيـــان مكبـلا وأسـيرا في غمــرة الفـرح الأجل حبورا

فهناك تختنق اللغـــات ولا تـــرى غيـر العيـــون تفجـــرُ التعبـيرا

ينبـــوع حـــب تـرتــــوي بنمـيره صحرا الحياة فتستحيل زهورا

حين انتهى الخبر السعيد لخافقي وسمعت عبر المرســلات بشيرا

ومن المناسبات الاجتماعية الخاصة كذلك، ولادة نجود خالد آل ملا في رمضان عام ١٤١٣هـ، يقول في قصيدة (رياض الحسن)[3]:

ريــاض الحسن زهـرتهـا نــجـودُ علــيها اللّه بالنعمـــى يجـــودُ

لقـد بـسمت بهـا الــدنـيا سـروراً وإن جمـــيل طالعهـــا سُــعودُ

فقد ولدت بشهر الصوم يمناً وسابعها مـن الأيام عيدُ

(١) أغاريد من الخليج، ص٢٨.

(٢) أغاريد من الخليج، ص٢٤.

(٣) أغاريد من الخليج، ص٢٧.

والمناسبات الثقافية لها مكان في شعر عبد الرحمن آل ملا وقصيدة (عروس المجد) هي خير شاهد ومثال لهذا النوع من المناسبات، فالقصيدة ألقيت في حفل افتتاح معرض الكتاب النادر الذي عقدته وقامت بتنظيمه بمدينة الرياض مكتبة الملك عبد العزيز العامة، في مساء الأحد ١٧/١٠/١٤١٦هـ تنويهاً بالجهود التي تبذل في جمع نفائس تراث هذه البلاد وأسفار سيرتها التاريخية. والشاعر أحيانا يقول بعض قصائده في المناسبات الطارئة دون تحضير مسبق لها ،ويكون شعره جيدا وغير مبتذل.

يقول الشاعر: جاءني الأستاذ أحمد الهلال [(١)]،وذكر لي أن هناك وفداً زار الأحساء قادما من الرياض من دارة الملك عبد العزيز،وجامعة الملك سعود، بهدف جمع وثائق عن الأحساء، وأن له ثلاثة أيام ولم يحصل على شيء، وطلب مني الذهاب إليهم إلى المتحف،فذهبت،وهناك شعرت كأنهم أحسّوا بالفشل،لأنهم لم يحصلوا على ما يريدون، فطلبت منهم زيارتي بالمنـزل، فحضروا وقاموا بتصوير كل ما يريدون حتى منتصف الليل، وطلبوا مني تزويدهم ببعض الكتب وأسماء أصحابها،فأعطيتهم ثمانية كتب وأسماء مؤلفيها، ولم يرد عليهم أحد سوى شخص واحد قدم اعتذاره لهم؛ وأعطوني دعوة لحضور المعرض بالرياض، وحضرت مع أخي الأكبر، وعندما حضرت وكنت بالفندق،طلبوا مني إلقاء كلمة الوفود، فاعتذرت لهم بان هناك من هو أولى مني من العلماء، ولكنهم أصرّوا فاستعنت باللّه ووافقت، وكان مني أن

---

(١) أحمد بن عبد الرحمن الهلال: شغل مدير التعليم بمحافظتي نجران والأحساء، ثم انتقل إلى كلية المعلمين مديراً لشؤون الموظفين، وأحيل إلى التقاعد عام ١٤٢٨هـ.

كتبت هذه الأبيات [1]، يقول [2] :

سِفــر الحضــارة والمفاخر ينشرُ	في هـذه الأرض المجيدة فانظـروا
آياتــه في كـل فــنّ واقـــرؤوا	مــا سجـــل الآباء فيه وحبّروا
سترون تاريخاً أضـــاء حروفــه	صـدق الجهــاد وفـاح منه العنبر
أمجــاد قــوم بات مــن تاريخهـم	سفرُ الوجـودِ بكـل حرفٍ يفخر
من قاهرُ الصحراء في غليانها إلا	هم! وهـــل الصحارى تقهـر؟!
لكن عـزمهـــم وقـوة بأسهـــم	صُلبُ الحديد عليهما يتكسر

ويقول [3] :

خلق وإبداع وصرح حضارةٍ	فيه الأنام جهودهـــم تتظافـــر
فهناك عمران وأغراس هنـــا	وكتائب تزجى وعلـم ينشــر
هـذي حضارةُ مـن قرأنا هاهنا	آيات نهضتهم وما قد سطـــروا

والقصيدة وإن كانت من وحي المناسبة الطارئة،التي لم يكن الشاعر يعمد إلى نظمها مسبقاً.

ب- شعر الإخوانيات:

شعر الإخوانيات يطلق على عدة أغراض كالعتاب والاعتذار، والشكوى والـشكر،والتهنـئة والتعـزية والفكاهــة والاسـتدعاء والـتوديع،والألغــاز

---

(١) إحدى اللقاءات مع الشاعر، ذو الحجة ١٤٢٧هـ.

(٢) أغاريد من الخليج،ص٧٠.

(٣) أغاريد من الخليج،ص٧٣.

والمساجلات،وقد سميت القصائد والمقطوعات الدائرة في فلك هذه الموضوعات بالإخوانيات ،نسبة إلى الإخوان، ويقصد بهم مطلق الأقارب والأصدقاء على السواء،والعلة في اختيار هذه الأشعار ترجع إلى ما تتميز به علاقة الأخوة من ميزات لا تتوفر مجتمعة في بقية العلاقات الحميمة الأخرى؛كعلاقة الأبوة أو الأمومة،أو العمومة أو الصحبة،فالأخوة تجمع بين آصرة الانتساب وآصرة القرب،ومن أجل ذلك سمي الحب الإنساني باسم الأخوة لكونها أوسع أنواع الحب وأشمله ولأنها النموذج المحتذى في العلاقات الإنسانية[1].

والإخوانيات لون من ألوان الشعر، يعمق العلاقات الاجتماعية بين الشعراء أنفسهم، أو بينهم وبين ممدوحيهم وأصدقائهم،وتدور معانيه في النواحي الاجتماعية الواسعة ،وأهم ما يميز هذا اللون من الشعر أنه شخصي ذاتي ينطلق فيه الشاعر من دائرته الشخصية،فلا يكاد يتجاوزها إلا بقدر ما يصور عاطفته تجاه شخصية أخرى،أو مجموعة من الأصدقاء، ناهيك عن حمله لهموم كبرى أو تطلعات سامية، كما أن الشاعر يتطلع من خلاله إلى جانب نفسي أصيل، هو جانب تصوير عواطفه تجاه صاحبه بأكثر مما يتطلع إلى أي جانب آخر [2].

وليس هذا اللون جديداً في الشعر السعودي، فقد عرفته العصور السابقة، ونظم فيه الشعراء وأكثروا ،فكم من شعراء عباسيين هنؤوا أميرهم أو أحد

---

(١) الإخوانيات في الشعر العباسي؛ د.محمد عثمان آل ملا ،ص٥،ط١، ١٤١٢هـ، النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية ،بتصرف.

(٢) انظر:الشعر في مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة موضوعية وفنية ،د.مجدي محمد الخواجي.ح:١،ص١٩٥ -١٩٧،من مطبوعات نادي مكة الأدبي،ط١ ،١٤٢٦هـ.

أحبائهم بالشفاء من مرضه،أو بحلول العيد السعيد، أو نجاته من مكروه، أو غير ذلك من المناسبات، وكم قرأنا ما نظمه الشعراء الأوائل في معاني العتاب والمؤاخذة، وكم طالعتنا دواوين الشعراء بقصائد الود والمحبة والصداقة بين الشعراء وأحبابهم وإخوانهم [١].

وليس من العجيب أن يشيع هذا الموضوع في الأحساء،بسبب كثرة أدبائه، وبسبب أثر وعي بيئة الشاعر،من آباء وأبناء، وإخوان وأصحاب،ولم تظهر هذه الكثرة في إقليم آخر،حتى بالغ أحد علمائهم فقال وهو يتحدث عن الأدب: إنهم يقولون: كل أهل المبرز شعراء[٢]،وهي مبالغة لها دلالة على كثرة شعر المراسلة والمساجلة؛ وشيوع الارتجال يؤكد هذا الكلام الذي يشبه ما قيل عن أهل الأندلس [٣].

وللقصائد الإخوانية أثواب فنية تبرز فيها أهمها: الرسالة الشعرية، ثم شكوى الحب والغرام، والتشوق العاطفي والدخول المباشر لغرض القصيدة [٤].

وتكون الرسالة الشعرية من جانب واحد إذا كان أحد المتراسلين شاعراً،

---

(١) انظر: مقالة بعنوان(ما هي الإخوانيات)، عبدالله الشباط،جريدة اليوم السعودية،العدد١٠٧٢٩،ت، ٢٤/٨/ ١٤٢٣هـ..

(٢) المبرز:إحدى بلدان الأحساء.. بضم أوله وفتح ثانيه، مع تشديد الراء المفتوحة، وآخره زاي معجمة، والفعل منه برز. والبروز يعني الظهور، وهي ثاني بلدة رئيسية في الأحساء،انظر الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية، عبدالرحمن عبدالكريم العبيد. ج٢،ص٢٤٩،

(٣) انظر:الشعر في الجزيرة العربية نجد والحجاز والأحساء والقطيف خلال القرنين ١١٥٠ -١٣٥٠هـ،د.عبد الله الحامد،ص٢٨٥،دار الكتاب السعودي،الرياض،ط،ب. (د.ت).

(٤) الشعر الحديث في الأحساء:د.خالد الحليبي،ص ١٥٦.

وهذا النمط قليل في شعر الأحساء؛ لشيوع قول الشعر بين المتعلمين [1].

وما نظمه الشاعر عبد الرحمن آل ملا من أبيات حين غادر احمد بن محمد الموسى إلى الولايات المتحدة للعلاج في عام ١٩٩٤م، يمثل هذا النوع من المراسلات، والتي بدأها بنداء صاحبه وإظهار روح الأخوة والشوق، بالإضافة إلى الحديث عن المكانة التي يحتلها صاحبه بين أهله وأحبابه وأصحابه، والفراغ الكبير الذي تركه بسبب سفره وابتعاده عنهم،ودعا اللّٰه الواحد الأحد أن يلبسه ثوب العافية والصحة. يقول في قصيدة (أصدق الإخوان) [2]:

سافرت يا أصدق الإخوان فاتقدت إلى لقاك شموع الشوق في كبدي

وينتقل الشاعر آل ملا إلى غرضه الرئيس، وذلك من خلال تقديم المدائح والصفات التي يتمتع بها صاحبه، فهو في الدنيا البدر والشمس، وهو الذي يسعى لحل معضلات الناس، وهو ماسح دمعة المحتاجين وغيرهم، إلى أن صار خير مثال في المروءة،وخير مثال في الحب والإحسان وفي جميع معاني الإنسانية يقول [3]:

فأنت يا أحمد الدنيـا إذا ابتسمـت وأنت بدر الدجى والشمس في بلدي

فكم سعيت لحل المعضلات وكم مسحـت دمعـة محتاج وذي كمـد

فصرت خير مثالٍ في المـروءة والـ إخلاص والحب والإحسـان والرفد

والشاعر يختم هذه الرسالة إلى أخيه بالدعاء أن يجزيه اللّٰه خيراً بما قدم

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٦.

(٢) أغاريد من الخليج:ص ٨٢ .

(٣) أغاريد من الخليج ص٨٢ .

من أعمال في وجوه الخير، وأن يزيده نعماً إلى ما عنده من نعم ما بقي على قيد الحياة [1]:

جزاك ربي بما أسديت من عملٍ   في الخير خيراً وإنعاماً إلى الأبد

وهيكل الرسالة الشعرية هو هيكل رسالة النثر، لولا مقطع الغزل في وصف شوقه إلى صاحبه، ويصور قصيدته الوافدة، ثم يذكر غرضه ويدعو إلى زيارته ثم يطلب منه إبلاغ السلام لمن أراد، ثم يختم بالسلام، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢).

وسوف نتوقف عند قصيدة الشاعر عبد الرحمن آل ملا التي رد بها على أبيات كتبها الشاعر الكويتي سليمان الجار الله [3] في مدح الشاعر عبد العزيز سعود البابطين [4] في ديسمبر ١٩٩٥م.

يقول الجار الله [5]:

صباح الخير يا رجل الفيافي   ويا من لا يقر له قرار

عليك تحيتي ما لاح صبح   ومر الليل يعقبه النهار

---

(١) أغاريد من الخليج .ص٨٢ .

(٢) الشعر الحديث في الأحساء١٣٠١ هـ، ١٤٠٠، د. خالد الحليبي، ص١٥٦.

(٣) سليمان الجار الله الحسن الجار الله ،من شعراء الكويت . ولد في عام ١٩٢٦م،درس بالمدرسة المباركية في الكويت، حتى نهاية المرحلة الثانوية، عشق الشعر منذ صباه المبكر، وعكف على قراءة دواوين الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي. انظر معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرون،ج٢، ص ٥١٤، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ط١، ١٩٩٥م.

(٤) عبد العزيز بن سعود البابطين شاعر له ديوان من جزأين. ولد عام ١٩٣٦م، لم يكمل تعليمه لكنه منذ صباه، قرأ بشغف لفحول الشعراء، وتأثر بهم. أنشأ مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري عام ١٩٨٩م. انظر معجم البابطين،ج٣، ص٢١٤.

(٥) أغاريد من الخليج، ص٨٦ .

وقد نظم الشاعر عبد الرحمن آل ملا تعقيباً على قصيدة الشاعر سليمان الجار الله في الشاعر عبد العزيز سعود البابطين [1]:

صباح الخير يا صقر الفيافي　　　ومن كل القلوب له قرار

إليك تحيتي ما حن قيس　　　إلى ليلاه واشتاقت نوار(٢)

ويرد الشاعر عبد العزيز سعود البابطين على قصيدة الشاعر عبد الرحمن آل ملا والتي تم إنشادها تعقيباً على قصيدة نظمها الشاعر سليمان الجار الله في الأستاذ عبد العزيز البابطين [3]:

صباح الخير يا شيخ القوافي　　　ومن لي في حناياه قـــــرار

سألتك بالذي أعطاك فهماً　　　فصرتم لا يشق لكم غبار

وصرتم في الملا نبراس عـــزٍّ　　　كما جبل الشفا تعلوه نار

ومما يلفت النظر هنا أن القصائد من بحر واحد هو(الوافر) وقافيتها واحدة. ومن أهم ما تميزت به هذه الرسائل ورود الأسماء فيها،مما جعل وقعها حسنا ومؤتلفا مع سياق البيت، الأمر الذي يولد الارتياح والقبول لدى المتلقي.

يقول الشاعر آل ملا في هذه القصيدة مخاطباً البابطين [4]:

كأنا منك بين يـــــدي جميل[5]　　　وصاحبِ عَزة [1]ولهم يشار

---

(١) أغاريد من الخليج، ص ٨٩ .

(٢) نوار: اسم زوجة الفرزدق.، وهي نوار بنت أعين بن ربيعة، وهي ابنة عمه، طبقات فحول الشعراء،ج٢،ص ٣١٧، دار المدني، جدة (د.ط.)، (د.ت).

(٣) أغاريد من الخليج، ص ٩٣.

(٤) أغاريد من الخليج،ص ٩٠ .

(٥) جميل بن معمر.، من عشاق العرب المشهورين في العصر الأموي، اشتهر بحبه لبثينة فعرف بها(جميل بثينة)

=

فيا عبد العزيز [٢] أجب بصدقٍ فهل لك في فؤاد الغيد ثارُ[٣]

ونجد نفس النهج عند الشاعر عبد العزيز البابطين عندما يقول[٤]:

ستعجب إن عرفت بأن قيساً [٥] سَيُبكيه على حالـــي المثارُ

وتعجب إن عرفــت بأن ليلى سَتُعجَبُ مـن هُيامــي بل تغارُ

وهذه الطريقة في تقرير شكوى الحب والغرام مدخل إلى قلب الصديق، ولعل من أجمل ما تتميز به هذه الرسائل ثناء المجيب على قصيدة صاحبه، وهذا ما حدث من الشاعر آل ملا حيث يقول [٦]:

يقـول أخي سليمان قريظـــاً بوصــفك وهــو للإبــداع جــار

تـرى في شعره سحراً إذا مــا تذكـر مـربعـاً بـرز النضار(٧)

=

طبقات فحول الشعراء. ج٢، ص٦٧١.

(١) عزة هي التي نسب إليها الشاعر الأموي كثير بن عبد الرحمن، (كثير عزة)، طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٤٨١.

(٢) يعني عبد العزيز البابطين .كان معاصرا للشاعر آل ملا.

(٣) الغيد : مفردها غادة، وهي الفتاة الناعمة، انظر العين، مادة (غيد). ص٦١٩.

(٤) أغاريد من الخليج: ص ٩٤ .

(٥) عرف بمجنون ليلى، و هو قيس بن معاذ ويقال قيس بن الملوح أحد بني جعده بن كعب بن ربيعه بن عامر بن صعصعة ، ويقال بل هو من بني عقيل بن كعب بن ربيعه، من شعراء العصر الأموي ، ولقب المجنون لذهاب عقله بشدة عشقه، وكان الأصمعي يقول لم يكن مجنوناً ، ولكن كان فيه لوثة كلوثة أبي حية ، وهو من أشعر الناس .الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص ٣٧٧ دار إحياء العلوم ،بيروت، ط٦، ١٤١٧هـ. بتصرف . وليلى التي في البيت الذي بعده هي التي هام بحبها ونسب إليها.

(٦) أغاريد من الخليج:ص٩٠ .

(٧) وهو مربع بن وعوعة بن سعيد بن قرط من بني كلاب بن ربيعة، وكان راوية جرير، قال الصنعاني: مربع لقبه، واسمه وعوعة. كان يروي شعر جرير فنذر الفرزدق دمه، فقال جرير:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربعُ

انظر الحور العين، نشوان الحميري، كمال مصطفى، ص٥٠٠، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط). ١٩٤٨م.

ويقول عنه كذلك [1]:

بنات الشعر تأتي له سراعاً ... مطيعات لـه ولها انكسار

فيختـــار العجيب وينتقيه ... كلاماً فيه سامعه يـــحار

وما يميز شعر الإخوانيات عامة،وفي شعر آل ملا خاصة؛هو محاولة استيفاء معاني الأخوة، والوقوف على ما يعززها،سواء في حياة الأصدقاء أنفسهم أو بذكر أسباب أخرى قوية تؤكد متانة تلك الأخوة وتزيد من تواصلها، ومن الألفاظ الدالة على ذلك"أصدق الإخوان"، "أخي سليمان".

والشعر الإخواني عنده قليل،وبالرغم من هذه القلة إلا أنه يتميز بكثير من السمات الفنية؛ كرقة المشاعر،وسمة الظرف،وحسن التصوير، وميل الشاعر أحياناً للصنعة اللفظية والبديعية؛وشعره خفيف الروح، يسرُ الفؤاد،والمتلقي لا يجد جهداً في التعامل معه وإدراك مراميه لإحساسه الصادق،وأنه يذكر بعض الشخصيات في قصائده كقيس، وليلى،وكثير عزة، ونوار.

# # #

---

(١)المرجع السابق ص ٩١ .

ج- الشعر الإسلامي:

عند الحديث عن مفهوم الشعر الإسلامي، قد يتبادر إلى ذهن السامع أن المراد به مجموعة من القصائد التي يرد فيها ذكر اسم الله، أو ذكر الرسول الكريم r ، أو تكون مقصورة على الحديث عن الصلاة والصيام والحج وغير ذلك من أركان الإسلام؛ ولكن المفهوم الصحيح للشعر الإسلامي: هو ذلك الشعر الذي تنهض دعائمه على أسس إسلامية ويقتبس معانيه ومضامينه من روح الإسلام، ويشيع فضائله، ويوقظ الوعي في نفوس المسلمين، وينبه إلى الأخطار المحدقة بهم، ويشيد بالقيم الإسلامية، ويبين أثرها في بناء مجتمع إسلامي سليم، يدين بالوحدانية لله، ويعتصم بحبله، ويحتكم في كل أمر إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، على أن هذا المفهوم الواسع للشعر الإسلامي لا يمنعنا من القول: بأن شعائر الإسلام المختلفة كالصلاة والصيام والحج، قد استأثرت بنصيب وافر من الشعر الإسلامي عبر العصور المختلفة لحياتنا الأدبية(١).

ومن المناسب عند الحديث عن هذا الغرض، أن نشير إلى الفرق بين الشعر الديني والاتجاه الإسلامي في الشعر، فالأول يختص بالدين عبادة وزهداً وابتهالاً ومديحاً للنبي صلى الله عليه وسلم؛ بينما يعم الاتجاه الإسلامي أنماط شعر الدين والاجتماع والسياسة والوجدان، وشعر التأمل والوصف، فالأول موضوع، والثاني سمة وطريقة في المعالجة،فشاعر كحسان [٢] يعد ذا اتجاه إسلامي،

---

(١) انظر:الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث، قيمة الفنية في موازين النقد: محمد عبده الشبيلي ص ٣٤، ٣٥، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض، (د.ط). ١٤١٠هـ.

(٢) حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم. من شعراء المدينة، طبقات فحول الشعراء ،ابن سلام الجمحي، محمود محمد شاكر،ج١، ص٢٥١.

لكن شاعراً كابن الفارض [1] يعد ذا موضوع ديني، بصرف النظر عن مدى استقامته، لأن الشعر الديني موضوعه غرض واحد، أما الاتجاه الإسلامي في الشعر فهو سمة وطابع أو روح في الشعر [2]والاتجاه الإسلامي وجد في الشعر السعودي في العصر الحديث منذ بدايته، وقد ازداد توجه الشعراء إلى الإسلام، وكثر شعراء هذا الاتجاه، ومن شعرائه في العصر الحديث: أحمد بن علي بن مشرف [3]، ومحمد بن عبد الله بن عثيمين[4].

وهناك من النقاد من لا يفرق بين مصطلح شعر إسلامي وشعر غير إسلامي، ويعتبر أن كل الشعر إسلامي، ما لم يتعارض مع تعاليم الإسلام، وهو ما ذهب إليه الشاعر عبد الرحمن آل ملا، فهو يعتبر الشعر إسلاميا ما لم يتعارض مع تعاليم الإسلام، أو لا يدعو إلى فاحشة أو إلى باطل أو إلحاد فكل ما ينسجم مع الإسلام، ويتحدث عن أمر مباح فهو إسلامي لأن الأصل في الإسلام هو الإباحة، وهو يرى أن هناك شعر دعوة إسلامية[5]، ويَقصُد بذلك الشعر الذي يدعو إلى معرفة الله سبحانه وتعالى وتقواه، ونبذ كل ما يدعو إلى

---

(١) ابن الفارض: شرف الدين عمر بن علي، المعروف (بابن الفارض) الحموي الأصل، المصري المولد والوفاة، من شعراء الصوفية، المتوفى سنة ٦٣٢هـ.للاستزادة راجع تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ص٣٥٤، دار نهضة مصر ، القاهرة (د.ط) ، (د.ت)..

(٢) انظر:الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (٣٤٥ ـ ١٣٩٥ هـ).د. عبد الله الحامد ص ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٣) من شعراء الدولة السعودية الثانية. ولد في الأحساء. وتوفي بها سنة ١٢٨٥ هـ. انظر مقالة بعنوان احمد بن مشرف والأحساء، لعبدالسلام العبدالسلام ، جريدة اليوم العدد ٦٥٤ ، ١٣٩٢/٧/١٠هـ، ص٧

(٤) شاعر نجد في النصف الأول من القرن الرابع عشر توفي سنة ١٣٦٣ هـ، انظر وقفات على الاتجاه الإسلامي في الشعر العربي . عبد العزيز محمد الفيصل، ص ٧٧ـ ٧٨، الناشر المؤلف ،الرياض، (د.ط)، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م.

(٥) إحدى اللقاءات مع الشاعر في ذي القعدة ١٤٢٧هـ.

الرذيلة والبعد عن الله سبحانه وتعالى، وشعر الدعوة الإسلامية في ديوانه كثير نلمسه في قصائده، بل لا تكاد تخلو قصيدة له من هذا الغرض،ونلمس ذلك بوضوح عند تصفح شعره، يقول في قصيدة (تأمل ومناجاة) [1]:

ربـي أمـنتُ أنـك الـواحد الـ ... ـحـق وهــذا الوجــودُ مــن

فإلى ظل كهف جودك أهفو ... بفــؤادٍ تعاظمــت عثــراته

قد رأى الحق مشرقاً في ثنايا ... هديك الحق فانجلت ظلماته

ويقول في قصيدة في (من حلى الإيمان) [2]:

فــإذا مــا شــئت تحــيا ... في نعـــــيم وامتــــــناع

فاهجـــر الـــشر وغـــنِّ ... للأنــــا لحـــن الــــوداع

ويقول مخاطبا المنافق[3]:

ألا تتقـــي الله يـــا ظالمـــاً ... لحلـي الـرجولة رمـزُ الـورع

ومعظم قصائد الشاعر عبد الرحمن آل ملا لا تخلو من الدعوة إلى المحبة، وكذلك الدعوة إلى ما يحمله الإسلام من معان كريمة كالحب والتآلف ونبذ الفرقة، والعمل على تطوير الأمة ومواساتها في آلامها يقول[4]:

في ظـــل حـــب صـــادق ومـــودة ... بـرحابها صـرح التحضر يرفع

فيعيش كل الناس في أرض الرخا ... والحــبَ نبراســاً لمـن يـتطلع

(١) أغاريد من الخليج ، ص ١٣.

(٢) أغاريد من الخليج،ص ١٩.

(٣) أغاريد من الخليج، ص٩٨.

(٤) أغاريد من الخليج، ص ١٠٥.

ويقول كذلك[1]:

تباركت الأيدي التي ترفع البنا   وتنشر في الأرض المحبة للغير

ويقول داعيا إلى المحبة والتآخي، مبينا أثر ذلك في حياة الناس ومجتمعهم ومحيطهم لا بل في عالمهم أجمع [2]:

اجعلوا الحب حمى في ريفه   تنعم الدنيا بأمن دائم

وأقيموا بالتآخي والعطا   قلعة تحمي سلام العالم

ويكثر في شعر عبد الرحمن آل ملا ذكر أبطال الإسلام، وذكر بعض الأحداث التي كان للمسلمين شأن فيها يقول في قصيدة (ذكرى) [3]:

إلى السلف المرضي كان انتماؤهم   وفي مذهب النعمان زندهم أورى[4]

ويقول في قصيدة (البوسنة في محنة الصراع) ذاكرا اسم المعتصم بالله ـ الخليفة العباسي الذي هب للدفاع عن امرأة استغاثت به ، من حصن زبطرة عندما اجتاحه الأعداء، يقول فيها [5]:

فالزبطرية في كل الدنيا   لم تزل تبحث عن معتصم (٦)

---

(١) أغاريد من الخليج، ص ٧٥.

(٢) أغاريد من الخليج، ص ١٤٥.

(٣) أغاريد من الخليج، ص٨٠.

(٤) السلف :أصحاب العقيدة السلفية. والمراد بالنعمان: النعمان بن ثابت، صاحب المذهب الحنفي، المتوفى سنة ١٥٠هـ . الأعلام، ج٩، ص٤. ، المكتبات المدرسية ، المملكة العربية السعودية، ط١، (د.ت).

(٥) أغاريد من الخليج، ص١٣٨.

(٦) الزبطرية: نسبة إلى زبطرة، اسم البلد التي استغاثت منها المرأة بالمعتصم فأغاثها عندما تعرضت للإهانة على يد أحد الروم. ونزل على حصون كثيرة منها (عمورية) وقد خلد أبو تمام هذه الواقعة بقصيدة رائعة مطلعها: السيف أصدق إنباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب

ومنها : لبيت صوتاً زبطرياً هرقت له   كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

الروض المعطار في خبر الأقطار ، محمد بن عبدالمنعم الحميري، إحسان عباس، ج١، ص٢٨٥، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت، ط١ ، ١٩٨٢م.

ويظهر في شعر عبد الرحمن آل ملا التألم لوضع المسلمين، وشعره في هذا المجال مؤثر ولاذع،يحكي عن الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية يقول في قصيدة (شكوى) [1]:

ألا قومي فداكم كل غالٍ فمالي من السلاح سوى القصيد
بحثت فلم أجد أحداً يلبي كأن القوم في سفر بعيد

ويقول في نفس القصيدة معاتبا أمته، بل مقرعاً لها، متسائلا عن سبب عجزها في اللحاق والوصول إلى التقدم الذي أحرزته الأمم الأخرى في المجالات المختلفة:

ترقى العالمون لكل أفق وقومي عاجزون عن الصعود
لماذا الغرب كان أعز شأناً أليس الناس من أصل وحيد

ويقول كذلك مذكرا ومبينا أن المآسي والكوارث والنكبات انتشرت في طول العالم الإسلامي وعرضه [2]:

وشاهدُ الحال في الأفغان تشهده وفي ربى الأرز أو أنقاض صومال
فقد غدا الموت أحلى ما تجرعه بنوهم من مرارات وإذلال

وهو يشير هنا للحرب الأهلية الشرسة في أفغانستان، التي اندلعت في أثر حرب التحرير من الاحتلال الروسي، وذلك بين فصائل المقاومة بقيادة عدد من رجالها، كبرهان الدين رباني رئيس الجمهورية، ورئيس وزارئه قلب الدين حكمتيار،

(١) أغاريد من الخليج، ص١١٩.

(٢) أغاريد من الخليج، ص١٢٩.

منذ عام ١٩٨٦م.،وإلى الحرب الطاحنة التي عمت جميع طوائف وأقاليم لبنان، وذهب ضحيتها عشرات الألوف من سكانها على مدى خمس عشرة سنة، وذلك من سنة ١٩٧٥ـ ١٩٩٠م. ثم إلى الحرب الأهلية المدمرة في جمهورية الصومال التي ذهب ضحيتها مئات الألوف ، وأحالتها إلى أنقاض وأشلاء، وكان اندلاع تلك الحرب سنة ١٩٩١ م، ومن أبرز المتنافسين في تأجيج هذه الحرب: محمد فارح عيديد، وعلى مهدي محمد.

والشاعر دائما وكما عودنا في معظم قصائده، يدعو في نهاية هذه القصيدة إلى الاتحاد ونبذ الفرقة والتمسك بتوحيد الله سبحانه وتعالى، يقول[١]:

يا قوم إن حمى التوحيد فيه حمى ... من كل مُتَّجِرٍ بالناس ختال (٢)

ويقول كذلك داعيا الأمة إلى نبذ الخلاف، وطرح الضغائن والأحقاد وإلى التآلف والاتحاد والتماسك[٣]:

لا تجعلوا الدين شوكا في طريق بنا ... فالدين زاد البنا مذ جاء يا آلي

شمس الحضارة ما شعت على أفق ... يلفه الجور والديجور في حال[٤]

يا أمة الله إن شئتوا النجاة فلا ... تبقوا على جدل مستهجن بال

وقلموا مخلب الأطماع وانتصروا ... على الضغائن والأهواء في الحال

ووحدوا جهدكم في كل معترك ... وابنوا من الحب صرح الموطن الغالي

---

(١) أغاريد من الخليج ص ١٣٠.

(٢) الختال: الخدّاع، انظر مختار الصحاح، مادة (ختل)،ص١٦٩.

(٣) أغاريد من الخليج، ص ١٣١.

(٤) الديجور: الظلام، انظر مختار الصحاح مادة (دجر). ص١٩٩.

شعــر الوصــف:

يعد بعض النقاد الوصف أشمل الأغراض الشعرية المعروفة في الأدب، ويرى ابن رشيق [1]: (أن الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف) [2]، فهو عماد أكثر الأغراض الشعرية، فالمدح وصف نبل الرجل وفضله، والنسيب وصف النساء والحنين إليهن، والرثاء وصف محاسن الميت، والهجاء وصف سوءات المهجو وتصوير نقائصه[3].

والوصف ريشة فنية، يمسك بها الشاعر ليرسم لنا ما يراه من أوصاف مادية أو مشاعر يحس بها، والشاعر الواصف بذلك لا يقل شأناً عن ذلك المصور أو الرسام، بل إن الشاعر الواصف يرسم صورة حية تجعل المتأمل فيها يشعر بحقيقة هذه الصورة وجمالها[4].

ويرى قدامة بن جعفر أن الوصف: (إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء

---

(١) ابن رشيق القيرواني٣٩٠ - ٤٦٣ هـ / ١٠٠٠ – ١٠٧١م، الحسن بن رشيق القيرواني أبو علي.أديب، ناقد، باحث، شاعر،رحل إلى القيروان سنة ٤٠٦هـ ،مدح ملكها،واشتهر فيها. للاستزادة انظر الوافي بالوفيات صلاح الدين الصفدي. ج١٢،ص١١. تحقيق: رمضان عبدالتواب،فرانس شتانير،بفسبادن ،ط٢، ١٣٩٤هـ ،١٩٧٤م.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ابن رشيق القيرواني،محمد محيي الدين عبدالحميد، ج٢، ص ٢٩٤ دار الجيل، بيروت، ط ٥، ١٤٠١ هـ.

(٣) انظر: مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: بكر شيخ أمين، ص ١٤٩، دار الشروق ،بيروت، (د.ط)، ١٣٩٢هـ، وانظر المؤرخ عبيد مدني حياته وشعره: إبراهيم عبد الرحمن المطوع،ص ١٩،الرياض ط ١، ١٤١٩ هـ ، وانظر التجربة الشعرية عند ابن المقرب: د. عبده عبد العزيز قليقلة، ص٢٩١، النادي الأدبي بالرياض،ط١، ١٤٠٧ هـ .

(٤) المؤرخ عبيد مدني حياته وشعره، إبراهيم المطوع، ، ص ٢٩١..

المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها، ثم بأظهرها فيه، وأولاها حتى يحكيه بشعره، ويمثله للحسن بنعته) [1].

ويعتبر هذا الغرض أقل حظاً من بقية الأغراض الأخرى عند الشعراء السعوديين المعاصرين على وجه العموم، وإن كان هذا القليل من شعر الوصف جيداً، فقد وصف الشعراء السعوديون الطبيعة الجميلة، بمائها، وسمائها، وأشجارها، وأزهارها، كما وصفوا المحافل والمؤتمرات وغيرها من الأمور المحسوسة والمعنوية[2].

والشاعر عبد الرحمن آل ملا شاعر بارع في وصفه، وبلغ منزلة عالية في هذا المجال؛ ومن الموضوعات التي تناولها الشاعر في هذا الغرض:

١ــ شعر الطبيعة:

ولعل ما يميز الشاعر في هذا الموضوع أنه ابن بيئة ترسم الطبيعة فيها أحلى المناظر والألوان، فالأحساء بخضرتها وعيونها المتفجرة، وما فيها من بساتين جميلة،وبما فيها من معين جار يتصاعد بخاره في الشتاء، ويفيض بارداً في الصيف،جعلت قريحة الشاعر تفيض شعراً في مجال الوصف، ولا سيما وأن الشاعر معجب بطبيعة الأحساء التي نشأ وترعرع فيها، يقول في وصف عين

---

(١) نقد الشعر. قدامة بن جعفر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ص ١٣٠، دار الكتب العلمية ، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

(٢) الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث قيمة الفنية في موازين النقد،محمد عبده الشبيلي. ص ٤٢ ـ ٤٥.

الجوهرية[1] :

ليت شعري فما الطبيعة حلم	إنهـا والجمـال بـين يـديا
تلكم الروض والحقول وجوٌ	عاطـر يـبعث النـسيم نـديا
ومـروج للجوهـرية فـيها(٢)	همسات تزجي الهوى عذريا
إن سـر الجمـال لـيس يـراه	غير من كان شاعراً عبقريا

وعندما زار مدينة الطائف أعجب بها أشد الإعجاب ، أعجب بما فيها من طبيعة ساحرة ، وجبال شاهقة ، واعتدال للجو في فصل الصيف، يقول في قصيدة (عروس من الطائف) [3] :

جـو كأنفـاس العـذارى رقـة	وربـى مطـرزةٍ بوشـي مـترف
والمـزن تحـضنها بـرفق تـارة	وتـروعها أخرى بدمع واكف
فإذا اللآلي في الشعاب جداول	حيناً وحيناً نهر سيل جارف
والشمس في خفر تغازل دوحها	ويبز فيها الطير عزف العازف

وهـو هـنا لا يكتفـي بوصـف الطبـيعة المتحـركة، بـل يـتجاوز ذلـك إلى وصـف مظاهـر الطبـيعة الجامـدة. وقـد رسـم لـنا صـورة جمـيلة في قـصيدة (عـروس مـن الطائـف) عـندما وصـف قـصور الأمـير مـتعب بـن عـبد العزيـز الـتي تفـوق الوصـف،وحار الـشعر أن يـرسمها ،لأنها صـرح مـن الإبـداع ،وذوق رفـيع يلـيق بصاحبها يقول في نفس القصيدة (٤):

أما زمردة القصور لمتعب	في قروة فتفوق وصف الواصف

---

(١) أغاريد من الخليج: ص ٥٤.

(٢)الجوهرية: عين ماء جارية تقع شمال شرق مدينة الهفوف في قرية البطالية.

(٣) أغاريد من الخليج: ص ٦٣.

(٤) أغاريد من الخليج، ص ٦٤.

في نعتها حار البيان وعطلت لغة اليراع أمام أروع موقف

صرح من الإبداع شِيدَ وصاغه الذوق الرفيع بكف حسن مرهف

فأتى كأروع لوحة خلابة خطت من الإبداع أعجب أحرف

ويقول في وصف تفصيلي لهذه القصور[1]:

انظر مغانيها الحسان ترى بها من معجزات العصر ما لم يعرف

انظر إلى تلك القصور تجد بها من معطيات الفن أجمل متحف

انظر إلى تلك الجنان تعانقت أغصانها في نشوة وتلهف

في شكل أقواس تدلت تحتها شتى ثريات الكروم اللطف

وقد احتوت بين الخمائل مسرحاً بز الرخام به لُجين الصَّيْرَف

٢ــ وصف البلاد السياحية:

وقد ابتعد الشاعر قليلاً وتجاوز حدود بلاده إلى مدينة عزيزة، كانت منارة للحضارة والتقدم، والعلم، وهي مدينة الإسكندرية[2] يقول في قصيدة (مسافرة في أعماق شاعر)[3]:

دار الحضارة والجمال الراقي أنت التي هامت بها أشواقي

شطآنك الزرقاء في أمواجها سحر الهوى ومصارع العشاق

وبرملك صاغ الزمان ملاحم الـ ـمجد التليد وكل فن راقي

كنت ومازلت مناراً للنهى والعلم والإبداع والإشراق

---

(١) أغاريد من الخليج، ص ٦٤ ـ ٦٥.

(٢) الإسكندرية: مدينة شمال القاهرة في مصر. تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهي ميناء تجاري هام.

(٣) أغاريد من الخليج: ٥٩.

والمتأمل في هذه القصيدة يلحظ الثقافة الواسعة للشاعر، والإطلاع المتأني له، وهو ذلك الكفيف عندما نتأمل وصفه في شعره نجد وكأنه بصير ومشاهد لما يقول ويقدمه في القصيدة، ومرد ذلك إلى كثرة الرحلات التي قام بها الشاعر في حياته والتي أمدته بهذه الثقافة العالية. ويقول في نفس القصيدة[١]:

هل يعلم الإغريق أن سهولك	في سفرهم من أنصع الأوراق؟
هل يعلم اليونان أن تراثهم	لولاك لم يشرق على الآفاق؟
هل يعلم الرومان أن فينيسيا	منك استعارت ناعس الأحداق؟
هل يعلم القرصان أن مياهك	قبر لناعم حلمه البراق؟

والشاعر عبد الرحمن آل ملا يتجاوز إعجابه المسافات، ويبتعد إلى استكهولم[٢] تلك المدينة الأوروبية الجميلة التي اكتست بالخضرة، وكأنها جنة الدنيا، ومن يتأمل هذا الوصف الدقيق يجد لوحة جميلة يرسمها الشاعر يقول في قصيدة(لوحة من استكهولم)[٣]:

نثر الأصيل على البساط الأخضر	قطع النضار فشمت أروع منظر
ورأيت أسراب الأرام خلاله	تختال في دلٍ وجوٍ ساحر
تترد الضحكات في أرجائه	نغماً يطير مع النسيم العاطر
لله في استكهولم آيات هي الـ	فردوس إذ لاحت لعين الناظر

٣ ــ وصف العلم وطلابه:

يبدو جلياً لقارئ شعر آل ملا تأكيده على العلم وجعله سر نجاح الإنسان

---

(١) أغاريد من الخليج: ص ٦٠ ـ ٦١.

(٢) استكهولم: عاصمة دولة السويد.

(٣) أغاريد من الخليج، ص ٧٤.

في الحياة، وهو يرى أن الإنسان بلا علم ليس له قيمة، وأن الأمة غير المتعلمة هي في سبات عظيم وجهل دائم، يقول في (قصيدة العلم أ كسير الحياة) [1]:

وما قيمة الإنسان لو لم يكن له   من العلم نبراس يزيل الغياهبا

والشاعر يربط بين نجاح من تعلموا ووصلوا إلى أرقى درجات العلم بذلك الأستاذ المثقف، الذي كرس جهده وعلمه لذلك الشباب الناجح المتألق في حياته العلمية، يقول في نفس القصيدة[2]:

هبوا لي أستاذاً حصيفاً مثقفاً   أهبكم شبابا للعلا متوثبـــــــاً

وفي قصيدة (في موكب العلم) يكرر وصفه للعلم وأهله، وأن المتعلمين هم فرسان ولولاهم لم يقم في الأرض العمران والتقدم، يقول [3]:

فهـــم بـــناة العـــلا تـــسمو بهمـــتهم   لـذروة المجـد أجـيال وأوطـان

صـقل العقـول وتهـذيب الـنفوس همـا   من بعض غايتهم والزرع إيمان

الكـد والجـد والإخـلاص شـيمتهم   في سعيهم فهم للفضل عنوان

وهـم شمـوع الدجـى تزداد ما احترقت   تـوهجاً ولهـم في الناس إحسان

٤ـ وصف مجالس الأنس:

وقد وصف الشاعر عبد الرحمن آل ملا مجالس الأنس، وما يشرب فيها من الشاي، متغزلا به وبمذاقه، وهو يكرر نداء الساقي، الذي تكرر لدى الشعراء، ولعل الشاعر في وصفه للشاي تأثر بوصف الخمر في الشعر العربي،

---

(١) أغاريد من الخليج، ص ٢٨.

(٢) أغاريد من الخليج: ص ٢٨ .

(٣) أغاريد من الخليج: ص ٣١.

يقول في قصيدة (الشاي عند الأصيل)[1]:

بكأس الشاي فاطم عللينا ... فإنا لم نزل به هائمينا

والشاعر لا يعجبه أي نوع من الشاي، فهو يريده بأوصاف خاصة، لون معين، وطعم مميز، يراه مناسباً له، فاللون يشبه دم الظبي في الاحمرار، والطعم يشبه طعم الشهد، يقول[2]:

أديريه كدم الظبي شكلاً ... وطعم الشهد حتى تثملينا

فإن الشاي حين يجيء صرفاً ... تطيب به النفوس متى عنينا

ويستمر الشاعر في وصف جمال ذلك الشاي، ويستمر في عرض تلك الأوصاف يقول[3]:

شعاع الشمس حين يذوب فيه ... أويقات الغروب ترى فتونا

فتطرب تارة وتغيب أخرى ... بغمرة بهجة تهب الجنونا

وما شأن المُدامة إن تراءت ... كؤوس الشاي تحتل الصحونا

ومن الملفت للنظر أن الشاعر يدخل الطرفة والنكتة في وصف الطبيعة، وذلك من خلال تغير ملامح تلك الطبيعة خلال فترة وجيزة يقول الشاعر: في يوم من سنة ألف وثلاثمائة وأربع وثمانين هجرية، خرجت مع نخبة من الأساتذة والزملاء للتريض في موضع قريب من مدينة الرياض، وكان ربيع تلك السنة قد طرز الصحراء بخمائل زاهية من الأعشاب والأزهار البديعة المتنوعة، تتخللها

---

(١) أغاريد من الخليج، ص٧٨.

(٢) أغاريد من الخليج ،ص٧٨.

(٣) أغاريد من الخليج ،ص٧٨.

أشعة الشمس فتكسبها منظراً خلاباً زاد من روعته صفاء السماء واعتدال الرياح التي كانت تهب برفق فتعطر الأرجاء بأنفاس الخزامى والعرار. هنا سألني أحد الحضور أن أصف ذلك المنظر الرائع شعراً، فقلت على الفور[1]:

إذا أمرعت نجد حسبت رياضها صدور العذارى طرزت بالجواهر

فأعرب أحد الأساتذة عن استحسانه لذلك قائلاً: حسبنا هذا، ولم يمض علينا في هذا الحال ثلاث ساعات تقريباً حتى تغير كل شيء حولنا. فقد اكفهرت السماء وتلفعت بسحب من الغبار الداكن، وهبت عواصف عاتية نثرت علينا من حبات الرمال ما يشبه رؤوس الإبر، كما طوحت بالخيام وقدور الطهي، فلذنا بالسيارات وأحكمنا إغلاق نوافذها، وما زلنا داخلها حتى هدأت العاصفة ومال الجو إلى الاعتدال، فنزلنا وطفقنا نلملم ما تبعثر من الأمتعة، وإذا بتلك الخمائل وقد ارتدت عمائم من الأتربة والغبار، فسألني أحدهم عن الجواهر وصدور العذارى وكيف كان مصيرها، فأجبت:

وإن أمحلت نجد حسبت فلاتها خدود عجوز مزقت بالأظافر

فقال أستاذنا الفاضل: حسبك هذا فلا تزد عليه ،فأردفت قائلاً:

علــى أنهــا في الحالــتين عزيــزة علـى أهلـها يفـدونها بالنواظـر

فقال: نعم. هذا قول يحسن السكوت عليه.

وأنت تدرك معي أن قائل ما سبق هو شاعر كفيف، ولكن لو قرأت هذا من دون أن تعرف أنه كفيف، لا يطوف ببالك أنه قول شاعر فاقد البصر.

---

(١) أغاريد من الخليج: ص٧٦.

شعر التأمل والحكمة:

١ــ شعــر التأمــل:

شعر التأمل هو شعر الفكر، ونتاج العقل أولاً، ثم العاطفة،وهو يصور الفكرة في ذهن الشاعر منذ نشوئها حتى تكتمل، بعرضها ونتائجها، ومنه السلبي الــــذي جـــاء نتـــيجة لتخـــبط العقـــل الإنـــساني في مـــتاهات لا يـــستطيع أن يـــدركها، لأنـــه لم يـــؤهل لـــذلك، كالمغيـــبات أو مـــا جاء نتيجة تفكير جرى بطريقة خاطئة، ومنه الإيجابي الذي يخدم الإنسان، ويوصــل المعــتقد الــسليم في نفــسه، وهــو مــا هــدانا إلــيه ديــنــا الحنــيف، ليصل به الإنسان إلى المعرفة الحقة بالخالق الواحد (١)، وبهذه الطريقة تأمل عبد الـرحمن آل مـلا في قصيدته (تأمـل ومـناجاة) فوصـل إلى نـتيجة سـليمة. يقول(٢):

سـرح العقـل مـرة نظـراته ... في صنيع الإلـه في معجـزاته

ودعـــاه إلى الـــتأمل ســـرٌ ... في ضمير الوجود كُنهُ حياته

أي ســـر هـــذا ومـــازال للّه ... دلـــيل يمـــور في كائـــناته

والشاعر بعد ذلك يتأمل كل شيء حوله، الليل بما فيه من ظلمة، والنجم الذي تألق ، والروض الذي يُنبت الأمل والشوق، يقول(٣):

فانظــر اللــيل قــد تألــق فــيه ... كل نجم وأغطشت حلكاته

وانظـر الروض ينبت الأمل البســ ... ـــام فيه والـشوق(٤) في جنباته

---

(١) الشعر الحديث في الأحساء، ص١٧٢.

(٢) أغاريد من الخليج: ص ١٢.

(٣) أغاريد من الخليج ،ص ١٢.

(٤) هكذا وردت في الديوان، ولعل الأصل: (الشوك)، ليستقيم المعنى.

وبعد هذا التأمل الهادئ، وهذا الوقوف الدقيق على بعض صنع الرب جل جلاله يقول[1]:

فتأمل يا عقل خالقك الجبـ ـار إني لديك من آياته

ويتأمل الشاعر في القمر وما فيه من وجوه جميلة جعلت الشاعر يطلق عليه أوصافا لا تليق إلا بمن يمتلك مقومات الجمال، فالقمر هو السحر وهو الساحر في وقت واحد، وهذا الساحر في كل يوم له طلة جميلة يظهر لنا نوره الجميل الزاهي، يقول[2]:

أنت لعمري السحر والساحر برغم ما قالوا وما قدروا

في كل يوم للدنى حلة من نورك الزاهي بها تظهر

والشاعر عبد الرحمن آل ملا عندما يتأمل القمر وجماله يشعر بالتفاؤل الكبير خصوصاً عندما يولد في بداية الشهر، تزدهر الآمال والأعصر، وهو في هذه الولادة طفل باسم حتى يكبر ويكتمل بدراً، وهو بعد ذلك مصدر للأضواء في هذا الكون الفسيح يقول[3]:

ميلادك الشهري عيد به تزدهر الآمال والأعصر

مازلت طفلاً باسماً بالرؤى حتى يتم البدر إذ تكبر

بحيرة الأضواء في كوننا أنت لها الينبوع والمصدر

والشاعر بعد هذه التأملات الجميلة والدقيقة للقمر وسحره، يتهم القمر

---

(١) أغاريد من الخليج ،ص ١٣.

(٢) أغاريد من الخليج ،ص ٣٥.

(٣) أغاريد من الخليج ،ص ٣٥.

بالخداع لأنه صاحب وجهين، وأن الناس تقول ذلك، إلا أنه سرعان ما يفند تلك الأقوال ويطلق على القمر أجمل الأوصاف، يقول[1]:

قالوا خدعت الناس في أرضنا عن وجهك الثاني وما فكروا

بأنك الحسناء في عرسها وأنك الإلهام والشاعرُ

٢ــ شعر الحكمة:

تعريف الحكمة: جاء في أساس البلاغة:((أن أصل الحكمة مشتق من قولهم حكم الفرس أو أحكمه، ثم ينقل الزمخشري معنى الحكمة فيقول :حكموه جعلوه حكما، ورجل محكم، مجرب منسوب إلى الحكمة وحاكمته إلى القاضي رافعته، وهو يتولى الحكومات ويفصل الخصومات، وحكم الرجل مثل حلم صار حكيماً، وأحكمته التجارب جعلته حكيماً) وفي اللسان: ((الحكمة من العلم، والحكيم العالم، وصاحب الحكمة هو المتفق للأمور))[2] . ((وهكذا نجد أن لفظ الحكمة شاملة للمعرفة الدقيقة بكل ما يتصل بأمور الدنيا والدين من معارف أو أحكام، ولهذا جعلوا الحكمة اسماً للعقل لأنه يمنع صاحبه من الجهل، فهي جوهر المعرفة))[3].

ويرى حازم القرطاجني [4]: أن أبيات الحكمة في القصيدة بمنزلة التحجيل

---

(١)أغاريد من الخليج، ص ٣٦.

(٢) أساس البلاغة،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري. ص٨٩، مكتبة لبنان، بيروت،ط١، ١٨٨٦م.

(٣) تاج العروس، للزبيدي. ج٨، ص٢٥٣ ،٢٥٤.محمد مرتضى الزبيدي، .منشورات دارالحياة،بيروت،(د.ط)، (د.ت).

(٤) حازم بن محمّد بن حسن بن محمّد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطاجني النحوي أبو الحسن شيخ البلاغة والأدب. المتوفى في تونس سنة ٦٨٤هـ. الأعلام للزركلي، ج٢،ص ١٦٣.

للفرس، وقد شرح ذلك فقال: (إذا كان التخيل هو قوام المعاني الشعرية، فإن الإقناع هو قوام المعاني الخطابية، واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعرية سائغ إذا كان ذلك على جهة الإلماح الموضع بعد الموضع، وإنما ساغ ذلك، لأن النفوس تحب الافتنان في مذاهب الكلام وترتاح للنقلة من بعض ذلك، والفن المراوح بين معانيه أفضل من الفن الذي لا مراوحة فيه، لكن ينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة والواقعة في الشعر تابعة للأقاويل المخيلة ، ومؤكدة لها فيما قصد بها من الأغراض وأن تكون المخيلة هي العمدة ، وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيلة الواقعة فيها تابعة للأقاويل المقنعة ومؤكدة لمعانيها ومناسبة لها وأن تكون الأقاويل المقنعة هي المعدة). [1]

والمتأمل في شعر عبد الرحمن آل ملا يجد الكثير من موضوعات الحكمة، ومنابع الحكمة في شعر ه هي القرآن الكريم الذي حفظه الشاعر وتعلمه في سن مبكرة ، والقرآن الكريم وما فيه تنمية لذوق دارسيه ، ورفع مستوى فكرمن يقرأه ويتأمل آياته ، وهو الذي تحدى به الله العرب جميعاً على الرغم من وجود الفصحاء والبلغاء فيهم. ومنبع آخر هو الثقافة العالية التي يتمتع بها الشاعر، سواء من خلال ما تعلمه في المعهد العلمي وما بعده ، أو من خلال الرحلات التي قام بها في حياته؛ والتي أكسبته الكثير من الحكمة والتجارب، يقول الشاعر معلقاً على قصيدة (وجوه ومرايا): [أنها تجسد بأمانة وصدق معاناة اصطليت نارها ،وتجاربها ،وتجرعت مرارتها ، ومشاهد شوهاء من أحوال بعض الناس ومواقفهم ،وما تقوم عليه العلاقات بينهم من القيم

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تأليف حازم القرطاجني ، محمد بن الحبيب بن الخواجة، ص ٣٦١ -٣٦٢، تونس،(د. ط) ١٩٦٦م.

العقيمة والممارسات السقيمة] (١) ،ويتضح من خلال حكم الشاعر تأثره بالشاعر أبي الطيب المتنبي(٢) في كثير من أفكاره بالإضافة إلى إعجابه بالشاعر ابن المقرب العيوني (٣)،ويقول في ذلك: (وقد ألهمني الإحساس بضرورة صياغة تجربتي هذه الشاعر الأمير جمال الدين علي بن المقرب العبقسي العيوني ،

واقتراب الذكرى القرنية الثامنة لوفاته التي لا يفصلها عنا سوى أربعة أعوام. فحين أبحرت في محيط تجربته الشعرية، وصادفني ما بها من المعاناة والآلام وجدت أن بين جوانحي من الألم والإحساس بهموم الأمة العربية والإسلامية ما يمثل ذلك أو يزيد . فلعلي بما استجليت من جواهر تجربته، وما أضفت إليها من لآلئ معاناتي وتجاربي، قد نظمت بهذه القصيدة عقداً ترتديه الأمة كل الأمة ليلة زفافها للمجد،وما ذلك على اللّه بعزيز)(٤)، والقصيدة التي يقصدها الشاعر هي قصيدة (وجوه ومرايا) التي يغلب على أبياتها الحكمة الصادرة عن خبير متأن، يعيش بين هذه الأمة ويعرف همومها وما بها من عادات وطبائع ، خيرها وشرها.

---

(١) وجوه ومرايا، ص ٢.

(٢) أبو الطيب المتنبي.أحمد بن الحسين ، الشاعر العباسي ذائع الصيت، المتوفى سنة ٦٢٩ هـ. انظر: شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ط)، ١٤٠٧هـ.

(٣) ابن المقرب : علي بن المقرب بن المنصور بن المقرب بن الحسن بن غرير بن ضبار بن عبد الله بن علي بن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الربعي البحراني العيوني ، والربعي نسبة إلى قبيلة ربيعة، والبحراني نسبة إلى البحرين؛ والعيوني نسبة إلى قرية العيون،ويسمى الأحسائي نسبة إلى الأحساء عاصمة الدولة العيونية،المتوفى سنة ٦٢٩هـ، انظر : التجربة الشعرية عند ابن المقرب:عبد العزيز قليقلة.ص٧،وما بعدها. النادي الأدبي في الرياض، (ط١)، ١٤٠٧هـ.

(٤) وجوه ومرايا، ص ٢.

موضوعات الحكمة في شعر عبد الرحمن آل ملا:

١ ــ الأمة الجاهلة:

وهو غير راض عن تلك الأمة التي تفضل العيش في الظلام والقبور، يقول عنها[1]:

وإن تلتمس في ثورة العلم حظها ستلفي لها صفر الشمال مقيدا

وهو في نفس الوقت يرى أن هذه الأمة الجاهلة، وما بها من تخلف وبعد عن العلم والمجد هو من نفسها، وأن شفاءها صعب وبعيد، يقول[2]:

إذا كان داء القوم من عند نفسهم فما أصعب البرء المراد وأبعدا

٢ــ التنكر للبلاد وأصل الإنسان:

وهذه من الموضوعات التي عالجها الشاعر بالحكمة، وهي من العادات التي شاعت في وقتنا الراهن، يقول[3]:

فلا خير فيمن لا يرى لبلاده عليه حقوق الأم والأمُ تفتدى

وأقبح بمن قد عب من ثدي أمه وأنشب فيه الناب حتى تقددا(٤)

٣ــ الفخر بالأعراق والجدود:

وهي من السلبيات التي سادت في مجتمعنا،وحاول الشاعر الوقوف عليها

---

(١) وجوه ومرايا، ص ٤ .

(٢) وجوه ومرايا ،ص ٥.

(٣) وجوه ومرايا، ص ١٨.

(٤)القد: القطع . انظر العين، مادة(قدد)،ص ٦٥٨.

وعلاجها ،وبين أن الفخر بالأعراق والجدود هو إفلاس من القيم، يقول[1] :

وليس عظيماً من إذا قيل ما الفتى   تباهى بما شاد الـــــجدود وعددا

٤ـ الذكر الحسن للإنسان:

والذكر الطيب هو الذي يبقى للإنسان على مدى الأيام،يقول[2] :

وما المرء بين الناس إلا حكاية   سيمكث منها عندهم ما تأكدا

فعطر بذكراك الدنا واتخذ لها   بسفر النقا والصدق سطرا موردا

٥ـ الحقـــد:

وهو من العادات القبيحة التي تظهر في المجتمع، وفي فئة من الناس يقول ذاماً هذه الصفة في الإنسان[3]:

وكم حاقد قد صبَّجام ضغونه   علـى مـن إلـيه مـد في محـنة يـدا

٦ ـ النفـــاق:

وتناول هذه الصفة الذميمة في أكثر من موضع يقول: [4]

ورب وصـــولي تقـــد حـــباله   حماقته والسعي للناس بالكدى

فصار كمن في الغزل تنفق وقتها   وتـرجعه بعـد الـتمام كمـا بـدا

٧ ـ الحســـد:

ويقول ذاماً هذه الصفة السيئة[1]:

---

(١) وجوه ومرايا ،ص٢١ ، ٢٢.

(٢) وجوه ومرايا ،ص٢٨.

(٣) وجوه ومرايا ، ص ٥١.

(٤) وجوه ومرايا ، ص ٣٤ .

ولا يبلغ العليا كذوب ولا أخو ركون ولا من كان للناس حاسدا

٨ ـ فضيحة الإنسان لنفسه:

وهو هنا يتكلم عن الإنسان الذي ستر الله عليه في بعض أموره،لكنه يفضح نفسه بالتحدث عنها، يقول في ذلك[٢]:

وكم مذنب قد أسدل الله ستره عليه فأنضى الستر عنه محاردا

إذا راح يهذي عن خطاياه خلته لغبطته لحن الفضيلة أنشدا

٩ ـ إصدار الأحكام دون روية:

و بعض الناس يصدر أحكاما دون تأن أو تفكير، أو تقليب للأمور. بل يتسرع في الحكم على الأشياء، مما قد يعود عليه بالحسرة والندامة والضرر. . يقول في ذلك[٣]:

ولا تصدر الأحكام دون روية فكم قتل الحكم السقيم ولدَدا

١٠ـ الكذب في الحديث:

كما يذم الكذاب محذرا من تصديقه أو قبول حديثه،أو الاطمئنان إليه،بل لا بد من التحقق والتيقن. مستمدا المعنى من قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }[٤]،ويدعو إلى عدم نقل الإنسان لكل ما يسمع ،وفي حال نقل الإنسان لأي خبر لم يشاهده بنفسه عليه أن ينسبه إلى من نقل عنه ذلك الخبر،

=

(١) وجوه ومرايا، ص ٣٩.

(٢) وجوه ومرايا، ص ٤٦.

(٣) وجوه ومرايا ،ص ٥٥.

(٤) سورة الأحزاب ،الآية(٦)

محذرا من نسبة الكلام إلى غير صاحبه،واصفاً الكذاب بأنه مجرد من جميع الفضائل والأخلاق، مبينا أن داء الكذب ليس له دواء. يقول[1]:

ونـــص إلى راوي الحـــديث حديـــثه | إذا لم تكـن فيما تقـول مـشاهدا
فـــإن علــى الـــراوين وزر حديـــثهم | متـى جانـب الحـق الـصريح وباعـدا
فحسب الفتى حظ من الزور أن يكن | لكـل الـذي يحكـى لديـه مُـرددا
يقولـــون لـــلأدواء في الطـــب بلـــسم | فلـيس لجـرح المـين(٢) في الخلـق
فـــلا تـــأمن الكـــذاب يـــوماً فإنـــه | وربـك مـن كـل الفـضائل جـردا
ولا تـــنخدع مهمـــا تلفـــع بالتقـــى | فلـيس تقـياً مـن لـه المـين أفـسدا

١١ ـ الاستعجال في الملام وقبول الاعتذار:

وهـو هنـا ينصح بعدم التعجل في لوم الآخرين إلا بعد التأكد والتمحيص . كما ينصح بقبول اعتذار من يأتي إليك طالبا الصفح والعفو، يقول[3]:

ولا تـتعجل في ملامـة صـاحب | إذا لم تكـن مـن ذنـبه مـتأكدا
ولا تـــتردد في قـــبول اعـــتذاره | إذا لم يكـن في مـا جنـى متعمدا
فـــإن دوام اللـــوم للـــود قاتـــل | علــى أن حـــسن الـــصفح يحيـــي

١٢ـ ضعف الشخصية:

وهذه الظاهرة قد تؤدي بصاحبها إلى كثير من المواقف التي هو في غنى عنها، يقول[4]:

(١) وجوه ومرايا: ص ٥٥، ٥٦.
(٢) المين: الكذب. انظر مختار الصحاح، مادة (مين). ص٣٠٢.
(٣) وجوه مرايا: ص ٥٦، ٥٧.
(٤) وجوه ومرايا ،ص ٥٤.

ولا تجعلــن يــوماً لغــيرك جــرأة   علــيك فيجــتاز الــنطاق المحــددا

فكـن حازمـاً مـن غيـر كـبر فإنمـا   يعــد قبــيحاً كــل مــا لم يرشــدا

ألم تـر أن الليـث في الغـاب مـرعب   وتلقـاه عنـد السرك كالسيف مغمدا

١٣ ــ المبالغة في الذم والمدح:

وهو هنا يدعو إلى عدم المبالغة في المدح أو الذم، بل يدعو إلى الاعتدال في كلتا الحالتين ، تحسبا لما قد تحدثه الأيام، يقول[١] :

ولا تغـل في ذم امـرئ أو مديحـه   وكـن أبداً في الحالـتين محايدا

فقـد تكـشف الأيـام أنـك واهـم   وقد تنقض الرأي القديم مجددا

حـياد الفتـى حـصن لـثاقب رأيـه   فكـم خـدع الـرأي الغلو وأرمدا

١٤ ــ التكبر والتواضع:

وهو يرى أن التكبر من صفات الحمقى، وينصح بأن يكون الإنسان متواضعا، بعيدا عن التعالي والتكبر، يقول[٢] :

وكــم أحمــق ظــن التكــبر حلــة   تـداري الذي من نقصه ربما بدا

تواضـع تكـن كـالبدر في المـاء ضـوؤه   وفي الأفـق الأعلـى أقـام ليرشـدا

ولا تك كالدخان يصعد شامخاً   كـأنف حقير بالغرور تصاعدا

فمــن خــدع الــنفس المريــضة للفتــى   تقمـصه ثـوب الكمـال تـزيدا

ولا يكاد يوجد موضوع إلا وعالجه من خلال عرضه للحكمة، وترد في ديوان الشاعر من حين لآخر حكم متنوعة. ونلمس ذلك بوضوح في ديوانه (وجوه

---

(١) وجوه ومرايا ،ص ٥٥.

(٢) وجوه ومرايا ،ص ٦٣.

ومرايا)، ومن أمثلة ذلك، يقول[1]:

فليس كريماً من سحائب جوده ... بأعدائه تهمي وتنسى المساعدا
وليس جواداً من يكافئ منعماً ... بمثل الذي أسدى ولم يزد الندى
وليس رحيماً من يجود بدمعه ... لبؤس وباب الكنز بالبخل أوصدا

ويقول[2]:

وليس شريفاً من يكون جواره ... مريباً ولا من كان للشر حاشدا
وليس نبيلاً من يمد يد الأذى ... لخصم قريب أو ضعيف تعمدا
وليس من الأحرار من حبس الغنى ... عن الأهل والأصحاب أو رد قاصدا

ويقول كذلك[3]:

وليس الأخ الحق الذي لو رآك في ... مقام عصيب صد عنك وأبعدا
وليس وفياً من إذا دل خلة ... لصاحبه لم يفرها ويساعدا
ولم يرتد ثوب المروءة من إذا ... رأى الناس في كرب تزمل راقدا
وليس رزيناً من إذا الدهر حزه ... بسيف البلايا لم يعد متجلدا
وليس حليماً من متى تستفزه ... بأمر تراه البحر بالموج مزبدا
عليك بكظم الغيظ إن سعيره ... يضيع الذي عن حوضه كنت ذائداً
وليس عزيزاً من يناوئ قومه ... ولو كان في الإقدام عمراً وخالداً
وليس أميناً من يقدم حزبه ... على خير منهم في المناصب والجدا

---

(١) وجوه ومرايا، ص ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) وجوه ومرايا، ص ٢٢.

(٣) وجوه ومرايا، ص٢٥، ٢٦، ٢٧.

وليس شجاعاً من إذا الحرب شمرت عن الساق في حق تخاذل شارداً

وليس من الأحرار من مُس عرضه ولم يجعل الباغي هباءً مبددا

وليس لئيماً من يكون رغيفه مشاعاً ولا من اسمه صار فرقدا

وليس ضعيفاً من يسلم راضياً لخصم بصوت الحق كان مؤيدا

وليس جباناً من يُرَوِضُ ضيغماً إذا ما غدا عن منهج الحق حائدا

وليس حقوداً من يسامح جانياً متى جاء حوض العفو للعفو واردا

لقد ولد الإنسان بالطبع خيراً وبيئته تكسوه ما قد تعودا

# # #

الشعر السياسي:

قبل الخوض في الحديث عن الشعر السياسي، نتوقف عند كلمة سياسية، وإذا بحثنا في القرآن الكريم لن نجد لكلمة السياسة أثرا، وإنما نجد كلمة أخرى قد وردت فيه بنفس المعنى الذي نفهمه للسياسة، ألا وهي كلمة (الأمر)، يقول تعالى: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ } (١) ويقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ } (٢) أما في الحديث فقد وردت في قوله صلى الله عليه وسلم : [كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم](٣)، وقد علق عليه صاحب اللسان بقوله: ((أي تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية))[٤].

وتعريف السياسية في المفهوم العلمي الحديث: (فن إدارة شؤون الدولة إدارة عملية)[٥] ويقصد بالشعر السياسي : (الذي يتناول وصف الحياة السياسية في داخل البلاد وخارجها، مؤيداً أو محايداً أو مناوئاً) [٦].

والشعراء الذين أكثروا من الشعر السياسي هم من رجال الإصلاح، ومن المشتغلين بالتربية والتعليم، ولعل مهنتهم هذه من الأسباب التي جعلتهم يحسون بواقعهم، فيتحرقون للفساد الإداري والسياسي في نهاية العهد العثماني، ويشتعلون حماسة وهم يناهضون الغزاة من اليهود والصليبيين، ويسطِّرون في

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب الوفاء بالبيعة، رقم الحديث ٢٨٧١.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج٦، ص١٠٨

(٥) في الشعر السياسي،د. عباس الجراري، ص ٨، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء ،المغرب. (د.ط)، ١٩٧٤م.

(٦) الشعر الحديث في الأحساء ١٣٠١ هـ ـ ١٤٠٠ هـ د. خالد الحليبي ص ٢٠٥.

فخر واعتزاز بطولات المجاهدين على كل أرض مسلمة.

وموضوعات الشعر السياسي عند الشاعر عبد الرحمن آل ملا وصف للحياة السياسية التي مرت بالأمة وما بها من أحداث ، وهو يتناول هذه القضايا بحرارة وألم، وعدم رضا ،وبالمدح والتمجيد في حال تحقيق الأمة أي انتصار، وقصيدة من (وحي معركة رمضان) تصور لنا الأحداث البطولية التي ظهر بها أبناء الشعب والجيش المصري، يقول[1]:

فعلى صوتك المجلجل بالحق	صحا الشعب بعد طول سبات
ليرى الدرب زاهراً بالأماني	نحو يوم مقدس اللحظات

والشاعر يصور أفعال هؤلاء الأبطال من خلال قصة العبور التي سيظل التاريخ يرددها على مر الأيام يقول[2]:

وإذا قصة العبور نشيد	في فم الدهر سامر النغمات

وهو يؤكد أن مصر هي درع العروبة والإسلام عبر التاريخ ، **من أيام** عمرو بن العاص رضي الله عنه، يقول [3]:

مصر ما زلت للعروبة والإسـ	ـلام درعاً مستحكم الحلقات
صامداً للخطوب من عهد عمرو	يتحدى الغزاة إثر الغزاة

و يتناول الشاعر عبد الرحمن آل ملا قضية هامة تخص العرب والمسلمين على حد سواء ،وهي وصف حياة اللاجئين وبيان معاناتهم لاستنهاض الهمم، وفي

---

(١) أغاريد من الخليج، ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) أغاريد من الخليج ،ص ١٠٧.

(٣) أغاريد من الخليج ،ص ١٠٧.

قصيدة (إلى لاجئة) يصور مأساة اللاجئين الفلسطينيين ومدى القهر والضيم الذي يعانيه الفلسطينيون، يقول مخاطباً تلك اللاجئة [1]:

أخـــتاه للـــيل الطـــويل نهايـــة الـــصبر الجمـــيل

قـد روع العمـلاق في كهـف الأسـى طـيش الدخـيل

فمضى على درب النضال يسير في خطو عجول

ينـضو الظـلام عـن الوجـود بـشعلة الحـق الأصـيل

وعلـى روابـي القـدس يـروي بالفـدا زهـر الخمـيل

والشاعر يصور الويل الذي ينتظر إسرائيل من ذلك الطفل المشرد، الذي ليس له مكان يؤويه، وقد تمزق جسده من الضياع والبرد القاسي، يقول[2]:

يا ويل إسرائيل من طفل تشرد في البطاح

لا يعرف المأوى ومزق جسمه لفح الرياح

وتـورمت قـدماه بحـثاً عـن غِـذا وعـن ارتـياح

وشـكا فلـم يحفـل بـه في النـاس غير بـني السلاح

فـتقاسموا معـه الـرغيف وأرسـلوه إلى الكفـاح

والشاعر متأثر ومتألم بما حصل للمسلمين في البوسنة والهرسك، ومتابع للأحداث بتفاصيلها ودقائقها، وينتقد الشاعر مجلس الأمن، والأسلوب الذي ينتهجه مع المسلمين، والسكوت على المجازر والمذابح التي يتعرض لها هذا الشعب، ويتناول الشاعر قضية البوسنة والهرسك في أكثر من قصيدة يقول في

---

(١)أغاريد من الخليج،ص١١٥.

(٢) أغاريد من الخليج ،ص ١١٦.

قصيدة (كلمة للمجاهدين في البوسنة) [1]:

لمجلس الأمن سكين يحز بها	رقابنا ودروع للمعادينا
فاستيقظوا يا شعوب الأرض واتحدوا	فصانع البغي لا يحمي المساكينا

وهو يخاطب المجاهدين بنداء خاص بهم، حتى ترتفع هممهم ويكون النصر حليفا لهم بإذن الله: [2]

يا واهبين لدحر الظلم أنفسهم	لا يدحر الظلم ظلم فالزموا الدينا
فميزوا في خطاكم بين مضطهد	وبين من حد للناس السكاكينا
وأوقدوا من دم المستشهدين لظى	للغاصبين ونوراً للمُضامينا

والشاعر آل ملا في قصيدة (البوسنة في محنة الصراع) يبث حزنه وشكواه إلى العالم أجمع ،عله يستطيع جمع ما بقى من أشلاء ذلك الشعب المسلم المسكين المضطهد المغلوب على أمره يقول [3]:

صرخة دوت بسمع العالم	اجمعوا أشلاء شعب مسلم
استروها بالثرى علّ لكم	مع بقايا الأجر ستر الحرم
لست أدعوكم إلى خوض وغى	حسبكم جوداً حضور المأتم
لم أكن آمل في نخوتكم	فهي قد ماتت كموت الذمم

وهو يصور ألوان التعذيب التي عاشها الشعب البوسني على أيدي شرذمة الصرب،وبالرغم من ذلك التعذيب وتلك والقسوة،إلا أنه يعيش حياة المسلمين

---

(١) أغاريد من الخليج،ص١٣٧.

(٢)أغاريد من الخليج،ص١٣٧.

(٣) أغاريد من الخليج،ص١٣٨.

الشرفاء الذين لا يدنسهم كائن من كان، يقول[1] :

يـا لـشعب ولغـت في دمـه	طغمـة الـصرب بـدعم عالمـي
شـاء أن يحـيا حـياة الـشرفا	مـسلماً في فكـره والـشيم
ومـضى يـبحث عـن غايـته	في فـم الـذئب ونـاب الأرقـم
فأبـادوه بألـوان الفـنا	بعـد أن داسـوا جمـيع القـيم
كم فتاة وجدت من عارهم	في نقـيع الـسم خـير البلـسم
وفـتاة أطفـؤوا سـيجارهم	بـين نهـديها وحـول المعـصم
ومـآق زرعـوها إبـراً	ورصـاص أفـرغوه في الفـم
ومُـصلٍ هـشموا هامـته	وحـناياه بكعـب الجـزم
وقـرى كانـت جـناناً تجتنـى	غمـروها باللظـى والحمـم
فاسـتحالت كـتلا مـن لهـبٍ	وبقايـا مـن بقايـا رمـم

وشنت إسرائيل في الفترة من ١١/٢٢ إلى ١٤٢٦/١٢/٩ هـ عدواناً شرساً على لبنان، قامت خلاله بعشرات الغارات الجوية الضارية، كان من بينها غارة شنتها على مقر قوات حفظ السلام الدولية بمنطقة (قانا) قتلت خلالها ما يربو على مائه شهيد؛ إلى جانب عشرات الجرحى، وكانوا جميعاً من النساء والأطفال والشيوخ الذين احتموا بمظلة تلك القوات، وإزاء هذه الفاجعة فاضت مشاعر وعروبة الشاعر لهذه الحادثة ونظم قصيدة (عناقيد الغضب) يقول [2] :

لأرزائـك قانـا يطـول الـتفجع	وتهطـل طـوفاناً عليك المدامـع

---

(١) أغاريد من الخليج ،ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) أغاريد من الخليج،ص١٤٦.

لتغسل بعض العار عن أرضك التي	سقتها بأنهار الدماء المدافع
بك لاذت الأطفال والشيب والنسا	ليعصمهم جند السلام ويشفعوا
ولكن صناع الفناء رموهم	بأذكى صواريخ من الموت تصنع
فقد أطعموك من فظائع كَرمِهم	عناقيد قوم في الجريمة أبدعوا

والشاعر في نهاية القصيدة، يقدم شكره لكل من أعان اليهود على هذا العدوان وجعل دماء العرب والمسلمين رخيصة جداً، يقول متهكما:

فشكراً لأمريكا وصهيون والذي	يُغَنِّي على أوتارهم ويوقع
فقد سمحوا أن نذرف الدمع جهرة	على من قضى نحباً ومن يتقطع
كما علمونا كيف نقبر أهلنا	ركاماً وعن أشلائهم كيف تجمع

والشاعر عبد الرحمن آل ملا متابع لكل ما يجري من أحداث تهم الأمة الإسلامية، وغير راض عن الأوضاع المزرية لشعوب هذه الأمة، يقول في مناسبة قصيدة (دموع بين أطلال أمة): (جاءت هذه القصيدة صدى لعمق المرارة والألم تجاه ما آلت إليه شعوب الأمة الإسلامية في معظم بقاع المعمورة من أوضاع مزرية، نتيجة ما سادها من انقسامات وفتن ألحقت بها المهانة والوهن، وجعلتها لقمة سائغة تتكالب عليها الأمم ،حيث أصبحت هذه الشعوب غثاء كغثاء السيل، وهي تصوير يجسد ذلك الواقع المرير، وليست موجهة لشعب معين أو فئة بعينها، بل هي صرخة استنهاض للمسلمين عامة للخروج من هذه المحن عن طريق التآخي والاتفاق. ونبذ الفرقة، والانسياق وراء كل ناعق، ليتداركوا ما فاتهم،ويستأنفوا مسيرتهم نحو البناء ونشر المحبة، والتسامح بين المسلمين

كافة)[1]، يقول[2]:

هل من سبيل إلى إحياء آمالي؟ إذا هرقت دموعي بين أطلال

أو أن آهاتي الحراء ذاهبة مع الرياح إلى آهات أمثالي

فقد شقيت بقوم صار ناصحهم كمودع الماء في أحشاء غربال

تباً لهم من شعوب في حياتهم عز العدو وخزي الصحب والآل

قد خرستهم خطوب لو تمر على شم الجبال لكان السافل العالي

وهو يتحسر لما آلت إليه أحوال المسلمين في مختلف بقاع المعمورة وكأنه الهم الذي لن ينقضي، يقول[3]:

وشاهد الحال في الأفغان تشهده وفي ربى الأرز أو أنقاض صومال

فقد غدا الموت أحلى ما تجرعه بنوهم من مرارات وإذلال

وفي الجزائر(٤)أرزاء تعف تقى عن صنعهن سباع بين أدغال

ومما يجب الإشارة إليه أن شعر آل ملا السياسي يتميز بالتجربة الحية، والعاطفة الصادقة القوية، والموسيقى الثائرة المجلجلة في الشعر السياسي، وكان تعبيره هنا بجرأة وإخلاص عن آلام المجتمعين العربي والإسلامي، ومتفاعل مع كل ما يحدث فيه من نكبات وويلات؛ يرسم صوراً متحركة للقارئ وكأنه يرى الأحداث بعينيه.

---

(١) أغاريد من الخليج: ١٢٥.

(٢) أغاريد من الخليج: ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٣) أغاريد من الخليج ،ص ١٢٩.

(٤) الأوضاع المتفجرة في الجزائر.

الفصل الثاني

الشعر التمثيلي

المسرحية الشعرية

المسرحية الشعرية :

من المعروف أن الأدب المسرحي أدب جديد على العربية، وكان احمد شوقي أول من كتبه في أدبنا العربي،ومن مسرحياته: مجنون ليلى ، علي بك الكبير، ، ومصرع كليوباترة.

والمسرحية الشعرية: (هي النص الذي يُكْتَبُ شعراً مسرحياً، سواء أكان عمودياً أم حراً ، وقد يصلح للقراءة أو للقراءة والعرض ، أو هي المسرحية التي يعتمد فيها الكاتب على صياغة حوار نصه شعراً) [1].

والمسرحية الشعرية بدأ ظهورها في المملكة عام ١٣٥١هـ،حين أصدر الشاعر حسين سراج[2] مسرحية (الظالم لنفسه) ،وفي الأحساء فلم تظهر إلا في سنة ١٣٧٣هـ [3]عندما كتب الشاعر عبدالرحمن آل ملا مسرحية (ولليل آخر).

ويرى د. مندور : (أن المسرح قد أصبح أو كاد مرآة أو مجهراً لواقع الحياة،بحيث أصبح الحوار الشعري يبدو متكلفاً ومصطنعاً في فن يزعم أنه مرآة لواقع الحياة ،وبحيث يبدو أن النثر قد أصبح أكثر ملاءمة لطبيعة هذا الفن،فضلاً عن أنه أكثر طواعية في الحوار من الشعر،ولذلك لم تعد المسرحيات تكتب شعرا في العالم كله إلا في القليل النادر الذي لا حكم له) [4].

---

(١) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، د: إبراهيم حمادة،ص ١٥٩ ،دار المعارف،القاهرة، (د.ط)، .(د.ت).

(٢) حسين عبدالله عبدالرحمن سراج ولد في مكة المكرمة عام ١٣٣١هـ ن ونشأ فيها في بيت علم وأدب وفي مكة المكرمة تلقي دراسته الابتدائية بين مدرستي الراقية والفلاح، ومن مسرحياته غرام ولادة، والظالم لنفسه،انظر:معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية،ص٧٤،الدائرة للإعلام المحدودة،الرياض، (د.ط)، ١٤١٣هـ.

(٣) الشعر الحديث في الأحساء ، د. خالد الحليبي : ص ٢٨٣..

(٤) الأدب وفنونه : د محمد مندور، ص ٦٠، نهضة مصر (د.ط) ٢٠٠٤ م،

ويمكن القول بريادة حسين سراج في المسرحية الشعرية في المملكة خاصةً في مسرحيته (غرام ولادة) لسببين[1] :

١- أن المعيار الزمني وحده لا يكفي في ريادة الأعمال الأدبية،بل يجب أن يكون عمل الأديب أو الشاعر ذا قيمة فنية أو إنسانية كبيرة .

٢- ولأن مسرحية (غرام ولادة) تكاد تكون الوحيدة من بين المسرحيات الشعرية في الأدب السعودي التي حظيت باهتمام وشهرة واسعة في العالم العربي حيث قدم لها محمد تيمور[2] وهي المسرحية الوحيدة التي ذكرها يوسف أسعد في معجمه [3].

أما المحاولات الأولى في كتابة المسرحية الشعرية ، فتعود إلى أوائل الستينات الهجرية عندما كتب إبراهيم فودة [4] مسرحية (في غار حراء) ما بين عامي ١٣٦٠هـ ١٣٦١هـ ، وهو طالب في السنة الرابعة بمدرسة تحضير البعثات ، ولكنها لم تر النور حتى نشرت عام ١٣٧٤هـ [5].

---

(١) المسرحية الشعرية في الأدب السعودي الحديث دراسة موضوعية فنية،نوال بنت ناصر السويلم، ص ٨٨ - ٨٩، رسالة جامعية، ١٤١٨هـ.

(٢) ولد في درب سعادة، أحد دروب القاهرة عام ١٨٩٤م ، ويعد مؤسس فن الأقصوصة في الأدب العربي الحديث ، وترجمت كثير من أقاصيصه إلى الفرنسية والإيطالية والألمانية وغيرها من اللغات : من آثاره، (ثائرون،وسلوى في مهب الريح). انظر: الأدب العربي المعاصر في مصر، شوقي ضيف ص ٢٩٩ -٣٠٠ ، دار المعارف، القاهرة، ط ٩ (د.ت).

(٣) معجم المسرحيات العربية والمعربة: يوسف داغر ، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ص٤٣١، الجمهورية العراقية، دار الحربية للطباعة ، بغداد،(د.ط) ، ١٩٧٨،.

(٤) إبراهيم أمين فوده ولد بمكة، حصل على شهادة المعهد العلمي السعودي عام ١٣٥٧هـ، معجم الكتاب والمؤلفين ص ١٢٠ .

(٥) المسرحية الشعرية في الأدب السعودي الحديث ، نوال السويلم، ص ٩٠.

وفي السبعينات نشطت المسرحية الشعرية،وكتب حسن القرشي [1]مسرحية (عرس في بلاد العرب) عام ١٣٧٠هـ ، وشرع في كتابة مسرحيته(ثنيات الوداع) التي لم تر النور حتى الآن[2] .

وبعد ذلك صدرت مسرحية (غرام ولادة) عام ١٣٧٢هـ لحسين سراج ، وكتب الشاعر عبد الرحمن آل ملا مسرحيتين شعريتين الأولى : (ولليل آخر) عام ١٣٧٥هـ، والثانية (عودة جان دارك) عام ١٣٧٩هـ، ونشر إبراهيم فوده(في غار حراء) وكتب عبد السلام حافظ(٣) مسرحيتين ، الأولى : (أضواء على المجهول) عام ١٣٧٥ هـ، والثانية (صخور العذاب) ما بين عامي ١٣٧٣_١٣٧٧هـ(٤).

ومن الممكن أن نعتبر شعراء هذه الفترة رواداً في اقتحامهم لهذا الفن ، وإنما عُدَّتْ مسرحية (غرام ولادة) رائدة في هذا المجال ، لما وصلت إليه من الشهرة ، والذيوع والنضج الفني ، ولم يسبقها في الصدور سوى مسرحية (عرس في بلاد العرب) لحسن القرشي،ومسرحية (في غار حراء) نشرت بعدها [5].

---

(١)ولد الشاعر حسن القرشي في مكة عام ١٣٤٤هـ ، وتلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي فيها ، ثم واصل تعليمه في المعهد العلمي السعودي حتى حصل على شهادته، ثم التحق بقسم التاريخ بجامعة الملك سعود بالرياض ، وفي عام ١٣٩٩هـ عين سفيراً للمملكة العربية السعودية ، ومن ثم انتقل إلى موريتانيا سفيراً للمملكة أيضا. انظر المجلة الثقافية العدد ٦٦ ، الاثنين جمادى الأولى ١٤٢٥هـ

(٢)المسرحية الشعرية في الأدب السعودي الحديث ، نوال السويلم ، ص ٩٠ -٩١ .

(٣) عبد السلام حافظ، ولد عام ١٣٤٧هـ في المدينة المنورة. له إسهامات كثيرة في كتابة المقالات الأدبية والثقافية والاجتماعية ، واتجه إلى إنشاد الشعر ، وكتابة القصص ، ونشر ذلك في مجلة المنهل، توفي بعد معاناة مع المرض عام ١٤١٥هـ، انظر معجم الكتاب والمؤلفين ص ٣٤.

(٤) المسرحية الشعرية في الأدب السعودي ، نوال السويلم ،ص٩٢.

(٥) المرجع السابق، ص٩٣.

أمــا ــفي الثمانيــنات فقــد كــتب الــشاعر ســعد الــبواردي[1] مــسرحيتين شـعريتين ، الأولى، (أغنـية العـودة) عـام ١٣٨١هـ ، والثانية (غزو الفضاء) عام ١٣٨٢هـ،وكــتب محمــد إبــراهيم جــدع [2] مــسرحية (مــن وحــي الهجــرة) عام ١٣٨٩هـ،وكتب فؤاد شاكر[3] مسرحية (حي على الصلاة) عام ١٣٨٥هـ[4] .

وفي أواخر التسعينات الهجرية عادت المسرحية الشعرية إلى الظهور حيث كتب محمد الخطراوي[5] مسرحية(الوداع الدامي)عام ١٣٩٧هـ،ولم يعاود الكرة أحد من رواد المسرحية في السبعينات سوى حسين سراج، وكتب مسرحية (الشوق إليك) عام ١٤٠٢هـ،بعد ثلاثين سنة من صدور مسرحية (غرام ولادة).وفي العام نفسه كتب الشاعر عبد الرحمن بن صالح

---

(١) سعد البواردي : ولد سعد البواردي ١٣٤٩هـ، في شقراء ، وتلقي تعليمه الأول فيها ، ثم انتقل إلى الطائف. من دواوينه (أغنية العودة) – (لقطات ملونة) و (رباعيات) انظر شعراء نجد المعاصرون، دراسة ومختارات عبد الله بن إدريس ، ص ١٥٣ ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ط ١، ١٣٨٠هـ.

(٢) محمد بن إبراهيم جدع، ولد عام ١٣٣٠هـ ، في مدينة جدة ، ودرس في المدرسة السعودية بجدة وتخرج منها عام ١٣٤٨هـ ، والتحق بعدد من الوظائف الحكومية ، توفي ١٣٩٨هـ ، انظر معجم الكتاب والمؤلفين : ص ٢٨ ، وانظر: موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عاماً : أحمد بن سعيد بن سلم ، ج : ١ ص١٤٥، نادي المدينة المنورة الأدبي،ط: ١ ، ١٤١٢هـ.

(٣) فؤاد إسماعيل شاكر ولد في مكة المكرمة ١٣٢٣هـ ، وتوفي عام ١٣٩٢هـ، له عدد من الدراسات والمؤلفات منها : (صور الحياة) و (الصحفي وكيف تكون صحفياً) و (غزل الشعراء بين الحقيقة والخيال) . انظر : معجم الكتاب والمؤلفين : ص ٨١، وانظر : موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين . ج ٢ ،ص٦٩.

(٤) المسرحية الشعرية في الأدب السعودي : نوال السويلم، ص٩٣.

(٥) ولد الشاعر محمد العيد الخطراوي في المدينة المنورة ١٣٥٤هـ ، حصل على ماجستير في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة عام ١٣٩٥هـ، ومن دواوينه: (أمجاد الرياض) و (غناء الجرح) و(همسات في أذن الليل) ، وآخر كتاب له (الغناء بالفصحى .. انتصار للعربية وتثبيت للهوية). انظر : موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ح:١ ص ٢٩٩ -٣٠٠ وانظر معجم الكتاب والمؤلفين : ص ٤٩ ، وجريدة عكاظ ، عدد ١٨٢٨ ، تاريخ ١٤٢٧/٥/٢٣هـ.

العشماوي [1]مسرحية (مأساة التاريخ)،وتعتبر آخر المسرحيات الشعرية صدوراً ؛ مسرحية(صابر) لعلي عمر آل عسيري [2] عام ١٤١٥هـ ، وله مسرحية أخرى لم تكتمل بعنوان(النمل الملون) [3].

ومما ذكره دارسو المسرح (تغريبة القوافل والمطر) لمحمد الثبيتي ،وهي في الأصل قصيدة وليست مسرحية،ولكن لما فيها من إمكانات درامية للمسرحية عدت عملاً مسرحياً ، وقدمها فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في القصيم على أنها نص مسرحي عام ١٤٠٧هـ [4].

والمسرحية الشعرية استهوت بعض الهواة فأسهموا فيها في المسابقات المسرحية التي تنظمها الرئاسة العامة لرعاية الشباب،أو الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون،وطبعت أعمالهم من قبيل التشجيع لهم ،ومن هذه المسرحيات (الشرق والغرب) و(حضارة الإسلام) لمحمد سليمان الشايقي و(للحقيقة وجه آخر)

---

(١) عبد الرحمن بن صالح العشماوي ، ولد عام ١٣٧٥هـ في قرية عرى بالباحة، التحق بجامعة الملك سعود ، وعمل بها معيداً ، وشارك في الكثير من الأمسيات الثقافية ، وألقي كثيراً من القصائد في احتفال مواسم الحج السنوية له دواوين كثيرة منها : (إلى متى) و (قصائد إلى لبنان) و (من القدس إلى سراييفو) . انظر : موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ح:٢ ص ٣٢٠ -٣٢١. وانظر : معجم الكتاب والمؤلفين : ص ١٠٥.

(٢) ولد علي بن أحمد أل عمر عسيري عام ١٣٧٢هـ في قرية الشارقة ضواحي مدينة أبها ، ونشأ في الريف ، واشتغل بالزراعة والرعي ، ودرس المرحلة الابتدائية والإعدادية خارج قريته ، ثم حصل على الثانوية من معهد المعلمين ، دبلوم كليات المعلمين ، وبكالوريوس اللغة العربية ، ومن دواوينه الشعرية : (قصائد من الجبل) وهو مشترك مع مجموعة من شعراء المنطقة الجنوبية، وله دواوين خاصة به منها : (رماد الوجه الحنطي) و(قصائد غاضبة) . انظر معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ، ج ٣ ،ص ٥٣٨، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري ، ط: ١ ، ١٩٩٥م.

(٣) المسرحية الشعرية في الأدب السعودي : نوال السويلم : ص ٩٥.

(٤)المرجع السابق ، ص ٩٣ .

لعمر محمود عمر [1].

وبعد هذه المقدمة التي حاولت فيها إظهار بدايات نشأة المسرحية الشعرية، والأعمال التي أبدعها الأوائل في المملكة العربية السعودية ، سوف أتناول في هذا الفصل مسرحيتي الشاعر آل ملا،ولسنا بصدد دراسة المسرحيات النثرية في هذا الفصل[2]،بل ستكون الدراسة للمسرحيتين الشعريتين وهما مسرحية (ولليل آخر) ومسرحية (عودة جان دارك) وسوف نقوم بدراسة هاتين المسرحيتين دراسة فنية نقف فيها على عناصر المسرحية،مروراً بقانون الوحدات الثلاث وهي وحدة الزمان ،ووحدة المكان،ووحدة الموضوع، بالإضافة إلى الخلاصة التي نجنيها من هذه الدراسة .

# # #

(١) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٢) للشاعر مسرحيات نثرية منها: يوم ذي قار، معن بن زائدة.

مسرحية (ولليل آخر)

١ - عرض المسرحية:

تدور أحداث المسرحية بصفة عامة حول القضية الفلسطينية [١]. هذه القضية التي أخذت من عاطفة الشاعر وفكره ومشاعره الكثير ، فهو متأثر للحال الذي آلت إليه هذه القضية في أكثر من موضع في شعره ،وتضم المسرحية ثلاثة مشاهد ذات مضمون سياسي واجتماعي في آن واحد ، وتدور جميع أحداث هذه المسرحية على أرض فلسطين المحتلة ، وتحكي قصة ذلك الفدائي البطل الذي أُدخل السجن بعد قيامه بعملية فدائية ،حكم عليه بسببها بالإعدام ،وفي ليلة تنفيذ حكم الإعدام تمكن أحد أصحابه من إنقاذه من السجن ، وهرب معه إلى أهله الذين كانوا متلهفين لرؤياه ، ولكن هذا البطل لم يقف طويلاً ، بل أخذ العهد على نفسه أن يعود إلى أرض الجهاد حتى النصر أو الموت في سبيل الله .

والمشهد الأول تدور أحداثه في نادٍ من أندية الصهاينة يكتظ بالضباط اليهود الذين انغمسوا في موج من الصخب ، بين الموسيقى والأصوات المختلطة، وعلى إحدى موائده يجلس ضابطان صهيونيان هما (ليفي – كوهين) يدور بينهما حديث الحب وما به من عناء ومشقة [٢] . الضابط ليفي:

كـــوهين قـــل لـــي بربـــي   مــــــضنى أراك علامـــــاً

---

(١) سبقت الإشارة في الفصل الأول إلى مدى تفاعل الشاعر عبد الرحمن آل ملا مع معظم القضايا التي تهم المسلمين . لمزيد من الاطلاع انظر أغاريد من الخليج ، ص ١٠٦ -١٠٩ -١١٢ -١١٥ -١١٧ - ١٣٨ - ١٤٦.

(٢) أغاريد من الخليج ، ص ١٤٩ .

فهـــل تذكـــرت غـــيداً قـــد دلهـــتك غـــراماً

الضابط كوهين :

أجـــل فـــؤادي وروحـــي في عـــالم الـــشوق هامـــا

فقـــد تذكـــرت غـــيداً قـــد جـــرعتني الحمامـــا[1]

مـــنذ ثلاثـــين يـــوماً كمـــا ترانـــي حطامـــا

لم تهـــد لـــي قـــط مـــنها رســـالة أو ســـلاماً

ومما سبق يتبين في سياق الحوار اهتمامهما بالغريزة والجنس والميل إلى أعمال الشيطان.

ويحضر لهما النادل شراباً،وأثناء ذلك يدخل عليهما بائع الصحف ، ويشتري منه كوهين صحيفة،وتقع عيناه على خبر،فيقرأه بصوت مسموع [2]:

حكـــم العدالـــة يقـــضي بالـــشنق حتـــى الممـــات

علـــى ولـــيد زعـــيم العُـــصاة وابـــن العُـــصاة

يـــنفذ الحكـــم فـــيه بالقـــدس فجـــر الغـــداة

مرحـــى وقعـــت فـــأين المفـــر يـــا ابـــن الجـــناة

وأية عدالة يتحدث عنها (كوهين) وأي عصاة يذكر، وكيف هو متشوق إلى دماء الفلسطيني؟.

ومن المشهد السابق تتضح شخصية هذين الضابطين اللذين يميلان إلى الأعمال الشيطانية ، من فتك بالغادات، وفتك بدماء الأبطال.

---

(١) الحمام : الموت. انظر العين، مادة(حمم). ص١٧٧

(٢) أغاريد من الخليج : ص١٥١ .

وأثناء ذلك يدق جرس الهاتف من القيادة،وفيه دعوة عاجلة لإعداد الجند والتأهب ،فقد هرب وليد من سجنه ليلاً رغم قيوده ،ويمضي كوهين متوعداً لوليد الذي هرب من الإعدام .

أما المشهد الثاني فتدور أحداثه في السجن ،حيث يقبع في زنزانة منفردة البطل الفدائي " وليد زيادة " مكبلاً بالقيود وهو يردد الأبيات التالية بألم وأسى[1] :

ربّـاه قـد كـرَّ جـيش الــ	ظـــلام واللـــيل هاجـــع
والـــشعب بـــين قتـــيلٍ	أو في الـــزنازن قابـــع
والـــنار في كـــل بـــيت	وكـــلِّ كـــوخ وشـــارع
كـــم طفلـــة تـــركتها	علـــى الـــرغام المدافـــع
قتـــيلة في دماهـــا	غـــريقة في المدامـــع
متـــى أيـــا لـــيت شـــعري	تـــزول تلـــك الفواجـــع
فتـــشرق الـــشمس حتـــى	تـــزيح عـــنا الـــبراقع
ربـــاه رحمـــاك ، شـــعبي	قـــد مـــزقته المطامـــع

ومن حديث البطل الفلسطيني نجد أنه قوي الإيمان بالله، إذ يلجأ قلبه وعقله إلى الله في قوله: رباه، ويستغيث به ويتألم لحال شعبه الذي بين قتيل وطريح في النار، حتى إنه يصف ما يفعله هؤلاء بالأطفال ، ويلجأ أيضا إلى صيغة السؤال والتمني في زوال ما هم فيه، وقوله: ((فتشرق الشمس)) رمز

---

(١) أغاريد من الخليج : ص١٥٣ .

لزوال الاحتلال المظلم ؛ وقد فسر هذا الرمز قوله: [قد كر جيش الظلام] فأسند الظلام لهذا الجيش .

ثم ينهي حديثه بما بدأ به باللجوء إلى اللّه تعالى في قوله: (رباه رحماك) ويتضح من ذلك القضية المشغول بها هذا الفدائي ، وهي قضية زوال الاحتلال ، وإقامة الحق، عكس الضابطين اللذين شغلا بالغريزة وسفك الدماء.

بعد ذلك يدور الحوار بين مأمور السجن (إسحاق) ، وضابط إسرائيلي أتى يطلب من إسحاق تسليم البطل الفدائي وليد زيادة ، وكان يحمل أمراً بذلك،وبعد أن قرأ إسحاق الأمر،أَذن للضابط بالدخول على وليد،ودار بينهما حوار يشتمل على تهديد ووعيد لوليد مطالبا له بالاعتراف الذي يخفف عنه العقوبة ،لكن وليداً مُصِرٌّ على القضية التي سُجِنَ من أجلها ،ولا يدلي بشيء ،غير مبال بالوعيد،وصنوف العذاب الذي سيلقاه.

الضابط : يقوم بإقناع وليد(1) :

ولــــــيد لا تتجنــــــى	علـــى مـــصيرك واعلـــم
بــــــأن أي اعــــــتراف	تدلــي بــه ســوف يــرحم
شـــبابك الغـــض حـــتماً	مـــن الهـــلاك المحـــتم

ويلاحظ السخرية من عقل وليد، فأية رحمة يتكلم عنها هذا الضابط الإسرائيلي؟ ومتى رحم الإسرائيليون شبابا؟

---

(1) أغاريد من الخليج: ص١٥٥.

وبعد فترة صمت يتابع الضابط كلامه[١] :

ألا تجـــــب لـــــسؤالي   هـــيا تكلــم .. تكلــم

ولـــيد هـــذا جـــنون   ....

وليد : ....   لا بل هو الحق فافهم

الضابط :

إذاً فأنـــــت مـــــصرُ   علـــى الجـــريمة حـــتماً

وليد :

أجـل إذا كـان سـخطي   علـــى الجـــريمة جـــرماً

الضابط :

إنّـــا ســـنؤذيك حتـــى   تـــذوق للمـــوت طعمـــاً

بالكهـــرباء ســـتكوى   وبالرصـــاص ســـترمى

أو تعتـــرف فتلاقـــي   منـــا ثوابـــاً وغنمـــاً

فهو يذكر ألوان العذاب التي يذوقها الأسير السجين لدى هؤلاء ، والعقل والتجربة لا يصدقان ما قاله من الثواب والغنم.

وليد :

مرحـــى بكـــلِّ عـــذاب   ألقـــاه جـــوراً وظلمـــاً

أمـــا دمـــي فـــسيبقى   نـــوراً ونـــاراً ....

---

(١) أغاريد من الخليج، ص ١٥٦.

الضابط :

.... هلُمّا

إذاً معـــــــــي لتلاقـــــــــي العـــذاب .. هـــيا .. هلمـــا

فهو يتفانى ﰲ سبيل وطنه، يستهين بالعذاب الذي سوف يتحول إلى نار يُكوى بها العدو ، ونور يستهدي به من يأتي بعده.

ويخرج الضابط بوليد إلى خارج السجن ، وهنا المفاجأة التي تكشف عن حقيقة الضابط ،حيث كان يعتقد أن هذا الضابط إسرائيلي، فقال ما سبق ، ويمعن وليد النظر فيه فيجده ابن عامر، أحد رفاقه الفدائيين ﰲ النضال. ويسأله وليد عن حال الجنود ، فيقول الفدائي ابن عامر وهما يغادران أرض المسرح[1] :

تـــزداد ﰲ كـــل يـــومٍ نـــصراً وللـــيل آخـــر

ويتضح صدق الحوار مع ابن عامر، حيث أن الوقت لا يحتمل الإطالة ، لأنهما ﰲ حال هروب من العدو الذي يحتاج إلى صمت تام وسرعة ﰲ الحركة.

والمشهد الثالث تدور أحداثه ﰲ أحد مخيمات اللاجئين،حيث يوجد كوخ به طفل نائم بالقرب من جده الرجل المسن، وهما: الجد وحفيده فريد بن وليد،ويستيقظ الطفل فريد مذعوراً وهو يبكي ، بسبب حلم رآه،وبعد ذلك يقوم فريد بقص وقائع الحلم على جده[2] :

---

(١) أغاريد من الخليج :ص١٥٨.

(٢) أغاريد من الخليج، ص ١٥٩.

الطفل باكياً :

جدّي!! ....

الجد : .... بني . علام تبكـــي وأنـــت بقربـــــي ؟؟

الطفل :

يـــا جـــدُ، أمـــي .. أمـــي رأيـــــتها في رقـــــــادي
رأيــــتها مـــــن بعـــــيد مـــــن الـــسماء تـــنادي
هاتـــــيك بــــين غديـــــر وروضــــــــة وغـــــــياد
في مـــوكب مـــن ضـــياء ينـــشدن لحـــن الجهـــاد
رأيــــتُ أمــــي ملاكــــاً يــــــرف في كــــــل وادِ
فـــيملأ الكـــون نـــوراً بـــــه تمـــــوج الـــبوادي
أمــــي خــــذيني إلـــيكِ حـــيث الـــصفا والـــوداد
لا تتركــــــيني وحــــيداً بــــين الـــرفاق يتـــيماً

ونرى الشاعر يدخل عالم الأحلام بجانب عالم الواقع في الحدث المسرحي، لأن أصحابه ـ ولا شك ـ يحلمون يوماً بزوال كابوس الاحتلال، وقد برع الشاعر في جعل هذا الحلم يدور في فؤاد وخلد هذا الطفل الذي يمثل للقضية البراءة والطهارة والنقاء.

وقبل ذكر الطفل للحلم تدخل مجموعة من الغيد الحسان وهن ينشدن لحن الجهاد في زي الملائكة ،مرتديات اللباس الأبيض حتى ينسجم مع حلم الطفل .

ويحاول الجد تهدئة روع فريد ،ويحاول أن يبعث الطمأنينة في قلبه،ويبشره بقدوم والده قريباً ،ويفرح فريدُ بهذا الخبر الذي سَكَّنَ من روعه قليلا،ولكنه

يعاود البكاء والأسى؛ لأن عودة والده يعقبها فراق مرة أخرى .

الطفل : يقول متابعاً في أسى [1] :

أجـــل ســـيأتي ولكـــن　　　مـــن بعـــدها ســـيغيب

كـــم أرقتـــنا الليالـــي　　　ومـــــزقتنا الخطـــــوب

الجد :

نعـــــم بـــــني فهـــــذا　　　حـــق عليـــنا وجـــوب

لا خـــــير فيـــــنا إذا لم　　　نـــأب الخـــضوع ونـــشقى

حتـــى نحـــرر أرضـــاً　　　لهـــا العـــدو اســـترقا

مـــن نحـــو عـــشرين عامـــاً　　　والـشعب في الـسجن ملقـى

والعُلْــجُ في كـــل بـــيتٍ　　　يـــسعون نهـــباً وحـــرقا

فكـــم فـــتاة عفـــوفٍ　　　مـــن زهـــرة الـــروض أنقـــى

في عرضـــها هـــتكوها　　　ظلمـــاً وجـــوراً وفـــسقا

الطفل : متحمساً :

حـــسبي ســـأمحو الأعـــادي　　　مـــن الوجـــود ليبقـــى

شـــعب العـــروبة حـــراً　　　رغـــم الغـــزاة وتبقـــى

أرض العـــــروبة قـــــبراً　　　لكـــل طـــاغ عنـــيد

قـــد شـــرد الـــشعب ظلمـــاً　　　بـــــناره والحديـــــد

فكلـــنا الـــيوم جـــيش　　　مـــــؤيد بالـــــصمود

فقـــد دعانـــا المـــنادي　　　إلى الكفـــاح المجـــيد

---

(١) أغاريد الخليج ،ص١٦٣.

حتـــى نحـــرر شـــعباً مكـــــبلاً بالقـــــيود
ففـــي الغـــداة تـــرانا نجـــتث شـــر الـــيهود

الجد : في فخر:

بـــوركت يـــا ابـــن الولـــيد بـــوركت شـــبل الأســـود
وبـــــوركت فـــــيك روح تـــــــــواقة للخلـــــــود

وبعد أن زرع الجد الحماس في نفس الصبي ، بتذكيره بالواجب وحق الوطن،وما فعله العدو بهم،يزداد الصبي حماساً،ويزداد حقداً على الصهاينة، ويحمل السلاح، ليتدرب عليه من أجل قضية بلاده ، ويستمر الطفل في التمرين على السلاح ،وأثناء ذلك يدخل أبوه وليد فجأة، فيقبله ، وتكتحل عيون الجد برؤيته ، وتنتهي المسرحية بقول الجد بعد أن احتضن وليداً[1] .

دعـــــني أخفـــــف همّـــــاً كبـــــته في الـــــضلوع
عـــشرين شـــهراً وعـــيني لم تـــدر طعـــم الهجـــوع
مـــا كـــنت أحـــسب أنـــي أراك بعـــــد الوقـــــوع
في قبـــــضة العلـــــج إلا في خاطــــري أو دموعـــــي

٢ـــ الفكـــرة:

تُبرز المسرحية صوراً متنوعة من نضال الشعب الفلسطيني ، وتصور الظلم والجور الذي يلقاه العرب الفلسطينيون، والحقد الدفين الذي يحمله اليهود لأبناء الشعب الفلسطيني،وتتضح معالم الفكرة في إبراز شجاعة وليد الذي لم يخش الإعدام وظل متمسكاً بمبادئه وقيمه،فالموت في نظر وليد هو نصر،وهو أهون

---

(١) أغاريد من الخليج ،ص١٦٧ -١٦٨.

عليه من الحياة في ظل الذل والإهانة، يقول وليد للضابط[1] :

بالمـــوت أهـــلاً فــنحنُ	بـــنوه عـــند المخاطـــر
أمـــوت لكـــن شـــعبي	يبقـــى علـــى الظلـــم ثائـــر

وتتضح كذلك شجاعة ذاك الفدائي ابن عامر، وهي صورة من صور الكفاح الذي تميز به أبناء هذا الشعب ، وشجاعة ابن عامر تظهر من خلال تنكره في هيئة ضابط إسرائيلي ، واقتحامه معتقلات الصهاينة، وقيامه بإخراج وليد من معتقله دون خوف من العدو، وكأن وليداً غير راضٍ عما فعله صاحبه لأنه أراد الموت والشهادة [2].

وليد :

مـــاذا حـــدا بـــك حتـــى	تخـــوض هـــذي المخاطـــر
مـــن أجـــل إنقـــاذ فـــردٍ	مـــن بـــين ملـــيون ثائـــر

وتكتمل معالم الفكرة في ذلك الشبل الصغير فريد، الذي ثار لما حدث لوطنه وقام بحمل السلام والتدريب عليه، حتى يحرر الأقصى من أيدي الأعداء.

يقول فريد في حماسٍ [3].

جـــدي إلـــيَّ ســـريعاً	بالبندقـــــية هـــــيا
حتـــــى أروض نفـــسي	علـــى الـــسلاح صـــبيا
فمـــن دمـــي ســـوف ابـــني	للمجـــد صـــرحاً قـــوياً

(١) أغاريد من الخليج، ١٥٥.

(٢) أغاريد من الخليج، ١٥٨.

(٣) أغاريد من الخليج، ١٦٤.

أركانـــــــه راســـــــيات هـــــناك فـــوق الثـــريا

والشاعر حاول إبراز معاناة الشعب الفلسطيني، وإبراز جراحه ،وهو بذلك يخدم القضية من جانب وجداني،وجعل شخصية وليد تحكي جزءاً من المأساة عندما خاطب نفسه في الزنزانة[1] .

٣ - الحـــدث:

الأحداث التي أظهرتها المسرحية تدور حول وليد الفلسطيني المناضل الذي وقف ضد العدو الصهيوني ،وكيف وقع تحت قبضتهم ، تاركا والده الرجل المسن وابنه الحدث ، وأدخل السجن، ثم حُكِمَ عليه بالإعدام، وفي ليلة إعدامه تمكن من الهرب بمساعدة أحد أصحابه الفدائيين ، وعاد لأبيه وابنه . والأحداث لم تظهر حلقاتها في تسلسل وانتظام،فلم يذكر الشاعر الأسباب التي أدت إلى سجن وليد ،ولم يذكر ذلك الدور المثالي الذي أدخل السجن بسببه، وبداية الحدث عندما أدخل وليد الزنزانة،وظهر التألم الواضح على وليد للحال الذي يعيشه شعبه ووطنه من ظلم واضطهاد ،ولم يظهر وليد حسرة على ترك أهله،وإنما كان الحزن والأسى لحال شعبه ووطنه . ويستمر الحدث بدخول الضابط وتسليمه مأمور السجن أمراً بالدخول على وليد في زنزانته حيث يمكنه من ذلك . ويختفي الحدث عندما يختفي وليد ،ويظهر والد وليد، الرجل المسن مع حفيده يتبادلان الخطب الحماسية ، والمأساة التي وصل إليها الشعب الفلسطيني، ويحاول الجد شحذ همة الولد الذي انتهى به الأمر إلى أخذ البندقية والقيام بالتدريب عليها ليأخذ ثأر أجداده وأهله . وأخيراً يظهر وليد وينتهي الحدث نهاية سعيدة بلقاء الأسرة .

والمأخذ على الحدث في المسرحية أنه جاء في ختام المشهد الأول أنباء

---

(١) انظر: المسرحية الشعرية في الأدب السعودي الحديث : نوال السويلم ، ص٣٩٣.

للضابط كوهين تخبره بهروب وليد من الزنزانة ، وبعد ذلك يبدأ المشهد الثاني ووليد في الزنزانة لم يهرب بعد، فنبأ هروب وليد قد ظهر قبل أوانه، ولو أن الشاعر أعاد ترتيب المشهدين الأول والثاني، لكان الأول وليد في الزنزانة، والثاني كوهين مع ليفي في النادي[1] .

ولم يطغ الحدث على المشهدين الأول والثالث، فالشجاعة التي ظهر بها وليد. ومن ثم الحكم عليه بالإعدام،ومأساة الشعب التي عانى منها ذلك الشعب المسكين جاءت عن طريق الحوار،دون أن يكون للحدث دور واضح في ذلك.

واستعان الشاعر في عرض الحدث بحيلة مسرحية هي التعرف أو الانكشاف[2] فوليد كان يجهل حقيقة شخصية الضابط الذي يقوده ، وتعرف عليه عندما كشف له رفيقه عن حقيقته بنفسه في هذا الموقف.

يخرج الضابط من السجن ومعه وليد يقتاده إلى مكان،خارج السجن، ثم يتوقف ويكشف عن حقيقته ،ويقول مخاطباً وليداً وهو يبتسم[3] :

الضابط :

ارفـــــع يـــــديك تأهـــــبْ   للـــــشنق فالمـــوت حاضـــــر

وليد : لا ... لا أصدق عيني   ....

---

(١) انظر المسرحية الشعرية : نوال السويلم ص ٣٩٤.

(٢) التعرف أو الانكشاف عند أرسطو، اللحظة التي تتحرك فيها الشخصية من الجهل إلى المعرفة ، وتعني بذلك عنده تعرف شخصين على بعضهما بعد طول انفصال ، أو اكتشاف مجهول، انظر معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، د. إبراهيم حمادة ، ص٧٥.

(٣) أغاريد من الخليج : ١٥٧.

الفدائي : ....   ألا تراني ابن عامـــر

وهذا أقل أنواع التعرف من الناحية الفنية ، لأنه لا ينبع من طبيعة الأحداث المسرحية ، بل يمليه المؤلف على لسان الشخصية إملاءً [1].

٤ــ الشخصيات :

تظهر شخصية وليد ،وهي الشخصية الرئيسة ذلك البطل الذي صمد أمام العدو ، وتحمل أصناف العذاب والإهانة في سبيل الدفاع عن وطنه.

أما الشخصيات الثانوية فيمكن تقسيمها إلى قسمين : هما :

شخصيات معاونة : وهم الجد وحفيده ابن وليد ، وابن عامر الفدائي.

وشخصيات معادية وهم : كوهين وليفي ، وإسحاق مأمور السجن .

وتظهر شخصية وليد من خلال الشجاعة التي أظهرها أمام الضابط والإصرار الذي تحلى به ،وعدم الخوف من الإعدام،وثباته على الحق ، وهذه الشجاعة اعترف بها أعداؤه؛ يقول ليفي مقراً بشجاعته [2].

كوهين (مخاطباً ليفي):

ويل له من أسير   ....

ليفي : ....   بل ويل لنا من وليد

كذلك يدلل على شجاعته قول مأمور السجن إسحاق عندما سمح

---

(١) انظر، المسرحية الشعرية : ص٣٩٥.

(٢) أغاريد من الخليج : ١٥٢.

للضابط بالدخول على وليد[1].

شـــكراً تفـــضل إلـــيه	وأوثقـــن قـــيـــاده
فـــيا لـــه مـــن خطيـــر	صـــلب قـــوي الإرادة

كذلك رسم الشاعر شخصية وليد من خلال حديثه عن نفسه وترحيبه بالموت ،والأهم من ذلك هو بقاء شعبه عزيزاً منتصراً .

أما شخصية والد وليد وابنه فقد اتسمت بالصبر ، والحماسة الكبيرة التي ظهرت في أكثر من موضع ، وموقف الطفل عندما قام وأخذ البندقية ليتدرب عليها ،مظهراً لنا الرفض الذي أبداه الطفل لحال شعبه ، وعدم السكوت الذي دفعه إلى حمل السلاح ، ويظهر ذلك من خلال تعليم الجد لحفيده الرمي بالسلاح .

الجد (يقوم بتدريب حفيده ثم يتابع قوله) [2]:

ارم

(الطفل يطلق رصاصة فيصيب الهدف)

الجد :

.... عظيماً..... عظيماً	لقـــد أصبت بنيـا
غداً أبـــوك سيأتي	مـــن الجهـــاد ويعلم
بـــأن من كان شبـــلاً	بالأمس قد صـــار ضيغم

---

(١) أغاريد من الخليج، ١٥٤.

(٢) أغاريد من الخليج، ١٦٥.

كذلك برزت شخصية الفدائي ابن عامر، الذي أبدى شجاعة منقطعة النظير،فابن عامر لم يخش الصهاينة،وإنما تسلل ليلاً ،مقتحما الحواجز، مخاطراً بحياته حتى يستطيع إنقاذ صديقه من الإعدام ، ويبرز هنا ذكاء ابن عامر واستغفال جنود الأعداء،وقدرته على إنقاذ وليد من الإعدام ثم الهروب به، وإيصاله إلى بر الأمان .

كذلك رسم لنا الشاعر شخصيتي كوهين وليفي اللذين انغمسا في الحديث عن كلام الشهوة ولم يكونا بمقربة عما يجري من أحداث.

ولم يبرز الشاعر رد فعل واضح لكوهين وليفي بعد هروب وليد من السجن.

وظهرت شخصية إسحاق مأمور السجن شخصية لينة لم تظهر فيها قوة السجانين وبطشهم ،الأمر الذي أدى به إلى إدخال الضابط بسهولة إلى وليد بعد قراءة الأمر مباشرة.

ومن الملاحظ الانفعال الواضح من الشاعر تجاه شخصية وليد ومعاونيه ،وإظهارهم بصفات القوة والشجاعة والبطولة،ورفضه للشخصيات المعادية حتى أنه لم يبرز لهم أية صفة ، ولم يبرزهم بأية سمة سواء الضباط أو مأمور السجن.

٥ــ الصراع:

طرفا الصراع في المسرحية هما : الصهاينة والفلسطينيون ، وحشد الشاعر شخصيات تمثل كل طرف منهما،وقد كانت عناية الشاعر برسم سمات الشخصيات الفلسطينية أكثر من عنايته برسم الشخصيات الصهيونية.

وبالرغم من ظهور ثلاث شخصيات صهيونية تمتلك زمام القوة ، إلا أنه لم

يكن هناك اصطدام مباشر مع الفدائيين ، ولم يستغل الشاعر وجودها لإذكاء الصراع ، فضعف الطرف المنافس ، واختفى الصراع الدرامي، ولم يتوتر الحدث وتتشابك خيوطه، لانعدام المواقف التي يتأزم ويحتدم فيها الصراع (١).

وأظهر الجدّ على أنه يؤثر الواجب على العاطفة، دون أن يعمق الصراع بينهما ، ويظهر ذلك عندما ابتهج الطفل بنبأ عودة أبيه، ثم تألم لأن والده سيذهب للجهاد ، ومرة أخرى وجهه الجد للواجب وحق الوطن[٢] :

الطفل :

أجـــل ســـيأتي ولكـــن مـــن بعـــدها ســـيغيب

كـــم أرقتـــنا الليالـــي ومـــزقتنا الخطـــوب

الجد :

نعـــم بـــني فهـــذا حـــق علينـــا وجـــوب

لا خـــير فيـــنا إذا لم نـــأب الخـــضوع ونـــشقى

والمسرحية تمثل صراعاً بين الخير الذي يمثله الشعب الفلسطيني وهو من ناضل وتحمل صنوف القهر والعذاب، وبين الطغيان والظلم والذي يمثله الصهاينة المغتصبون الذين لم يرحموا صغيراً ولا كبيراً أو مسناً .

٦ــ الحوار والموسيقى :

اعتمد الشاعر على الحوار في رسم الشخصيات ، وعن طريقه كشف عن شجاعة وليد ومأساة أسرته،ومن الممكن القول أن الحوار بدأ متماسكاً ،

---

(١) المسرحية الشعرية :ص٣٩٩.

(٢) أغاريد من الخليج : ص ١٦٣.

وظهرت الغنائية في موضعين.

الأول : مناجاة وليد لنفسه في بداية المشهد الثاني [1].

متـــى ألا لـــيت شـــعري	تـــزول تلـــك الفواجـــع
ربـــاه رحمـــاك شـــعبي	قـــد مـــزقته المطامـــع

أما الموضع الثاني فهو في نشيد (لحن الجهاد)[2] :

عـــند كـــل شـــهيد	للكـــرامة ثـــار
مـــرحباً بالجـــند	في ريـــاض الخلـــد
الفـــدا بالـــروح	غايـــة الأحـــرار

ومن الواضح أن ألفاظ الحماس والكفاح والتحرير طغت على الحوار، وبرز حوار الشخصيات الفلسطينية أكثر ووضوحاً. كما أن لغة الحوار سهلة جداً، حتى جنحت إلى النثرية في أحيان كثيرة وندر فيها اللحن، ومثال ذلك قول الضابط يخاطب وليداً [3]:

ا لضابط:

إنـــا ســـنؤذيك حتـــى	تـــذوق للمـــوت طعمـــاً
بالكهـــرباء ســـتكوى	وبالرصـــاص ســـترمى
أو تعـــترف فتلاقـــي	مـــنا ثـــواباً وغـــنماً

واهتم الشاعر باللغة التصويرية، التي تبرز في المقاطع العاطفية، وسجل اهتمامه برسم شخصية وليد بطل المسرحية بأبعادها الثلاثة ، الجسمي والنفسي

---

(١) أغاريد من الخليج : ص ١٥٣.

(٢) أغاريد من الخليج ،ص ١٦٠.

(٣) أغاريد من الخليج ،١٥٦.

والاجتماعي(١) حيث صوره قوياً شديد البأس مع أعدائه ويظهر ذلك من خلال خوف ليفي وكوهين من وليد ، وكذلك موقف إسحاق عندما سلم وليداً للضابط وطلب منه أن يوثق قيده ووصفه بالخطير.

وأما الموقف الاجتماعي فقد صوره حين أقبل على أبيه وطفله بعد خروجه من السجن، وهو البعد الثالث لشخصيته يقول[٢].

أبي : ....

الجد : ..... بني..........

وليد :............ هلما إلى فؤادي المحطم

نقضي هنا لحظات من عمرنا سوف ننعم

في ظلها بلقاءٍ يكون للجرح بلسم

ويسجل للشاعر كذلك عدم إطالة الدور في الحوار ، الذي يستحيل عند بعض الشعراء قصائد عاطفية،وهو ما أُخِذَ على شوقي في مسرحياته [٣].

أما إدارة الحوار بين الشخصيات فقد تأثر الشاعر بشوقي في شيء من العفوية، وتوزيع البيت على أكثر من شخص .

واستخدم المنولوج،أو المناجاة الداخلية مرة واحدة على لسان البطل وليد، عندما تأمل مأساته وأسبابها،وهذا من الأساليب التي سار عليها الكلاسيكيون،وتركها الواقعيون بعد ذلك.

---

(١) المسرحية الشعرية : نوال السويلم ص ٤٠١ -٤٠٢.

(٢) أغاريد من الخليج : ص ١٦٦.

(٣) انظر الشعر الحديث في الأحساء ، د. خالد الحليبي : ص ٢٨٦.

وخالف فصاحة اللغة في استعماله للكلمة الأعجمية (جرسون) في قوله[1]:

ليفي : جرسون

الجرسون : لبيك ليفي

ليفي : آت لنا بشراب

ودعته كذلك الضرورة الشعرية لإقامة الوزن أن يخالف بعض قواعد اللغة ومن ذلك قوله [2]:

هـــاك الـــسلاح فخـــذه	وكـــن علـــيه جـــريا
ولا تهـــاب المـــنايا	لكـــي تعـــيش أبـــيا

والصواب : ولا تهب ،و سلامة القاعدة تخل بالوزن .

وكذلك قوله [3]:

كوهين :

ليفـــي بـــربك دعـــني	ولا تطـــــيل عتابـــــي
كمـــا أثـــرت شـــجوني	وشـــــقوتي وعذابـــــي

فالخطأ هنا قوله لا تطيل والصواب لا تطل.

أما موسيقى المسرحية،فقد صاغ حواره في قالب الشعر العمودي ، والتزم وزناً واحداً هو بحر المجتث،ما عدا نشيد لحن الجهاد جاء من (وزن

---

(١) أغاريد من الخليج، ص ١٥٠. .

(٢) أغاريد من الخليج، ص ١٦٥.

(٣) أغاريد من الخليج، ص ١٥٠.

المتدارك المحدث)، وهو بحر نادر الاستعمال.

وكذلك يلجأ أحياناً إلى تغيير الروي على لسان الشخصية مسايرة لدعوات التجديد في تنويع القافية، وذلك يتيح للشاعر نوعاً من الفسحة في الكتابة ، و يتيح كذلك للمسرحية نوعاً من التغيير والتجديد لطرد السآمة عن نفس السامع أو المشاهد، ومن ذلك قوله على لسان فريد في سبعة أبيات موحدة الروي أولها(١) :

يـــا جـــد أمـــي أمـــي   رأيـــــتها في رقـــــادي

وبعدها يختتم حديث فريد بروي آخر:

لا تتركـــــيني وحـــــيداً   بـــين الــــرفاق يتــــيماً

وكقول الجد :

نعــــم بنـــى فهــــذا   حــــق عليــــنا وجــــوب

ويتبع هذا البيت بستة أبيات موحدة الروي أولها[٢] :

لا خــــير فيــــنا إذا لم   نـــأب الخــضوع ونــشقى

ومما ساهم في تماسك الحوار وترابط الأبيات استعانته بالتضمين[٣] في

---

(١) أغاريد من الخليج : ص ١٥٩.

(٢) أغاريد من الخليج ،١٦٣.

(٣) التضمين : أن تتعلق القافية أو لفظه مما قبلها بما بعدها ، كقول النابغة الذبياني :

وهم وردوا الجفار على تميم   وهم أصحاب يوم عكاظ إني

شهدت لهم مواطن صالحات   وثقت لهـم بحسن الظن فيني

وكلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة من القافية كان أسهل عيباً من التضمين.

انظر : العمدة في محاسن الشعر آدابه نقده : لابن رشيق، محمد محي الدين عبد الحميد ،ج١ ،ص١٧١ .

قوافيه كقوله [1]:

حسبي سأمحو الأعادي	من الوجود ليبقى
شعب العروبة حراً	رغم الغزاة وتبقى
أرض العروبة قبراً	لكل طاغٍ عنيد

فقافية البيت الأول (ليبقى) لا يتم معناها إلا بالفاعل (شعب العروبة) في البيت الثاني وقافيته (تبقى) لا يتم معناها إلا بالفاعل (أرض العروبة) في البيت الثالث) وقوله كذلك[2]:

غداً أبوك سيأتي	من الجهاد ويعلم
بأن من كان شبلاً	بالأمس قد صار ضيغم

فقافيه البيت الأول (يعلم) لا يكتمل معناها إلا ببداية البيت الثاني في قوله بأن من كان شبلاً بالأمس.

وكقوله كذلك[3] :

وليد لا تتجنى	على مصيرك واعلم
بأن أي اعتراف	تدلي به سوف يرحم
شبابك الغض حتماً	من الهلاك المحتم

وعند النظر إلى قانون الوحدات الثلاث،يلاحظ أن الشاعر التزم بوحدة الحدث، فالقصة تدور حول وليد ، ولم تبرز أحداثاً ثانوية؛ وهو بذلك يختلف عن

---

(١) أغاريد من الخليج،ص١٦٤.

(٢) أغاريد من الخليج ،ص ١٦٦.

(٣) أغاريد من الخليج،ص١٥٥.

شوقي الذي يبرز حدثاً ثانوياً إضافة للحدث الرئيسي [1]، ففي مسرحية (على بك الكبير) يعرض شوقي الموضوع الأصلي وهو غدر محمد بك أبي الذهب بسيده وولي نعمته على بك الكبير ، وإلى جانب هذا الموضوع الأصلي يعرض موضوعاً آخر ثانوياً، هو حب مراد بك (لآمال) الأمة التي تزوجها على بك الكبير ، ولكنه يربط هذا الموضوع الثانوي بالموضوع الأصلي، إذ يتخذ من هذا الحب سبباً لحمل مراد بك الكبير على قتله لكي يفوز بآمال [2].

أما الزمن فالقصة حدثت بعد حوالي عشرين عاماً من احتلال الصهاينة لفلسطين، وشاهد ذلك عندما وصف الجد المأساة :

مــن نحــو عــشرين عامــاً   والـشعب في الـسجن ملقــى

وكذلك حدد فترة السجن التي أمضاها وليد غائباً عنهم :

عــشرين شــهراً وعــيني   لم تــدر طعــم الهجــوع

وجــزء كــبير مــن هــذه الحقــبة لا يــدخل في زمــن المــسرحية،لأن الحـدث لم يـبدأ بغـياب ولـيد،وإنما بهـروبه مـن سـجنه،الذي تم لـيلاً قُبَـيْل فجر إعدامه(٣).

وبين المشهدين الثاني والثالث حقبة زمنية مجهولة ،فيها هرب وليد ، وبعث خطابا لوالده،يخبره بموعد قدومه،وهذه الفترة يمكن تحديدها ببضعة أيام على أحسن تقدير،وبذلك تكون المسرحية التزمت بوحدة الحدث والمكان

---

(١) للاستزادة انظر: المسرح، محمد مندور،ص١١٨، ١١٩، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،(د.ط)، ٢٠٠٣م.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٠.

(٣) انظر المسرحية الشعرية ص١٠١.

فقط،ولم تراع وحدة الزمن [1].

ومما لا شك فيه أن الشاعر استطاع أن يؤثر في مشاعر القارئ والمشاهد،وأن يخلق عدداً من الانفعالات مثل: الانتماء للوطن، والشهادة في سبيل الله،وكره الإعدام؛ وبغض الأعداء؛ وغير ذلك من المشاعر.

# # #

---

(١) انظر المسرحية الشعرية، ص ٤٠٢.

مسرحية عودة جان دارك [1]

١ - عرض المسرحية:

تتألف المسرحية من ثلاثة فصول، يصور فيها الشاعر فتاة اسمها سعاد من الجزائر ،حيث تدور أحداث المسرحية، أثناء فترة الاستعمار الفرنسي لهذا البلد العربي.

الفصل الأول:

ويبدأ في المستشفى الذي تعمل فيه سعاد ،وتظهر وهي متضجرة بسبب الدمار الذي يحدثه الاستعمار، بالإضافة إلى آلاف الضحايا والدماء المهدرة بسبب الحرب ، وبجانب سعاد صديقتها فاطمة ، وقد جلستا على مقعدين في مقهى المستشفى لأخذ قسط من الراحة من عناء العمل ، وبينما هي تحاور صديقتها فاطمة،تقبل عليهما هنادي ، وتخبر فاطمة بمداهمة العدو لبيت عكرمة والد سعاد،ليسأله عن دور ابنه المجاهد سعد،إلا أنه أبى الاعتراف للعدو بأي شيء،

---

(١) جان دارك القديسة (١٤١٢ -١٤٢١م) بطلة قومية فرنسية ، أصبحت فيما بعد قديسة تابعة للكنيسة الرومانية الكاثوليكية . كانت فتاة ريفية بسيطة، أنقذت فرنسا من الهزيمة في أحلك فترات حرب المائة عام مع إنجلترا ، ولدت جان دارك في دوريمي قريباً من نانسي ، وعلى الرغم من أنها لم تتعلم القراءة والكتابة ، فإنها تأثرت بوالدتها ، ونشأت كاثوليكية متدينة . وكانت تسمع أصواتاً وترى رؤى رسخت في نفسها أنها مختارة لمساعدة الملك تشارلز السابع لطرد الإنجليز؛ وفعلاً ذهبت لمقابلته ، وعرضت عليه الأمر في وقت كان فيه أعداء الملك يسيطرون على باريس وشمال فرنسا، وكانت هناك خلافات بين مستشاري الملك، وخزينة الدولة فارغة ، ولم يكن أمام الملك إلا أن يستمع إليها، بل أعطاها درعاً وعلماً وعهد إليها بقيادة الجند . سارت إلى جان أوليانز وتمكنت من الحصار ، وطرد الإنجليز، وبعد تتويج الملك في ١٧ يوليو ١٤٢٩م، أرادت جان دارك تحرير باريس من الإنجليز، لكنها وقعت في الأسر عام ١٤٣٠ م وقدمت للمحاكمة في مايو بتهمة السحر ، وحكم عليها بالإعدام ، ونفذ فيها الإعدام حرقاً في ٣٠ مايو ١٤٣١م . ونالت إعجاب المواطنين ومؤيدي حقوق المرأة وأقيمت لها النصب التذكارية . انظر الموسوعة العربية العالمية، ج : ٨ ، ص١٦١ ،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض، ط : ١ ، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

فلقي حتفه هو ووالدة سعاد .

وعندها لم تستطع فاطمة أن تخفي مظاهر الحزن، مما آثار القلق والضجر في نفس سعاد ،و تقوم سعاد بسؤال فاطمة بعد أن رأت علامات التغيير والحزن والإرباك في وجهها عن السبب الذي أفزعها، وتطلب منها مصارحتها بالحقيقة ، وتحاول فاطمة تذكيرها بالصبر،وما يناله الصابرون من الأجر والمثوبة،وتخبرها باستشهاد والديها،و في نفس الوقت تدعو الله أن يتغمدهما برحمته.

وفي المشهد الثاني تذهب سعاد وفاطمة إلى المنزل الذي حدثت فيه المأساة، وقد غص بأهل الحي الذين قدموا لتجهيز الأسرة المنكوبة وتشييعها ، ولما رأوا سعاد، هرعوا إليها ، ليخففوا عنها وقع المصيبة حيث يخاطبها أحدهم قائلاً[1] .

سعاد مرحى سلمت   فإن هذي الرزية
قد ألمت كل شهم   ....

سعاد : تجيب قائلة :

....   بل إن هذي القضية
ليست قضية بيتٍ   للغدر صار ضحية
بل محنة الشعب.......   ....

أحدهم : يقول :

---

(١) أغاريد من الخليج ، ص ١٧٤.

.........حقـــــــــــــــــــــــــــاً　　　مـــــن العـــــصاة العـــــصية

مــــا مـــات مـــنجب ســـعدٍ　　　وأخـــــــــته للـــــــــــــبرية

ثم تحول نظرها إلى أبويها ،فتلقي عليهما نظرة ملؤها الحزن وقد اغرورقت عيناها بالدموع.

الفصل الثاني :

في المشهد الأول ينتقل إلى مكان آخر، إلى إحدى المغارات الجبلية، حيث تعقد إحدى مجموعات الفدائيين اجتماعاً ،يقدم فيه رئيس المجموعة لبقية الأعضاء المجاهدة سعاد في أول أدوار جهادها المعلنة ،ويُظهِر للجميع النجاح الذي حققته سعاد في نقل السلاح إليهم،والكشف عن مواقع العدو ، وبعد ذلك يقدم إليهم شخصا يدعى سعد والذي بشرهم بنجاح العملية وقتل المئات من قوات الأعداء ، ويشيد الرئيس بالدور البارز الذي قامت به سعاد ،والذي كان له أثر بارز في النصر ،ويتلفت سعد فتلتقي عيناه بعيني أخته ،فيتعارفان على الفور ويحتضن كل منهما الآخر في لقاء مؤثر(١) .

سعاد :

أسعد أرى ؟ ....　　　.......................

سعد

.... أختي سعاد.......　　　........................

سعاد :

---

(١) أغاريد من الخليج ،ص ١٧٩.

.... أهذه طيوف أمانٍ ؟ ....

سعد .... بل هو الحق باديا

الحاضرون : يرددون في دهشة بيتاً مأثوراً.

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا [1]

سعد :

فكيف تركت قرة العين والدي

ووالدتي ؟ ....

سعاد : .... هم في الجنان العواليا

الرئيس : محاولاً إخراجهما من هذا الجو العاطفي :

مـــا غـــاب بـــدر أنـــتما مـــن نـــوره يـــا فخـــرنا

فأنـــتما في هـــيكل الـــ تحريـــر خـــير مـــن بنـــى

سعد سعاد : (في صوت واحد)

عفـــواً فمـــا قمـــنا بمـــا يـــوجب إســـداء الثـــنا

فالكـــل مـــنا ســـاعـد يـــسهم في رفـــع العـــنا

عـــن أمـــةٍ لا حـــظ في حـــياتها للجبـــنا

ويتذكر سعد أمراً مهماً جاء من أجله ، وهو البحث عن طبيب يداوي الجرحى، فتذهب سعاد معه لإسعافهم .

---

(١) ديوان مجنون ليلى: عبد الستار أحمد فراج ص٢٢٧ ،مكتبة مصر ، القاهرة، (د.ط) ، (د..ت).

وفي المشهد الثاني : سعاد تتجول بين الأسرى ، وتحاول مساعدة وإسعاف الجرحى ، ويظهر عليها الجهد والتعب ، ومن بين مجموعة الأسرى طفلة فرنسية تنزف من جراء إصابتها بشظايا منتشرة على جسدها ، وتحاول سعاد إنقاذها ، وترى أنه من الضروري نقلها إلى المستشفى لأن حالتها حرجة ، ورغم صعوبة الطريق تصمم سعاد على نقل الطفلة إلى المستشفى ، وتذهب برفقة أحد الفدائيين إلى المستشفى التي تعمل بها.

والمشهد الثالث : تدور أحداثه في المستشفى الذي كانت تعمل فيه سعاد سابقاً، ويدخلان المستشفى؛ فتلاحظ سعاد أن كل شيء حولها يبدو غريباً [1] .

سعاد :

عجباً ما الذي جرى ؟	ما الذي جدَّ يا ترى ؟
أين ولت صواحبـــي ؟	....

يجيبها رجل كان واقفاً هناك :

....	كـــــــل شيء تغيرا

وتقوم سعاد بتسليم الطفلة الجريحة للاستقبال ، وتقوم المسؤولة بتسلم الطفلة، وتطلب من سعاد إبلاغ مسؤول الأمن ، وبعد ذلك يكتشف مسؤول الأمن حقيقة سعاد ، فيضع الأغلال في يديها ويواصل الكلام:

سـيحلي يـديك أغلـى سـوار	قـد تحلـت بـه بـنات الجهـاد

---

(١) أغاريد من الخليج ، ص ١٨٦

ثم يتم نقلها إلى السجن بصحبة رجال الأمن.

الفصل الثالث :

في المشهد الأول تعقد المحاكمة بحضور القضاة والمتهمة سعاد، والمدعي العام ومحامي الدفاع والشهود وعدد من المتفرجين ، و يقوم المدعي العام بتوجيه التهمة وبيان الجرم الذي ارتكبته سعاد ، ويطالب بمحاكمتها فيقول :

المدعي العام [1] :

إن التي ترونها أمامكم	أكثر من سفاحةٍ محترفة
أفنت مئات الجند من عسكركم	وفي قضايا الخطف أدهى خاطفة
تؤلب الناس على عصيانكم	والناس في تيارها منجرفة
أشعلت الأرض لظاً من تحتكم	حتى غدت كل فرنسا خائفة
على بنيها فلتكن أحكامكم	قاسية في هذه المحترفة
بكل ما قد صنعت في حقكم	من فادح الجرائم المختلفة
وها هي الآن تقوم بينكم	كأنها أوراس(٢) بين العاصفة
لم تطلب الغفران من حضرتكم	ولم تقل يوماً لديكم آسفة

بعد ذلك يقوم القاضي بالاستماع إلى الشهود ، ويحاول محامي الدفاع عن سعاد الإنكار على قومه ذلك الاستبداد والطمع في ثروات الشعوب ، بعدها يقوم القاضي بقراءة حكم المحكمة، الذي يقضي بإعدام سعاد شنقاً حتى

---

(١) أغاريد من الخليج ، ص ١٩٠ ، ١٩١.

(٢) جبل الأوراس أعلى ارتفاع في إقليم المرتفعات الأطلسية بين شمالي الجزائر وجنوبها ، وأعلى ارتفاع لجبل الأوراس عند قمة الشلية حيث يبلغ نحو ٢,٣٢٩م ، انظر : الموسوعة العربية العالمية، ج٨،ص٢٩٢.

الموت أمام الجماهير في العاصمة.

وفي **المشهد الثاني** في ساحة الإعدام،الناس يتقاطرون على الساحة من كل حدب وصوب ليشهدوا الحدث الجلل،ويؤتى بسعاد على مجنزرة،وحين تترجل آخذة الطريق إلى مقصلة الإعدام ترتفع الأصوات بالهتاف وإطلاق عبارات التشجيع لها والتحدي لرجال السلطة . وترمق طفليها وهما بين الجماهير بنظرة ملؤها الحنان والعطف ، ثم بأعلى صوتها تردد [1] :

اليوم أكتب من دمي	سطراً بملحمة الكفاح
لا تغرقاه من دموعكما	فلن يجدي النواح
نحن قرابين الكرا	مة للتحرر والنجاح
فغداً إذا ولي الظلا	م وجاد بالنور الصباح
تجنون ما زرعته لل	أجيال أسنان السلاح

وفي اللحظة التي يلتف الحبل حول عنقها ، يسمع صوت يتردد صداه في كل مكان حتى يصم الآذان منطلقاً من حناجر الجماهير [2] :

اللّه أكبر يا شعو	ب الشرق هيا إلى الكفاح

٢ـ الفكـرة :

قبل الدخول في فكرة المسرحية يجب الإشارة إلى أن هناك علاقة بين جان دارك تلك المناضلة التي نجحت في رفع حصار قوات الاحتلال الإنجليزية عن (أورليانز الفرنسية ١٤١٢م)،وبين سعاد تلك المجاهدة البطلة التي ضحت بنفسها من أجل طرد المحتل ،وتخليص الشعب من قبضته وبطشه،وأرهبت الفرنسيين

---

(١) أغاريد من الخليج : ص ١٩٨.

(٢) أغاريد من الخليج ، ص ١٩٩

وزرعت الرعب في قلوبهم،وأحبها الشعب لجرأتها ونضالها،وقد شبهها الفرنسيون بـ(جان دارك) رمز النضال في كفاحهم ضد الإنجليز.

والتهمة التي أدخلت سعاد إلى السجن وأدت إلى الحكم عليها بالإعدام، جعلت الشعب يصفق لها ،هي نفس التهمة التي جعلت جان دارك في وجدان الشعب الفرنسي. وأصبحت رمزاً من رموز كفاحهم ، وآلمهم المصير الذي حكمت به ، والنهاية المفجعة التي آلت إليها .

ويحاول الشاعر أن يتكئ على تناقض السياسة الاستعمارية في إعدام سعاد مع إقرارهم بشجاعتها وإطلاقهم عليها جان دارك [1]:

سعاد :

اسمي سعاد ويقول بعضكم   عني جان دارك فهل يسوؤكم؟

ما صنعت جان دارك في أعدائكم   حين أذلوكم ونكلوا بكم

القاضي:

جان دارك تلك الرمز في كفاحنا   وأنت لا تألين في إرهابنا

شتان بين من يريد مجدنا   وبين من يسعى إلى تدميرنا

وهذه قمة التناقض الفكري والعقلي لدى هؤلاء.

سعاد:

عجبت من عقلية المغتصب   ليس لها من مبدأ أو مذهب

بمنطق الذئب ومكر الثعلب   تسوس من تحكمهم........

---

(١) أغاريد من الخليج ، ص ١٨٨.

القاضي:.............................. .... اجتبي

هذا الهراء الآن أخبرينا ما عمرك وأين تسكنينا؟

ويدين الشاعر مرة أخرى سياسة المستعمر على لسان أحد المنصفين الفرنسيين الذي وقف إلى جانب سعاد يدافع عنها ، وينعى على قومه اضطهادهم للشعب الجزائري ، وخيانتهم لمبادئ الثورة الفرنسية التي انطلقت عام ١٧٨٩م،والتي كان من أهم مبادئها إعلان حقوق الإنسان[١]يقول المحامي[٢] :

حضرات القضاة إن القضية ليست اليوم جرم هذه الفتاة

إنها مصرع الحضارة فينا بِيَدِ الراغبين نهب الحياة

من سوانا لكي نزيد ثراءً وتموت الشعوب بالحسرات

إن تكن هذي أبادت مئات من جنود زجت بهم في الفلاة

طغمة تُيمت بكل خسيس زينته الأطماع عند الطغاة

فلقد كان جرمنا شر جرمٍ حين خُنّا مبادئاً للأباة

سطروها من الدماء لتبقى مشعلاً للإنسان في الحلكات

باسمها أطلب البراءة فوراً لفتاة كانت أبرَّ البنات

بذويها وشعبها فذبحتم أهلها مثل ذبحكم أَيَّ شاة

فعظيم الرجاء ألا تكونوا مخلباً للمغامرين الغلاة

والمسرحية تركز كثيراً على الجوانب الإنسانية ،سواء من خلال ما قامت به سعاد تجاه تلك الطفلة الفرنسية التي كان لها بعد الله الفضل في إنقاذ

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : مقال بعنوان (الفقر عرق فرنسا) جريدة الرياض الخميس ٢٢ شوال ١٤٢٦هـ عدد ١٣٦٦٧.

(٢). أغاريد من الخليج : ص ١٩٢ -١٩٣

حياتها من الموت ، ولم تعاملها معاملة ما كان عليه آباؤها من الغدر والقتل ، وكذلك الشعب الجزائري الذي وقف بجانب سعاد من جهة، وبجانب قضيته من جهة أخرى، وظل يناضل صامدا في وجه العدو.

كذلك تبرز المسرحية الشجاعة والبطولة التي أظهرتها سعاد في الوقوف ضد المحتل من جهة، ووقوفها أمام الموت في ساحة الإعدام بكل ثقة وطمأنينة،وهو ليس بمستغرب على سعاد فأبواها لقيا الشهادة أمام المستعمر فداءً للوطن.

٣ـ الحدث :

بدأت أحداث المسرحية داخل المستشفى ، عندما كانت سعاد جالسة مع صديقتها،واستمرت هذه الأحداث التي تناولت تفاصيل حياة سعاد من البداية، وانتهت في المستشفى بالقبض عليها وإيداعها السجن ثم الإعدام ، وجوانب حياة سعاد هي حياتها قبل مرحلة النضال ، ومن ثم حياتها وهي بطلة مناضلة ، وبعد ذلك نهاية حياتها عندما قبض عليها وأعدمت.

وأحداث الفصل الأول دارت في المستشفى عندما كانت سعاد مع صديقتها الممرضة حيث يصل إليها الحدث الجلل وهو استشهاد والديها، هذا الخبر الذي وصل إليها عن طريق إحدى صديقاتها وهي هنادي[(١)] :

حاقـت بأهـل سـعاد أجــ	معهـــم بأيـــدٍ آثمـــه
هجمـت علـيهم في الظـلا	م عـــصابة متلـــثمه
مــن جــند ســفاح الــبلا	د لكـي تـسائل عكـرمه

---

(١) أغاريد من الخليج : ص١٧١.

عــن دور شــبله في الجهــا	د ومــا عــسى أن يعلمــه
عــنه وعــن كــل الــرفا	ق فقــال أنــتم واهمــه
لا علــم عــندي فاطلــبو	هــم في الــسجون المعــتمه
لا شــك أنــك تدركــي	ن الآن كــيف الخاتمــه

وتدور أحداث الفصل الثاني في إحدى المغارات الجبلية، وقد أخذت سعاد دورها البطولي، ولم يربط الشاعر بين أحداث الفصل الأول والفصل الثاني، واستعان الشاعر برواية الحدث بدلاً من عرضه للأحداث[1]، يقول[2]:

فقــد تم تــدمير مــستودعين	وكوكبه من جنود النظام
ضــحاياهم قــدرت بالمــئات	ومن ناله الأسر نال السلام
وأمــا خــسائرنا لم تــزد	على رجلين وبعض الخيام
فقــد قادنــا للــنجاح الكبــيـ	ـر فتاة أتت تحت جنح الظلام
إليــنا بأخــبار جــيش العــدو	بــتلك المواقــع وهــو المــرام

ومن خلال هذه الأحداث وتتابعها تلتقي سعاد بأخيها سعد، ويتعارفان، ولم تكن هناك حاجة إلى ذلك، وحاول الشاعر أن يستقصي جميع الأحداث التي مرت بسعاد، بداية بعملها في المستشفى مع صاحبتها، ومن ثم سماعها خبر استشهاد والديها، والدور البطولي بعد ذلك، وبلقائها بسعد، وهذه الأحداث لا يربطها ببعض إلا سعاد.

---

(١) المسرحية الشعرية في الأدب السعودي المعاصر، ص ٤٣٦.

(٢) أغاريد من الخليج: ص١٧٨.

وفي نهاية الفصل الثاني تبدأ حادثة تميزت بالبناء الدرامي المتماسك ، عندما قامت سعاد بحمل الطفلة الجريحة وأصرت على نقلها إلى المستشفى مع أحد الفدائيين ، ويصل الحدث ذروته عندما أُلقِي القبض على سعاد من قبل رجال الأمن، مع اختفاء الطريقة التي استطاع الفرنسيون من خلالها الاهتداء إلى مكانها والتعرف عليها، وتنتهي أحداث المسرحية في الفصل الثالث عندما حوكمت سعاد وتم الحكم عليها بالإعدام، ومن ثم إعدامها أمام جميع الجماهير.

٤ - الشخصيات :

استطاع الشاعر رسم شخصية سعاد في المسرحية وجعلها طوال المسرحية في مواجهة الأحداث،وهي الشخصية الرئيسة والمُعْنَى بها ، وقد جعلها الشاعر شخصية نسائية، وشخصية سعاد بخلاف باقي الشخصيات ،ففي الفصل الأول ظهرت فاطمة وهنادي صديقتا سعاد في المستشفى،وكذلك طائفة من أهل الحي يواسون سعاد في المصيبة التي ألمت بها.

وفي الفصل الثاني ظهر الفدائيون الجزائريون ورئيسهم،وأخوها سعد،والطفلة المصابة وطائفة من الجرحى،والفصل الثالث ظهرت شخصية القاضي والمحامي والمدعي العام والشهود، ورجال السلطة ،وطفلا سعاد ونكرات مسرحية (المتفرجون).

ومن الواضح عناية الشاعر بشخصية سعاد ، وإهماله لباقي الشخصيات، حيث كان ظهور سعاد بصورة واضحة طامسا لمعالم الشخصيات الأخرى

وجاعلا منها شخصيات نمطية[1] .

واستطاع الشاعر أن يخلق لسعاد أبعاداً اجتماعية ونفسية وإنسانية من خلال سلوكها وأقوالها ، فالبعد الاجتماعي يظهر من خلال أنها فتاة جزائرية من طبقة اجتماعية متوسطة ،تعمل طبيبة في إحدى مستشفيات العاصمة . فقدت والديها وتركها أخوها إلى ساحة النضال ، وهي أم لطفلين تركتهما إلى ساحة الجهاد ،وكل ذلك من أجل النصر والدفاع عن الأرض والوطن .

والبعد النفسي يظهر في رفضها الظلم ، والقهر ، ولم يرضها الحال الذي تعيشه البلاد في تلك الفترة،وهي تحمل في داخلها الثأر لأهلها ولأبناء وطنها الذين ماتوا ظلماً وزوراً .

أما البعد الإنساني فيظهر من خلال المعاملة الإنسانية التي أبدتها سعاد تجاه الطفلة الجريحة،ولم تنظر إلى ما كان يفعله أهلها المجرمون ، ووقفت وقفة إنسانية، وأصرت على الذهاب بها للمستشفى ، على الرغم من خطورة الموقف، فاحتمالية وقوعها في أيدي الأمن واردة؛ومع ذلك ذهبت بها إلى المستشفى[2] .

فعندما وصل الفدائيون إلى الموقع وفي حوزتهم بعض الأسرى ،بينهم طفلة تعاني من نزف شديد جراء شظايا منتشرة على جسدها ، فتسارع سعاد لإسعافها ولكنها تجد أن الطفلة في حاجة إلى العلاج في إحدى المستشفيات .

---

(١) المسرحية الشعرية في الأدب السعودي المعاصر ، ص ٤٣٨.

(٢) أغاريد من الخليج : ١٨٣.

سعاد : تخاطب أحد الفدائيين[1] .

لا بد من نقل المصابة في عجل   لمصحة فمصابها أمر جلل

الفدائي:

طلب عجيب وهل نسيت أننا   بمغارة قصوى على رأس جبل

سعاد :

لم أنس هذا يا عزيزي فلتسر   في صحبتي فأنا الكفيلة بالعمل

الفدائي :

إن مـــا تطلبيــــنه مــستحيلُ   فجميع الدروب بالجند غرقى

إن ذهـبت بهـا إلى أي مـشفى   لـن تعودي ومـا أخالـك حمقـى

سعاد :

أي ذنـــب لهـــذه فتلاقــــي   حــتفها بينــنا فــبالله رفقــا

الفدائي :

ذنــبها أن قـــومها يـــرهقونا   مــنذ قــرنٍ قــتلا ونفـيا وســرقا

ذنـــبها أن أمهـــا وأباهـــا   مـن فرنـسا ،وهل هـنالك أشـقى؟

سعاد :

لم تـصر مـثل هـؤلاء يـا أخانـا   بعــد والــرفق بالطفــولة أتقــى

---

(١) أغاريد من الخليج ، ١٨٣.

أي فـرق بـين الخـيول إذا هـم　　قد تـساووا في حلبة الظلم سبقاً

أأكـن كـالغـزاة لـؤماً وظلماً　　ألف كـلا ، بها سـأمضي وألقى

مـا ألاقـيه مـن مـصاعب إنـي　　بـنت قـوم تـرى المـبادئ أبقـى

لا أبالـي بـأن أمـوت وتحـيا　　طفلـة مـن بـراعم الـورد أنقـى

ثم تذهب سعاد يرافقها أحد الفدائيين،ويحملان الطفلة إلى المستشفى الذي كانت تعمل به سعاد.

وتظهـر الإنـسانية في شخـصية سـعاد مـن خـلال معاملـتها مـع الأسـرى الجرحى،وقد نـزف مـن نـزف منهم دماءً،ونظـرت إلى ذلك بعين الشفقة والرحمة والعطف وبادرت إلى إنقـاذهم، ويتـضح ذلـك مـن الجهـد والـتعب والإرهـاق جـراء ذلك العمل المتواصل :

يقول أحد الفدائيين [1]:

حسبك يا سعاد جهداً فقومي　　واسـتريحي فقـد بـذلت الكـثيرا

سعاد :

كيف آوي إلى فراش وهذا　　مستغيث وتلك تُصلى سعيرا

من جروح ومن كسور وما في　　حوزتي بلسم يريح الكسورا

واستطاع الشاعر أن يُكسب شخصية سعاد أبعاداً من خلال صلتها بالعالم الحقيقي،وهنا رسم العالم الخارجي وجود شخصيتها وأعجب بها، وأعجبت الجماهير عامة،كما أن هذه الأبعاد في شخصية سعاد ظهرت من

---

(١) أغاريد من الخليج : ١٨٢.

خلال ما يسمى بـ (التكافؤ المنطقي)[1] حيث أن مقتل والدها ووالدتها هو الذي جعلها تتحول من ممرضة في المستشفى إلى بطلة تتحدى الأعداء في المغارات والجبال، وكذلك ذهابها بالطفلة إلى المستشفى هو الذي جعل العدو يقبض عليها ومن ثم تقاد إلى المحكمة ثم الإعدام.

٥ـ الصـــــراع :

أول ما يظهر لنا أن الصراع في المسرحية صراع بين الخير والشر ، وهما طرفان متنازعان، أجاد الشاعر إبراز الطرف الأول وهو سعاد بينما أخفى الطرف الآخر وهم الفرنسيون ، ولم يظهرهم إلا في آخر المسرحية بعد أن قبضوا على سعاد في المستشفى ، وبالتالي المحاكمة والإعدام.

وجلسة المحاكمة تمثل نقطة التقاء الخصوم وأطراف القضية ، ولم تصطدم سعاد فيها بأشخاص ، وإنما صدمتها مبادئ الظلم والتعسف . واتخذ صراعها ضد الفرنسيين صورة الجدل والمساءلة، ولم يشفع لها دفاعها عن نفسها، ولا حماس المحامي، ودفاعه عنها[2]، وبعد ذلك تخسر سعاد القضية ، والخير لابد أن ينتصر في النهاية، ولم ينته الصراع بنهاية سعاد، بل ابتدأ، وإعدامها سيشعل الصراع ، ويرفع من مستوى المقاومة والحماس ، وبالتالي أدرك الجنديان عاقبة ذلك عندما تم إعدام سعاد في وضح النهار[3]:

---

(١) النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال ص ٥٦٩، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ، ط. ب، ت. ب..

(٢) المسرحية الشعرية في الأدب السعودي المعاصر ، ص ٤٤٢.

(٣) أغاريد من الخليج ، ص ١٩٦.

إن إعــدامها جهــاراً نهــاراً　　　بين هذي الجموع أمر خطير

صاحبه (يرد عليه قائلاً):

خطــأ فــادح تــسبب فــيه　　　ســوء تقديـرنا لما قـد يـصير

الأول:

خطـأ للقـضاة لـن يتكـرر　　　أبـداً بعـدما جـرى ....

الثاني: ....　　　................................ فتصور

بعد أن يلتف الحبل حول عنقها تهتف الجماهير قائلة:

اللّه أكـــبر يـــا شـــعو　　　ب الـشرق هـيا إلى الكفـاح

استطاع الشاعر عبد الرحمن آل ملا أن يعمق جذور الواجب في الضمير الفردي من خلال سلوك سعاد وتصرفها ، واستطاع أن يستغل الصراع لاستغلال الواجب على نحو يصنع الانتصار.

٦ - الحوار والموسيقى :

يذهب الدكتور محمد غنيمي هلال إلى أن الحوار يكتب ليقال لا ليقرأ [١] وقد جاء الحوار في المسرحية متماسكاً مركزاً ، وخلا من الاستطراد ، ولم يظهر إلا في قول سعاد لمن يواسونها[٢] :

لـئن ضرسـتنا ضـواري المنون　　　فــإن جزائــرنا الغالــيه

سـتنجب في كـل يـوم كمـا　　　ةً تزلـزل أقسى القوى العاتيه

لـسوف تهـاوى عـروش الطغـا　　　ةِ لأن الـشعوب هــي الباقـيه

---

(١) النقد الأدبي الحديث : محمد غنيمي هلال : ص ٦١٢.

(٢) أغاريد من الخليج : ص١٧٤. ١٧٥.

وتظهـــر الغنائـــية واضـــحة عـــندما نظـــرت إلى والـــديها بنظـــرة ملـــؤها الحزن ،وقد اغرورقت عيناها بالدموع :

وداعـاً أبي ، أمي لئن سرتما معاً | من المنزل الأدنى إلى المنزل الأعلى
فـــإن لتحريـــر الـــبلاد ضـــريبة | وإنفاقهـا مـن خـالص الـشرفا أولى
لقـد جـدتما بالـروح وهـي عزيـزة | ولكـن مجـد الحـر من روحه أغلى
وداعـــاً إلى أن يجمـــع الله شملـــنا | بجـناتِ عـدنٍ مـا أجـل ومـا أحلـى

والنزعة الخطابية في هذا الموقف لم تضعف الحبكة ، لأنها شديدة الارتباط بالموقف ولم تنفصل عنه[1] .

ولغة المسرحية تظهر فيها السهولة،والقرب من حياة الناس اليومية، ولم يظهر فيها التعقيد أو الصعوبة، ومن ذلك :

يقول محامي الدفاع[2] :

حضرات القـضاة إن القـضية | ليست اليوم جرم هذي الفتاة
إنهـا مـصرع الحـضارة فيـنا | بـيد الـراغبين نهـب الحـياة
مـن سـوانا لكـي نـزيد ثـراءً | وتمـوت الـشعوب بالحـسرات
إن تكـن هـذه أبـادت مـئات | مـن جنود زجت بهم في الفلاة
طغمـة تـيمت بكـل خـسيس | زينـته الأطمـاع عـند الطغـاة

وكذلك قول سعاد وسعد : في صوت واحد رداً على ثناء الرئيس عليهما

---

(١) المسرحية الشعرية،ص٤٢٤.

(٢) أغاريد الخليج : ص ١٩٢ -١٩٣.

وهما في الجبهة [1]:

عفـــواً فمـــا قمـــنا بمـــا　　يـــوجب إســـداء الثـــنا

فالكـــل مـــنا ســـاعدُ　　يـــسهم في رفـــع العـــنا

عـــن أمـــة لاحـــظ في　　حـــياتها للجبـــنا

ووفـق الـشاعر عـندما طعـم الحـوار بمـنظوم غـيره في أكثـر مـن موضع ، ومن ذلك، أبيات لعلي محمود طه[2] :

أخـي جـاوز الظالمـون المـدى　　فحـق الجهـاد وحـق الفـدا

فجـرد حـسامك مـن غمـده　　فلـيس لـه بعـد أن يغمـدا

طلعـنا علـيهم طلـوع المـنون　　فـصاروا هـباءً وصـاروا صـدى(٣)

وكذلك ببيت مجنون ليلى [4] يقول:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما　　يظنان كل الظن أن لا تلاقيا"

وقد اقتبس الشاعر معنى المثل الذي يقول: " إن العصا من العصية "[5]وأراد به أن الشيء الجليل يكون في بدء أمره صغيراً.

---

(١) المرجع السابق، ص١٨٠.

(٢) المرجع السابق ،ص١٨٢، وعلي محمود طه المهندس(١٩٠٣، ١٩٤٩م)، شاعر مصري كثير النظم ، ولد بالمنصورة ، وتخرج بمدرسة الهندسة التطبيقية وخدم في الأعمال الحكومية إلى أن كان وكيلاً لدار الكتب المصرية ، وتوفي بالقاهرة ، ودفن بالمنصورة ، له دوارين شعرية ، طبع منها : " الملاح التائه" و " ليالي الملاح التائه" و " أرواح شاردة " " و" أرواح وأشباح " و " زهر وحمر" و " شرق وغرب " و " الشوق العائد" وأغنية الرياح الأربع"، و. انظر: الإعلام للزركلي ج :٥، ص ١٧٣.

(٣)الأبيات لم ترد في ديوان الشاعر.

(٤) أغاريد من الخليج، ص١٧٩ .

(٥) مجمع الأمثال ، الميداني ج ١ ،ص ٤٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

سعاد : .... بل إن هذه القضية

ليست قضية بيت للغدر صار ضحية

بل محنــة الشعب ....

أحدهم:

.......................حقا من العصـــاة العصية

واقتـضت الـضرورة الـشعرية مخالفـة بعـض القـواعد كقـصر المـدود في قوله:

نال الكرامة والشهادة والإبا أبواك في عز وصبر نادر

فقصر الممدود في الإبا.

وكقوله:

عفـــوا فمـــا قمـــنا بمـــا يـــوجب إســـداء الثـــنا

فالكـــل مـــنا ســـاعد يـــسهم في رفـــع العـــنا

قصر الممدود في كلمتي : الثنا ، والعنا .

وقوله كذلك :

لن تراعي فسوف نبذل أقصى ما لدينا من الدوا والوداد

فقصر الممدود هنا في كلمة الدوا .

ولم يخرج الشاعر آل ملا في مسرحيته عن نطاق الشعر العامودي، ونوع في بحوره ،فنظم من بحر الرجز ومجزوئه أكثر شعر المسرحية ، ثم من بحر

الخفيف ، وبضعة أبيات من مجزوئه ، ومن الكامل ومجزوئه ، ومن المتقارب ، وبضعة أبيات من المجتث ،والطويل والهزج والسريع[1].

وحاول في أكثر من موضع توزيع البيت بين المتحاورين، كقوله من الرجز:

أحد الحاضرين :

خيراً ؟ ....

ثان : .... لماذا ؟............

ثالث :...................... ما الخبر ؟

سعد :...................... بعض الأسارى تحتضر

وقوله كذلك من بحر الطويل :

سعاد :.أسعداً أرى ؟....................

سعد : .... أختي سعاد

سعاد :.................. أهذه طيوف أمان ؟ ....

سعد : .... بل هو الحق باديا

وقد لجأ إلى التضمين الذي ساعد على تماسك الحوار، وشاع ذلك في قوافي المسرحية، و في مواضع كثيرة منها قوله [2]:

يا رحمةالله أدركيني واغمري شهداءنا منك بحظ وافر

---

(١) المسرحية الشعرية في الأدب السعودي المعاصر ص ٤٤٧.

(٢) أغاريد من الخليج : ص١٧٣.

هـــيا معـــي لأرى الـــرزية علـــني   أرى منهم أثـراً يكحل ناظـري

وقول سعاد أيضاً [1]:

عمـري فـداء لحمـى الجزائـر   ومـوطني معقـل كـل ثائـر

حتـى تعـود الـروح للـضمائر   فيختفـي كـل غـشوم جائـر

ويـصدح التكـبير في المنائـر   للنـصر والتحريـر والبـشائر

وقوله على لسان الشاهد [2]:

أجــل وربـــي إنهـــا لمجـــرمة   قد أوسعتنا في الليالي المعتمة

قـتلا وتـشريداً وعـادت سـالمة   وتـــارة تـــبدو لـــنا مـــنجمة

وعـند الـتمعن في قانـون الـوحدات الـثلاث ، فـإن الحـدث الـذي بنـيت علـيه المــسرحية يــدور حــول الــبطلة ســعاد مــع اســتعراض جــوانب كــثيرة مــن حياتها ، وأعطـى الـشاعر سـعاد جـل اهـتمامه، ولـم يـأت بأحـداث ثانـوية ، ومـع ذلـك تفـتقد المـسرحية وحدة الحدث ، لأن وحدة الحدث لا تعني أن يدور الموضوع حول شخص واحد ، فقد تقع له عدة أحداث لا تكون فعلاً واحداً [3] .

أمـا المكـان فقـد تعـددت المناظـر ،مـنها المستـشفى ، ومنـزل أهـل سـعاد ، والمغـارات الجبلـية ، وقـواعد المجاهـدين ،و المحكمـة ،وأخيراً سـاحة الإعـدام. وجميع هذه الأماكن لم تخرج عن نطاق الجزائر ،والشاعر ملتزم بوحدة المكان على وجه العموم.

أما زمان المسرحية فقد ظل مجهولاً ،حتى سير الأحداث لم يرتبط بزمن

---

(١) أغاريد من الخليج ، ص١٨٩.

(٢) أغاريد من الخليج ، ص١٩١.

(٣) المسرحية الشعرية، ص ٤٤٥.

محدد ،ولكنه زمن غير يسير من حياة البطلة سعاد.

وهذه المسرحية تعتبر تطوراً للبناء الدرامي عند الشاعر عبد الرحمن آل ملا ،وامتازت عن سابقتها (ولليل آخر) بطولها ،وتعدد مشاهدها ، وتنوع القوالب الموسيقية، وكثرة شخصياتها ،وعنايته بالشخصية المحورية ،وإبراز أبعادها النفسية ،وتشابهها في تماسك حوارها ،وطواعيته للتمثيل ،وقربة من لغة الحياة.



الفصل الثالث
الدراسة الفنية

ـ اللغة والأسلوب.

ـ الصورة والخيال والرمز.

آ) الصورة.

ب) الخيال .

ج) الرمز.

ـ التجربة الشعرية.

ـ المعاني والأفكار بين التقليد والتجديد.

ـ الوحدة الموضوعية والفنية.

ـ الموسيقى الشعرية.

اللغة والأسلوب:

تعد اللغة من أهم عناصر الأسلوب، بل هي لبنة من لبناته، يستمد منها قوته ووجوده، فاختلاف العبارات والتراكيب يدل على اختلاف الطرائق في التعبير عن الأفكار[1]. ولا شك أن في هذا تأكيداً للارتباط الوثيق بين الدلالة في لغة الشعر وبين شخصية الشاعر، والظروف النفسية والخارجية المحيطة به، هذا الارتباط الذي يعد من أهم ما يميز لغة الشعر عن اللغة العادية[2]، ويؤكد عز الدين إسماعيل: (أن هذا يقود الشاعر الحديث إلى أن يستخدم لغة جديدة تواكب حياة عصره، ومتطلباتها الجديدة حتى يتمكن من التعبير عن أحاسيسه وخوالجه)[3]، وقد حدث هذا في بداية العصر الحديث، إذ حاول شعراء النهضة، أمثال البارودي، والرصافي، وشوقي، وحافظ وغيرهم، أن يسلكوا طريقاً نحو التجديد في لغة الشعر، وفقاً لروح العصر، غير أن أغلب تلك المحاولات وقفت عند الموضوع والشكل، ولم تجدد في اللغة والأسلوب إلا ما نراه عند البعض من ميل إلى السهولة في التعبير واستخدام لغة العصر، ولا سيما الألفاظ العصرية، مثل المنطاد والكهرباء وغيرها، ولكن الغالب على شعراء النهضة هو استمرارهم في النزعة التقليدية والكلاسيكية التي تنقل لنا عبارات الفحول من شعراء العربية وأساليبهم[4].

---

(١)لغة الشعر بين جيلين: د. إبراهيم السامرائي، ص٤٥ دار الثقافة، بيروت ،(د.ط). ت،ب.

(٢) انظر:الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د. عبدالقادر القط. ص٣٩٦. بتصرف. دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

(٣)الشعر العربي المعاصر، د. عز الدين إسماعيل: ص١٧٤، ١٨٢.

(٤) انظر:الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر د. عبد القادر القط ص٣٠٠، ٣٠١، وانظر: محمد حسن عواد شاعراً، آمنة عبد الحميد عقاد ص٣٠٨. بتصرف.

وتم التغير الحقيقي في لغة الشعر على أيدي الشعراء المعاصرين، وأصحاب المذهب الوجداني بصورة خاصة، وبدؤوا ينظرون إلى أهمية التجديد الشامل لعناصر التجربة الشعرية بصفة عامة، فاكتسبت اللغة نوعاً من التجديد اختلف مداه ونوعه من مدرسة إلى أخرى ومن شاعر إلى آخر [(١)] ، وما يعنينا هنا أهم العناصر التي دارت حولها دعوة التجديد في لغة الشعر في شعرنا المعاصر، حتى نتمكن من خلالها النظر إلى لغة آل ملا، وأهم هذه العناصر هي ارتباط اللغة ارتباطاً وثيقاً بوجدان الشاعر وأحاسيسه وطبيعة التجربة، وبذلك يصبح للكلمة والعبارة وظيفة جديدة هي بعث صورٍ ايجابية من أهم خصوصيتها أن تخلق لا أن تعبر [(٢)] .

وتتميز لغة الشاعر آل ملا بالجزالة والقوة، جعلت منه شاعراً لا يقل شأنا عن سابقيه الذين كان لهم السبق في التفوق يقول في قصيدة(وجوه ومرايا) [(٣)] :

فلله ملكاً عبقسياً[(٤)] أشاده ... على العدل أبطال عظام فبددا
بأيدي أحفاد لهم لم يحافظوا ... عليه فأفنوا في فناه السواعدا
فلم يعرفوا للناس قدراً فينصفوا ... ويبنوا ويجتثوا السقام إذا بدا
ولم يعرفوا للشاعر الحر نصحه ... لهم فمضت آهاته فيهم سدى
وأرقه ظلم القريب وساءه ... على الهون أن يحيا فعاش مشردا

والأبيات جاءت معبرة عن حالة الرفض والاستهجان للحال الذي تبدل

(١)محمد حسن عواد شاعراً، آمنة عبد الحميد عقاد، ص٣٠٩.

(٢)انظر: النقد الأدبي الحديث: د. محمد غنيمي هلال ٣٧٨.

(٣) وجوه ومرايا: ص١٢، ١٣.

(٤)نسبة إلى عبدالقيس، انظر:الأنساب: للسمعاني: ح:١، ص٧، محمد عوانه، دار الكتب: بيروت، (د.ط)، (د.ت).

وانتهى، واستخدم الشاعر بعض القوالب التي تثير في نفس القارئ التأثير، مثل: (أبطال عظام، بددوا، فأفنوا - يجتثوا السقام) وغيرها من الأبيات التي أعطت القصيدة جزالة تدل على الأصالة التي يتمتع بها الشاعر.

وآل ملا يستخدم كثيراً في معجمه الشعري تلك المفردات التي تدل على الرومانسية، ففي قصيدة (الشاعر والقمر)[1]، مفردات تدل على الرومانسية، ومن تلك المفردات: السحر، الطفل، الأضواء، الزرقة، الحسناء. ومن القصائد المليئة بالمفردات الرومانسية قصيدة (أحلى النغم) [2]، والتي منها: المساء، العينان، الأحلام، القمر، الصوت، الروي، الغناء، الذكريات، الفجر، الهزار.

وكثيراً ما تغلب نغمة الحزن والألم على لغة الشاعر، وهذا الحزن والألم لم يأت بسبب الحال الذي عليه، أو تشاؤماً مثل كثير من الشعراء الذين يمرون بنفس المعاناة التي يمر بها الشاعر نتيجة فقد بصره، بل إن معاناة الشاعر في كثير من قصائده بسبب المشاعر التي يحملها تجاه الناس، والرفض والألم الذي صرح به بسبب ما يمر به المجتمع الإسلامي من محن وحروب. ومن القصائد التي تظهر فيها نغمة الحزن بوضوح قوله في قصيدة (شكوى) [3] :

ألا قومي فداكم كل غالي	فمالي من السلاح سوى القصيد
بححتُ فلم أجد أحداً يلبي	كأن القوم في سفرٍ بعيد
ومن ذا يستجيب فيا لقومي	وقد بلغ الردى حبل الوريد

وكلمة (بححتُ) تدل عل الشيء الكثير الذي يحمله الشاعر تجاه هذه

---

(١)أغاريد من الخليج ص٣٥.

(٢)أغاريد من الخليج: ص٣٧.

(٣)أغاريد من الخليج: ص١١٩.

الأمة المسلمة. ومع أحزان الشاعر وآلامه للحال الذي عليه قومه. إلا أنه يستخدم بعض العبارات التي من شأنها أن ترفع وتقوي من عزائمهم. يقول في قصيدة (دعوة حب) [1]:

حسبنا وهناً وبؤساً وعنا	وهواناً يا نسور الأمل
كيف نغدو فيه أحزابا بنا	تفعل الأضغان فعل المنجل
إن داء الخلف في أمتنا	لم يدع للحب فيها من ولي

فعبارة نسور الأمل تبعث روح التحدي، وتجعل من القارئ والمتلقي أكثر تفاؤلا لانفراج الأزمة وصلاح الحال.

وتبرز النغمة الغنائية بسبب سهولة اللغة التي يستخدمها آل ملا ، وهذه الغنائية كثيراً ما كانت ملائمة للأداء الإنشادي، يقول في قصيدة(وهبنا الحياة) [2]:

وهبنا الحياة فدى للوطن	فبعنا النفوس بأغلى الثمن
فحتام نرضى لمستعمر	يطأ أرضنا ويذل الوطن
فتى البغي في خيرنا طامع	لنمحه من صفحات الزمن
فمن رام شراً بهذا الحمى	فإنا له سنعد الكفن
سنرجع مجداً لنا قد مضى	إلى الشرق رغم عوادي الفتن

وقد استعمل الشاعر ألفاظا شعرية تدل على فقدان بصره، وعلى الرغم من قلتها إلا أنها تكشف عن شخصيته من خلال طرح الكثير من آرائه في الحياة والزمن.

---

(١)أغاريد من الخليج، ص١٢٣.

(٢)أغاريد من الخليج ،ص١١٧.

يقول [1]:

فإن فقدت عيناي نور لداتها ... فلم أفقد العين التي تسبق المدى

ولم تدر أن الشوك في الأرض جارح ... كما أن فيه الورد يبسم مسعدا

فلا تشتم الأيام مهما تجهمت ... بوجهك واسبر ما استطعت الموارِدا

فمازال بحر الفأل بالدر حافلاً ... ومازال للساعين بالكسب واعدا

وأخسر ما تمنى به من خسارة ... قضاؤك وقتاً لا يضيف فوائدا

فمن ضيع الأوقات ضيع عمره ... هباءً ولو في دفتر الشيب قيدا

فأطلق عنان الفكر في الفكر مبدعاً ... وشيد لنيل الفرقدين المصاعدا

وهذه الأبيات تكشف عن الشخصية المتفائلة التي يتمتع بها الشاعر وقوله: فإن فقدت عيناي نور لداتها ، هي إشارة إلى كف البصر الذي أصيب به الشاعر، وهو مع فقدان بصره لم يفقد ما هو أبعد من ذلك وهو البصيرة، ويقصد بقوله: (لم أفقد العين التي تسبق المدى) يشير إلى قلبه الذي يبصر من خلاله الذي حوله، وكأنه يشير إلى قول الله عز وجل: { فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ }[2]

ويستخدم الشاعر لغة تعتمد على المفردات السمعية، والسمع يأتي بعد البصر من حيث الأهمية، واعتماد الشاعر الكفيف على سمعه يأتي في الدرجة الأولى بالنسبة له، ومثال ذلك قوله: فأجفل منك الصوت [3]، وقوله وإن همسوا بالسخط[4]،وقوله: لا تسمع لوثبة

---

(١)وجوه ومرايا ، ص٣٩ -٤٠.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦ .

(٣) وجوه ومرايا ، ص٥.

(٤)وجوه ومرايا ، ص١١.

عـزمه [١]، وقـوله: في دفء صـوتك [٢]، وقـوله: صـوتك الفـتان [٣]،وهـذه المفـردات تعكس مدى اعتماد الشاعر على المفردات السمعية.

وتظهر كثيرٌ من الظواهر الأسلوبية في شعر آل ملا ،ومن تلك الظواهر أسلوب الاستفهام، والشاعر مكثر من استخدام هذه الصيغة، والتي تبرز في القضايا التي تتعلق بعاطفة الشاعر الوطنية ،ويناسب مستوى الانفعال الذي تصل إليه تلك العاطفة، ويفيد الاستفهام في تحريك مشاعر المخاطب، وفكره، وتحضيره للانفعال والمشاركة؛ ففي قصيدة (وهبنا الحياة) يقول [٤]:

ألم تـــك أجـــدادنا قبلـــنا أطـاع لهـا الكـون بلـه المـدن

فالغرض من الاستفهام هو الافتخار بماضي الأمة، وما كانت عليه من الأمجاد والحضارة والعزة ، ونلمس ذلك بوضوح في قصيدة (عروس من الطائف) يقول [٥]:

هـل تعلـم الحمـراء أن جمالهـا طيف لبعض جمال هذا المصيف

فهو يصف مدينة الطائف، وما وصلت إليه من تقدم وحضارة فاقت ما سبقها من أروع الحضارات.

واستعمل الشاعر معظم أدوات الاستفهام في أماكن مختلفة من قصائده،

---

(١)وجوه ومرايا ، ص٥٣.

(٢)وجوه ومرايا ، ص٥٣.

(٣) أغاريد من الخليج، ص١١٧.

(٤)أغاريد من الخليج ، ص٦٦.

(٥)أغاريد من الخليج ، ص٢٨.

ففي قصيدة (العلم أكسير الحياة) يقول [1]:

وما قيمة الإنسان لو لم يكن له   من العلم نبراس يزيح الغياهبا

جاء الاستفهام هنا في بداية البيت، وهو استفهام تقريري لبيان أهمية العلم وأنه يزيح الجهل والظلام من حياة البشرية.

ويكرر الاستفهام في أبيات متتالية من القصيدة كما فعل في قصيدة (مسافرة في أعماق شاعر) حيث تكررت (هل) ثماني مرات في القصيدة يقول [2]:

هـل تعلـم الـبلدان أنـك بيـنها   بمكانـة الوسطى مـن الأطـواق؟

هـل تعلمـين بـأن أحـرف اسمـك   مطـــبوعة بلـــواعج الخفـــاق؟

هـل أنـت إلا مـوجة مـن فتـنة   قـد سـافرت بمدلـه مـشتاق؟

وهذا يعطي القصيدة قيماً تعبيرية صوتية، إلى جانب القيم الشعورية مما يجعل المتلقي أكثر انجذاباً وانتباهاً لما يريد قوله.

وكرر الشاعر الاستفهام في مطلع قصيدته (عروس من الطائف) ثلاث مرات في بيت واحد يقول:

في الحلم أنت أم النعيم الوارف   أم في رياض الحسن أم في الطائف

وربما كرر الاستفهام في البيت الواحد منوعاً في أدواته يقول[3].

من قاهـر الـصحراء في غليانها   إلا هـم وهـل الـصحارى تقهـر

والشاعر في قصائده استعمل أكثر حروف الاستفهام، حيث جاءت هذه الحروف متنوعة، وشاملة، (هل، من، كم، الهمزة، أين، ما، لماذا، كيف).

---

(١) أغاريد من الخليج، ص٦٣.

(٢) أغاريد من الخليج، ص٦٠.

(٣) أغاريد من الخليج: ص٧٠.

واستخدم أسلوب النداء في معظم قصائده، بل لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده منه، وتختلف الأغراض من استخدام النداء عند الشاعر، ففي قصيدة (إلى لاجئة)؛ يستخدم حرف النداء (يا) مراراً، وخصوصاً عند توجيه الخطاب لإسرائيل[1] ، وذلك بقوله: يا ويل، والغرض هنا الوعيد الشديد الذي ينتظر العدو إسرائيل من العرب والمسلمين.

وقد يستخدم النداء لجذب انتباه شخصية ما أثناء حديثها يقول في قصيدة (أصدق الإخوان) [2].

فأنت يا أحمد الدنيا إذا ابتسمت وأنت بدر الدجى والشمس في بلدي

ويتكرر هذا الاستفهام في قصيدة (إخوانيات) [3]،

فـيا عبدالعزيـز أجـب بـصدقٍ فهـل لـك في فـؤاد الغـيد ثـار؟

فالغرض من النداء في الأبيات السابقة شد انتباه المخاطب وتخصيصه بما ورد في القصيدة من أبيات، وبيان المكانة التي يحتلها المخاطب.

ويخاطب ابن المقرب بنفس الأسلوب في (وجوه ومرايا) [4]:

يـــا ابـــن المقـــرب لم نـــزل أبـــداً علـــى العهـــد الجمـــيل

كما استخدم النهي الذي يزيد من الحيوية في النص،ويزيد من تأثر القارئ به. ومن ذلك قوله:

---

(١) أغاريد من الخليج: ص١١٧.

(٢) أغاريد من الخليج: ٨٢.

(٣) أغاريد من الخليج: ٩٠.

(٤) وجوه ومرايا :ص٣.

ولا تستعجل في ملامة صاحب إذا لم تكن من ذنبه متأكدا

فقد استعمل أسلوب النهي هنا للنصح والتوجيه.

ويستخدم الشاعر أسلوب الأمر، وهو طلب الفعل على جهة الاستعلاء [1]، ويكثر الأمر في القصائد التي تتأجج فيها عاطفة الشاعر الدينية والوطنية، يقول في قصيدة (دموع بين أطلال أمة) [2]:

اعدل إذا شئت حكماً لا يزعزعه أقوى المدافع واغنم راحة البال

وغرض الأمر هنا هو الإرشاد.

ويقول في نفس القصيدة مكرراً الأمر في كل بيت:

وأرشد الناس بالحسنى وكن مثلاً أعلى إذا شئت أن تحظى بإقبال

ووقر الخصم مهما كان بينكما من الخلاف تفز منه بإجلال

واجعل فؤادك دوحاً تستظل به كل النفوس وسر فيهم كأنجال

فالأفعال: أرشد، وقر، أجعل، جاءت على صيغة فعل الأمر للإرشاد والتوجيه، وأعطت القصيدة قوة وصدقاً، وقبولاً لما يدعو إليه الشاعر، وينوع الشاعر في استخدام صيغ الأمر، فيستخدم المضارع المقترن بلام الأمر يقول [3]:

فلنتفق في الذي نادى الجميع به وليعذرن بعضنا بعضا عن التالي

ويقول كذلك في قصيدة (من وحي معركة رمضان) [4]:

فلتعيشي أرض الكنانة للمجـ ـد فأنتِ له أبر البنات

---

(١)البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص١٥٣، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط: ٦، ١٤٢٠هـ.

(٢)أغاريد من الخليج، ص١٢٥

(٣)أغاريد من الخليج، ص١٣٠.

(٤) أغاريد من الخليج: ص١٠٨.

فالشاعر استخدم أسلوب الأمر من خلال صيغة الفعل المضارع المقترن باللام.

وقد اهتم النقاد بأهمية التقديم والتأخير، وبينوا أثره الكبير في تحقيق البيان . يقول عبدالقاهر الجرجاني:(هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية. لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة. ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان.) [1]

ونجد في شعر آل ملا هذه السمة، فقد استعمل أسلوب التقديم والتأخير في شعره ومن ذلك:

- تقديم متعلقات الفعل، كما في قوله في قصيدة (عناقيد الغضب) [2]:

لأرزائــك قانــا يطــول الــتفجع وتهطــل طــوفانا علــيك المدامــع

فقدم الجار والمجرور(لأرزائك) على الفعل (يطول) لإظهار الألم والحسرة.

ويقول في قصيدة (بين الأطلال في وبار) [3]:

لــسعادة الأجــيال يــستبق الدنــى علمــا فيــصنع مــا يــشاء ويــزرع

فقدم الجار والمجرور (لسعادة) على الفعل (يستبق) لإظهار التفاؤل والسعادة.

---

(١) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني، ص ٨٢، تحقيق: محمود محمد شاكر، .مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢ ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٢) أغاريد من الخليج، ص١٤٦.

(٣)أغاريد من الخليج، ص١٠٤.

وأيضا قوله في قصيدة (مع الخالدين) [1]:

وبـــين الجـــوانح نـــار الفـــداء   يــــؤججها دمــــه المــــستعر

قدم الظرف (بين الجوانح) على الفعل (يؤججها) للتشويق.

●تقـديم المـسند علـى المـسند إلـيه، يقـول في قـصيدة (الوصـولي كمـا عرفته) [2]:

شـفاكم بـارئ الأسـقام ممـا   دهـاكم في الطـباع مـن الـبلاء

قدم المسند (شفاكم) على المسند إليه (بارئ الأسقام) لاظهار التفاؤل.

كما يقول في قصيدة (إخوانيات) [3]:

وأيـــة حـــيلة تبقـــى لـــصب   إذا عـز اللقـا ومـضى اصـطبار

قدم المسند (مضى) على المسند إليه (اصطبار) لأن الفعل هو محل الاهتمام.

● تقديم المسند إليه على المسند، يقول في (دموع بين أطلال أمة) [4]:

فخالق الخلق أحرى أن يحاسبهم   اغمد نصالك فالمولى له والِ

قدم المسند إليه (خالق الخلق) على المسند (أحرى) لغرض التأكيد.

كما يقول في قصيدة (فواز) [5]

فـواز جـا! وانهـل مـزن سـعادتي   سـحاً يـسيل علـى الخـدود غزيـرا

---

(١)أغاريد من الخليج، ص١١٠.

(٢)أغاريد من الخليج، ص٩٧.

(٣)أغاريد من الخليج، ص٩١.

(٤)أغاريد من الخليج، ص١٣٠.

(٥) أغاريد من الخليج، ص٢٥.

قدم المسند إليه (فواز) على المسند(جا) لإظهار الفرح والسعادة.

واستعمل الشاعر أدوات الربط والتي منها:

● الشرط: ويأتي للربط بين الجمل في البيت الواحد أو الأبيات المتعددة ، وقد جاء في تعريفه : (الشَّرط تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وقيل: الشرط: ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجاً عن ماهيته، ولا يكون مؤثراً في وجوده، وقيل: الشرط: ما يتوقف ثبوت الحكم عليه) [1].

يقول آل ملا [2]:

وليس حكيما من متى تستفزه بأمر تراه البحر بالموج مزبدا

فاستخدم أداة الشرط (متى) للربط بين جملتي الشرط (تستفزه) وتراه

ويقول [3]:

فمن مخرت قلب المحيط سفينه لغنم فلن يغشى الركى والروافدا

واستخدم هنا أداة الشرط (مَنْ) ليربط بين جملة الشرط (مخرت) وهو فعل ماض - وهذا قليل - وجملة جواب الشرط المقترنة بالفاء لأنها منفية(فلا يرتضي بيتا).

ويقول [4]:

فمن قال شعراً في الحماسة بعدها فقد شال في آثارها طرف الردى

---

(١) كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني،ص١٣١، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ط)، ١٩٧٨م.

(٢) وجوه ومرايا ،ص٢٥.

(٣)وجوه ومرايا ،ص١٠٢.

(٤)وجوه ومرايا ،ص١٠٣.

فربط بـ ((من) الشرطية جملة (قال) وجملة (فقد شال) التي اقترنت بالفاء لأنها مقرونة بقد.

ويقول [1]:

وهــذا يغنــيك الــوداد فــإن رأى من الصيد من يعليك غم وأكمدا

ربط بـ (إن) الشرطية بين جملتي (رأى) و (غم) ، وقد أتى بالجملتين ماضيتين ـ وهذا قليل ـ .

ويقول [2]:

وهذا له حظ من الفضل لو علا قريب له أشفى على الموت حاسدا

وربط بالأداة (لو) بين جملتي الشرط (علا) و (أشفى).

ويقول [3]:

فما ضاع عند الله قط وديعة إذا كان حسن الظن بالله قائدا

وربط بين جملتي الشرط (كان حسن الظن بالله قائدا) وجواب الشرط (فما ضاع عند الله قط وديعة)، وهنا قدم جملة جواب الشرط على الشرط وأداته.

ويقول [4]:

إذا أفلس المغرور من كل قيمة رأى الفخر في الأعراق أجدى وأخلدا

---

(١)وجوه ومرايا ، ص٧٢.

(٢)وجوه ومرايا ، ص ٧٢.

(٣)وجوه ومرايا ، ص ٥٩.

(٤)وجوه ومرايا ، ص٢١.

فربط بأداة الشرط (إذا) بين جملة الشرط (أفلس المغرور) وجواب الشرط (رأى الفخر) ، وجاء بفعل الشرط وجوابه ماضيين.

- العطف وأدواته: ولها قيمة فنية، تكمن في الوصل بين المفردات والجمل، وأمثلة ذلك عند الشاعر آل ملا:

قوله في (وجوه ومرايا) [1]:

فلم يعرفوا للناس قدراً فينصفوا ويبنوا ويجتثوا السقام إذا بدا

وفاء العطف هنا تفيد السببية، أي أنهم بسبب عدم معرفتهم قدر الناس، لم يستطيعوا الإنصاف.

وقوله أيضا [2]:

يديرون شأن الناس بالجاه والرشا ويُعلون منهم من تزلف ساجدا

عطف الرشا على الجاه لاشتراكهما في الحكم، أي أنهم يديرون شأن الناس بهما.

ويقول [3]:

وأوقد على درب المحبة والهدى شموعا ودع عنك القلى والتشددا

وصل بين الجملتين (أوقد ، ودع) لأن بينهما اتفاق، لأن الفعل أمر.

و في قوله [4]:

بساعده كثر سيوفك في اللقا ولا تستعر من غيره قط ساعدا

---

(١) وجوه ومرايا، ص١٢.

(٢)وجوه ومرايا، ص١٠.

(٣)وجوه ومرايا، ص٥٨.

(٤)وجوه ومرايا ص٦١.

وصل بين الجملتين بالواو لاتفاقهما إنشاءً، فالأولى فعل أمر هو (كثر)، والثانية (ولا تستعر) نهي.

ويقول [1]:

فهذا يبذل الجود كالغيث هاطلا   وفي دينه للناس لا يعرف الأدا

وصل بين جملتي الشطر الأول والشطر الثاني بالواو، لاتفاقهما خبراً.

ومن السمات الأسلوبية في شعر عبد الرحمن آل ملا ،تأثره بالأسلوب القرآني في أكثر من موضع، وقد يكون اقتباسه لفظاً ومعنى، مثل قوله في قصيدة (بين الأطلال في وبار) [2]:

في ذلـــة وبــــدون زادٍ خـــشعاً   أبـصارهم يـنعون مـا قـد ضـيعوا

لم يهلكوا يوماً بريح صرصـرٍ   ولا بـــزلازل قـــــد روعــــوا

ففي قوله: خشعاً أبصارهم اقتباس من قوله تعالى: { خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ } [3] وقوله : ريح صرصر، اقتباس من قوله تعالى: { وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ } [4]. والشاعر يتأثر بالقرآن من خلال المعنى الذي يستدل به، يقول في (وجوه ومرايا) [5]:

فصار كمن في الغزل تنفق وقتها   وترجعه بعد التمام كما بدا

والمعنى مأخوذ من قوله تعالى: { وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ

---

(١)وجوه ومرايا، ص٧١.

(٢) أغاريد من الخليج، ص٩٩.

(٣) سورة القمر: الآية٧ .

(٤) سورة الحاقة، الآية ٦.

(٥) وجوه ومرايا: ص٣٤.

قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } [1] .

والشاعر متأثر بأسلوب من سبقه من الشعراء القدماء والمحدثين، وكثيراً ما أفاد من معانيهم يقول في قصيدة (البوسنة في محنة الصراع)[2]:

فسلوا الصرب تجبكم أنها في رزايا تلك أشقى منشم (٣)

وتأثر في هذا البيت بأسلوب الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى في كلمة (منشم) يقول زهير [4]:

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

ويقول آل ملا في(وجوه ومرايا) [5]:

ومهما تكن عند امرئ من نقيصة وإن جدّ في إخفائها سوف تشهدا

وهنا تأثر ببيت زهير وهو من نفس القصيدة التي منها البيت السابق :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فالشاعر اخذ الشطر الأول لفظاً ومعنى ووضع نقيصة مكان خليقة .

ويقول الشاعر آل ملا في قصيدة (الشاي عند الأصيل) [6]:

---

(١) سورة النحل، الآية ٩٢.

(٢) أغاريد من الخليج: ص١٤١.

(٣) منشم، اسمُ امرأةٍ عطَّارة كانت بمكة، وكانت خُزَاعة وجُرْهم إذا أرادوا القتالَ تطيَّبُوا من طيبها وإذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم فكان يقال : أشْأَمُ مِنْ عِطْرِ مَنْشِمَ . يضرب في الشر العظيم ، مجمع الأمثال، الميداني،ج١ ، ١٣٥.

(٤) شرح ديوان زهير،أبو العباس ثعلب، فخر الدين قباوة،ص١٦،دار الفكر ،دمشق،ط٢ ، ١٩٩٦م.

(٥) وجوه ومرايا : ص٣٤.

(٦)أغاريد من الخليج: ص٧٨.

بكأس الشاي فاطم عللينا فإنا لم نزل به هائمينا

تأثر بمطلع قصيدة عمرو بن كلثوم بقوله [1]:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

والشاعر آل ملا استبدل كأس الخمر بكأس الشاي، والقارئ ومن أول وهلة يلحظ التأثير الواضح لأبيات عمرو بن كلثوم، مع إدخال آل ملا لجانب الطرافة في المطلع.

ويقول في قصيدة (ذكرى) [2]:

وإن تفتقده أسرة العلم في غد ففي الليلة الظلماء يفتقد البدر

مأخوذ من قول الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد [3]:

سيذكرني قومي إذا الخيل أقبلت وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

فالشطر الثاني من البيت من شعر عنترة لفظاً ومعنى.

ويقول في قصيدة (الإنسانية كما عشقتها) [4]:

كلفت وما يوماً بغيرك أكلف وقد أشرقت في النفس منك لطائف

وهنا تأثر بأسلوب الكميت [5] في قوله [1]:

---

(١)ديوان عمرو بن كلثوم. أيمن ميدان، ص٣٠٧، النادي الأدبي الثقافي جدة، ط ١ ، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م. والأندرين: قرية بالشام كثيرة الخمر؛ وقيل: هو أندر، ثم جمعه بما حواليه؛ وقيل: هو أندرون. (الديوان)

(٢)أغاريد من الخليج: ص٨١.

(٣) ديوان عنترة، ص١٥٥، دار صادر ، بيروت، ط ٤ ، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣م.

(٤) أغاريد من الخليج: ص٢٠.

(٥)الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي أبو المستهل. شاعر الهاشميين، من أهل الكوفة ، اشتهر في العصر الأموي، وكان عالماً بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها. ثقة في علمه، منحازاً إلى بني هاشم، كثير المدح لهم، متعصباً للمضرية على القحطانية، وهو من أصحاب الملحمات.أشهر قصائده

=

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً منى وذو الشيب يلعب

ويقول آل ملا في الحكمة في(وجوه ومرايا) [٢]:

فكم يتغابى سيد القوم عامـدا إذا شاء أن يبقى على القوم سيدا

وقد تأثر بقول الشاعر أبي تمام [٣]:

لـيس الغـبي بـسيد في قـومـه لكـن سـيد قـومـه المتغابـي

وممن تأثر بهم كذلك الشاعر أبي فراس الحمداني يقول آل ملا [٤]:

فيـنعم ملهـوف ويـسعد بـائس ويطـرب محـزون ويـأمن خائـف

وهذا البيت تأثر فيه بأسلوب أبي فراس في قوله [٥]:

أيضحك مأسور وتبكي طليقة ويسكت محزون ويندب سال

والشاعر معجب بابن المقرب العيوني، ويظهر ذلك بوضوح في كثير من شعره وأساليبه وحكمه، وفي ديوان(وجوه ومرايا) نلمس مدى إيمان الشاعر بتجربة ابن المقرب، يقول آل ملا في (وجوه ومرايا) [٦]:

إذا ذكر الوادي الشمالي هاجه لجرعائه شوق يذيب الجلامدا

=

(الهاشميات) ترجمت إلى الألمانية.قال أبو عبيدة: لو لم يكن لبني أسد منقبة غير الكميت، لكفاهم؛ وقال أبو عكرمة الضبي: لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان. وكان . فارساً شجاعاً ، سخياً، رامياً لم يكن في قومه أرمى منه. المتوفى سنة ١٢٦هـ. طبقات فحول الشعراء، ج١ ،ص١٥٩.

(١)ديوان الكميت بن زيد الاسدي.،د/محمد نبيل طريقي،ص٥١٢، دار صادر، بيروت،ط١، ٢٠٠٠م،

(٢) وجوه ومرايا: ص٤٢.

(٣) ديوان أبي تمام. شرح الخطيب التبريزي، محمد عبده عزام.ج١، ص٨٧، دار المعارف، مصر. ط٤، (د.ت).

(٤) أغاريد من الخليج: ص٢٢.

(٥)ديوان أبي فراس الحمداني: ص٢٣٨، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٩م.

(٦)وجوه ومرايا: ص٧٤.

تأثر بقول ابن المقرب [1]:

عـن الحـي بالجـرعاء هـل راق ... لهم ذلك المرعى وموردة العذب

ويقول آل ملا [2]:

ففي آل إبراهيم منهم تآلفت ... قريحته تبني العلا والقصائدا

تأثر بقول ابن المقرب [3]:

لعـاين مـنا عـصبة عبدلـية ... تـسامى فـرادى للعـلا ومقانـبا

ومـن آل إبـراهيم كـل مـذنب ... عن المجد يحتل الذرى والغواربا

ومن الأبيات التي تأثر بها بابن المقرب أيضا قوله [4]:

ألا فاذكروا من أنهب الناس خيلة ... وخصص للاحسان تبرا وعسجدا

وقد أخذه من قول ابن المقرب [5]:

منا الذي أنهب اصطبلاته كرما ... وهى الجياد اللواتي فاتت القيما

وكـان إن سـار فالعقـيان تتـبعه ... لـسائل رد أو مـسترفد حـرما

وتأثر الشاعر بأسلوب على محمود طه في تتبع القوافي يقول الشاعر [6]:

لا تـسلني أي سـكرة ... لم تكـن نـشوة خمـرة

إنهـا قـصة خـود ... أضـرمت في القلـب جمـرة

---

(١) ديوان ابن المقرب، عبد الفتاح الحلو، ص٢٦، مكتبة التعاون الثقافي، الأحساء، (ط١)، ١٣٨٢هـ.

(٢) وجوه ومرايا، ص٨٧.

(٣) ديوان ابن المقرب، ص٣٧

(٤) وجوه ومرايا: ص٩٤.

(٥) ديوان ابن المقرب،ص٥٤٢، ٥٤٣.

(٦) أغاريد من الخليج: ص٤٠.

تأثر بأبيات على محمود طه التي يقول فيها [1]:

أنا من ضيع في الأحلام عمره

نسي التاريخ أو أنسي ذكره

وتظهر النغمة الخطابية التي تحد أحياناً من تدفق الشاعرية لدى الشاعر ويبرز الجهر في أكثر من موضوع. يقول آل ملا [2]:

هناك قضى فيك الجميع وأصبحوا   قرابين للسلم الذي فيه يشرع

فصرت لهم قبراً وأصدق شاهد   على شرف الإنسان كيف يضيع

وتظهر هذه النغمة في موضوع آخر. يقول [3]:

يـــا لـــشعب ولغـــت في دمـــه   طغمـــة الـــصرب بـــدعم عالمـــي

شـــاء أن يحـــيا حـــياة الـــشرفا   مـــسلما في فكـــره والـــشيم

ومـــضى يـــبحث عـــن غايـــته   في فـــم الـــذئب ونـــاب الأرقـــم

ومن المآخذ التي ظهرت في لغة الشاعر أن لغته تقترب من لغة النثر، وخصوصاً القصائد التي كانت المحاولات الأولى للشاعر في كتابة القصيدة يقول [4]:

فاستيقظوا يا شعوب الأرض واتحدوا   فصانع البغي لا يحمى المساكينا

---

(١)ديوان علي محمود طه، ص١٢٠، دار العودة. بيروت، .(د.ط)، ١٩٨٨م.

(٢) أغاريد من الخليج: ص١٤٦، ١٤٧.

(٣)أغاريد من الخليج: ص١٣٨.

(٤)أغاريد من الخليج: ص١٣٧.

ويقول في (وجوه ومرايا) [1]:

لقد ولد الإنسان بالطبع خيراً وبيئته تكسوه ما قد تعودا

فقوله: لقد ولد الإنسان بالطبع خيرا عبارة سهلة تقترب من لغة النثر وتبتعد عن لغة الشعر.

وكذلك قوله [2]:

ولا خير فيمن لا ثبات لرأيه يسير مع التيار أنى تواجدا

فقولة: يسير مع التيار عبارة تقترب من السطحية وكلام العامة.

ومن المآخذ التي تظهر في شعر آل ملا الثقل الذي يظهر في بعض الأبيات من خلال تكرار بعض الألفاظ، يقول في وجوه ومرايا [3]:

فتهوى الذي يهوى وتقلو الذي قلا وتهذي بما يهذي وتلبس ما ارتدا

فقوله: تهوى – يهوى – تقلو – قلا – تهذي – ألفاظ متكررة لم تعط البيت جمالاً بل أعطته ثقلاً يشعر القارئ به ولا يجد لتكراره فائدة.

ومن الأساليب التي استخدمها الشاعر أسلوب السرد القصصي وهو: (الشعر الذي يسرد واقعة أو مجموعة من الوقائع سرداً موضوعياً)[4].

ومن أمثلة ذلك عند آل ملا قصيدة (مأساة عذراء) [5] التي مطلعها:

هيفاء مثل البان في الميسان تحتار في خطراتها العينان

---

(١)أغاريد من الخليج: ص٢٧.

(٢)أغاريد من الخليج: ص٣٢.

(٣)أغاريد من الخليج: ص٣١.

(٤)في الشعر العربي ،د. حسين نصار، ص ٢٧ ، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

(٥) أغاريد من الخليج، ص٥٥.

ففي هذه القصيدة يسرد الشاعر قصة تلك الفتاة التي رمز إلى اسمها بـ (سعاد) وكيف أنها بعد وفاة والدها عاشت في رعاية والدتها، ثم أن والدتها تزوجت من إنسان عاشت هي وأمها في كنفه. ولكن الله شاء ان تتوفى والدتها إثر حادث مروع؛ لتعيش وحدها في بيت زوج أمها الذي أحاطها بكل رعاية وحنان وعطف:

فتحسست دفء الحياة بقصره ورأت بـه للعطـف خـير معانـي

ولكنه في النهاية يغدر بها ، ويفقدها أعز ما لديها وهو عفافها ،ومن قبل من؟ من قبل الشخص الذي أمنت له واستأنست به. لتعيش بعد ذلك مرحلة جنون وضياع ويأس وخذلان.

الصورة

من المناسب ـ وقبل الحديث عن الصورة الفنية عند آل ملا ـ أن نتناول لمحات يسيرة عن مفهوم الصورة في النقد العربي، ثم مفهومها عند النقاد المحدثين لنصل إلى الصورة الفنية عند آل ملا.

في تراثنا النقدي سيوقفنا ما أورده الجاحظ (ت ٢٥٥) عن التصوير في إطار حديثه عن اللفظ والمعنى حيث يقول : (والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي، والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج، وجنس من التصوير) [(١)]، ويبدو واضحاً من النص أن الجاحظ يرى أن الشعر صناعة كغيره من الصناعات، مادتها

---

(١) الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٣، ص ١٣١ -١٣٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ، ط١ ، (د.ت).

الأساسية هي المعاني، وشكلها الذي يتخذه بعد الصنع يتمثل في الألفاظ، والمعاني عنده يعرفها الجميع العربي والعجمي وغيرهم، فلا شأن لها بمفردها، وإنما الشأن للشكل الذي تتخذه بعد النسج ،أو التصوير الذي يمثل تجسيد تلك المعاني عن طريق الألفاظ، على أن تخضع هذه الألفاظ لوزن معين، وأن يتم تخيرها بحيث تستوفي المعنى الذي يريده الشاعر، مع سهولة في مخارج الألفاظ، ووفرة في خصائصها الفنية التي تؤدي إلى استحسانها وقبولها، وصحة طبع صاحبها وجودة سبكها[1].

وسار قدامة بن جعفر (ت٣٣٧) على نهج الجاحظ في النظر إلى الألفاظ والمعاني؛ فقد قرر أن المعاني كلها معروضة للشاعر وله أن يتكلم فيها، فيما أحب وآثر ... إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة[2].

والشعر عند قدامة كما هو عند الجاحظ صناعة مثل أية صناعة ؛ فيها المادة الخام التي تكتسب أهميتها عندما تتشكل في صورة معينة؛ ومن ثم فإن المعنى وإن كان فاحشاً في رأيه فإنه لا يزيل جودة الشعر، فالمعول عليه هو جودة التصوير، وهو بذلك مثل الجاحظ لم ينقل التصوير من إطار استخدامه في المدلولات الحسية ليصبح مصطلحاً نقدياً، بل وقف في ذلك عند حد قياس الأشياء ذات المدلولات الذهنية على الأشياء ذات المدلولات الحسية[3].

---

(١) انظر:الصورة الفنية في شعر ابن المعتز: زكية خليفة مسعود، ص ١٥ -١٦، منشورات جامعة قان يونس ، بنغازي، ط١٩٩٩، ١م. بتصرف.

(٢) نقد الشعر. قدامة بن جعفر، ص ٦٥،

(٣) انظر: الصورة الفنية في شعر ابن المعتز: زكية خليفة مسعود ، ص ١٦ -١٧.

وينهج أبو هلال العسكري ما نهجه الجاحظ وقدامه ،حيث يقرر: (أن المعاني مشتركة بين العقلاء، فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي، وإنما تتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها، وقد يقع للمتأخر معنى سبقه إليه المتقدم من غير أن يلم به، ولكن كما وقع للأول وقع للآخر، وهذا أمر عرفته من نفسي، فلست أمتري فيه)[1].

والملاحظ أن أبا هلال العسكري قد أورد ما قاله الجاحظ مع شيء من التصرف، وإذا كان لم يصرح بلفظ التصوير في هذا الموضع، ولكنه صرح به في مواضع أخرى منها قوله : (البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك في صورة مقبولة أو معرض حسن) [2]. والعسكري يذهب مذهب سابقيه .

أما الذي نقل الصورة من عالم المحسوسات لتصبح مصطلحاً فنياً للأشكال التي تشكل بها المعاني عن طريق الألفاظ فهو عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) يقول : (فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان تبين إنسانٍ من إنسان ،وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك، وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تبين خاتم من خاتم وسوار من سوار بذلك، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقاً عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة

---

(١) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي،محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٢٠٢ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة (د.ط)،(د.ت).

(٢) المرجع السابق : ص ١٦.

بأن قلنا : للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك)[1] ومن خلال هذه المقولة يتضح أن الصورة عند عبد القاهر لم تكن منحصرة في أنواع بعينها كالتشبيه والاستعارة والتمثيل والكناية ، بل يمكننا القول إن الصورة عند عبد القاهر نوعان:

١ – نوع يتمثل من الألفاظ من حيث هي أدلة على معان مباشرة، أو لنقل ألفاظ على ذات دلالات معجمية محددة.

٢ – نوع يتمثل في الألفاظ من حيث هي أدلة على معان، وهذه المعاني تدل على معان أخرى.[2]

وقد أولى عبد القاهر عنايته للمعاني ،التي رأى أن محاسن الكلام يكون بها ، فدرس التشبيه والتمثيل والاستعارة ،لأنه على حد قوله أصول كبيرة كأن جل محاسن الكلام متفرعة عنها وراجعة إليها، وكأنها أقطاب تدور حولها المعاني في متصرفاتها وأقطاب تحيط بها من جهاتها [3]، ولم تكن دراسته مقصورة على هذه المصطلحات، كذلك درس الكناية والمجاز، ودرس الإسناد والتقديم، والتأخير، والإيجاز والإطناب وغير ذلك.

وتجدر الإشارة إلى أن من جاء بعد عبد القاهر من البلاغيين، لم يُلق بالاً لمصطلح الصورة الذي أطلقه عبد القاهر، فانصب اهتمامهم على أنواع معينة يحسن بها الكلام، وتناولوا لفظة الصورة بمعان مختلفة هي جزء مما اعتنى به

---

(١) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني ، ص ٥٠٨.

(٢) الصورة الفنية في شعر ابن المعتز : ص ١٩.

(٣)أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، محمود محمد شاكر، ص ٢٧، دار المدني بجدة، مطبعة المدني، القاهرة ، ط: ١ ، ١٤١٢هـ ،١٩٩١م ،.

عبد القاهر حين أطلق مصطلحه : كالتشبيهات والاستعارات التي تقدم المعاني في صورة محسوسة. [1]

وفي النقد الأدبي الحديث سادت ثنائية الشكل والمضمون ،نتيجة سيطرة النظرة العقلية على النقد الكلاسيكي، وأصبحت الاعتبارات الشكلية هي التي تحظى باهتمام الشعراء والنقاد [2]. ثم جاء الاهتمام بالصورة الجزئية الجامدة التي لا حياة فيها، والتي اجتمعت فيها المتشابهات نتيجة قانون التداعي ليس غير، إلى أن جاء الرومانسيون وفي مقدمتهم كولردج بنظرية الخيال؛ فأخذ مفهوم الصورة ينحو منحى جديداً، وأصبحت الصورة تعني كل هذه الأشياء وغيرها بعد أن يمزجها الشاعر بعواطفه وانفعالاته ويضفي عليها من خياله، فالخيال هو الذي يولد الصور، والصور وسائل تجسيم المشاعر والأفكار. [3]

وقد تأثر النقاد العرب المحدثون بهذين الاتجاهين في النقد الحديث، فضلاً عن تأثرهم بالنقد العربي القديم، فجاءت تعريفاتهم للصورة مختلفة ، فالدكتور مصطفى ناصف يذهب إلى أن كلمة الصورة تستعمل عادة للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي، وتطلق أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات. [4]

أما الدكتور إحسان عباس فهو لا يحصرها في التعبير الحسي أو

---

(١)الصورة بين القدماء والمعاصرين (دراسة بلاغية نقدية) د. محمد عبد العزيز شادي، ص ٤٢ -٤٥، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ،.

(٢)كولردج: محمد مصطفى بدوي، ص ٤٩، دار المعارف، ط ٢، (د.ت).

(٣)الأدب المقارن : محمد غنيمي هلال ،ص٣٨١ دار الثقافة ، بيروت ، ط٥، (د.ت) .

(٤)الصورة الأدبية : مصطفى ناصف ، ص ٣ ، دار الأندلس ، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م .

الاستعارة، ولكنه يراها تمثل جميع الأشكال المجازية ويرى أن الاتجاه إلى دراستها يعني الاتجاه إلى روح الشعر[١].

ويذهب الدكتور محمد غنيمي هلال مذهباً لا يشترط مجازية الكلمة، أو العبارة لتشكيل الصورة، بل يرى أن العبارات الحقيقية قد تكون دقيقة التصوير خصبة الخيال وإن لم تتوسل بوسائل المجاز [٢]، يقول بعد أن يخلص من حديثه عن الصورة في المذاهب الأدبية : (إن الصورة لا تلتزم ضرورة أن تكون الألفاظ أو العبارات مجازية، فقد تكون العبارات حقيقية الاستعمال، وتكون مع ذلك ، دقيقة التصوير، دالة على خيال خصب) [٣].

كما يذهب عبد القادر القط، إلى أن الصورة في الشعر (هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص، ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة ؛ مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع، والحقيقة والمجاز، والترادف والتضاد، والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني. والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صورة الشعرية)[٤].

وتزداد الصورة توفيقاً ونجاحاً من الناحية الفنية، كلما كانت أكثر ارتباطاً بالشعور، ويذهب كولردج أن ليس جمال الصور في دقتها أو مطابقتها

---

(١) فن الشعر : إحسان عباس ، ص ٢٣٨، دار الثقافة ، بيروت ، (د.ط)، (د.ت).

(٢)انظر: الصورة الفنية عند ابن المعتز : ص ٢٠.

(٣)المرجع السابق،ص٤٥٧.

(٤)الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبدالقادر القط ص ٣٩١ ،

للواقع، وأنها لا تصبح معياراً للعبقرية إلا بمقدار ما تكون محكومة بانفعال طاغٍ ، أو أفكار مفصلة أو صور آثارها ذلك الانفعال [1].

ويعرف الدكتور محمد الدوغان الصورة الشعرية بأنها : (ما يتحد فيه العنصر الخارجي - ألفاظ والأوزان - بالعنصر الداخلي - الأفكار والمعاني والخيالات - وهي الوسيلة التي يستعين بها الشاعر على إبراز تجربته وفكرته للقارئ، وهنا يهمنا أن نصل إلى معرفة خطوطها وألوانها عند الشاعر، لأن هذه المعرفة تعين على الوصول إلى خصائص شعره وتؤدي إليه)[2].

# # #

---

(١) انظر :النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري : د. حماد حسن أبو شاويش ، ص ٣١٦ -٣١٧، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط١، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م.

(٢) الخيال والتصوير في شعر المكفوفين من الجاهلية حتى نهاية العصر العباسي ، د. محمد بن أحمد الدوغان، ص ١٤٣. حقوق النشر محفوظة للمؤلف، ط١، ١٤٢٤هـ.

مصادر الصورة في شعر عبد الرحمن آل ملا:

١ – الحياة الإنسانية :

إن اهتمام الشاعر بالإنسان واضح في شعره ، وجعله ماثلاً أمامه، والمتتبع لشعر آل ملا وصوره تدهشه الحياة التي يبثها في كل مادة من موادها، فالطبيعة الميتة،والمعاني المجردة أصبحت كالإنسان تحيا وتختزن في دواخلها الخير والشر،ومن الأمثلة على ذلك، قول آل ملا في قصيدة (خلجات في هيكل الحب) [1]:

للصباح الطروب للجدول المنـ   سابِ للفجر للندى للغصون

ويقول في نفس القصيدة :

فهواك الجبار بين حنايا   خافقي فيه غربتي وحضوري

والملاحظ في هذه الأبيات أن الجمادات تحاكي أفعال البشر ،لأن لها كما يراها الشاعر دماء تدب في شرايينها كما تدب في شرايينهم، وبذلك اكتسبت هذه الجمادات صفات آدمية: الطرب للصباح،والهوى أو الحب الجبار . ومن أمثلة ذلك أيضا قوله في قصيدة(تأمل ومناجاة) [2] :

وانظر الروض ينبت الأمل البسـ   ـام فيه والشوق في جنباته
وانظر الطائر الجريح تراه   يُطربُ الناس ناسياً حسراته

وفي هذه الأبيات أيضا الجمادات تحاكي أفعال البشر بوضوح، فالروض والأمل، والشوق ، والطائر الجريح الذي يطرب الناس؛ ومع هذا الطرب ينسى

---

(١) أغاريد من الخليج ، ص ٤٨

(٢)أغاريد من الخليج ، ص ١٢.

حسرته، وكأن الشاعر يتحدث عن نفسه ومعاناته ، فهو دائماً متأمل، ويحاول أن يسعد من حوله، ومع هذه السعادة ينسى حسرته وما ألم به من هم وفقدان للبصر، ويؤكد ذلك ما ذكرناه سابقاً من أن الشاعر متفائل ، لم يجعل للتشاؤم أي مدخل في حياته [(١)].

٢ – الحياة اليومية التي يعيشها الناس في عصره :

والشاعر نقل إلى صوره أكثر مواد هذه الحياة ، وأصناف الناس وعلاقاتهم، وما تقوم عليه من صدق وكذب ، ونفاق، ورياء ، وحقد وغيرها من طبائع ، وديوان (وجوه ومرايا) يتناول هذه الصور المتعلقة بهذه الحياة ، ومن الأمثلة قوله [(٢)]:

وأقبح من لاقيت في الناس مفتناً	غدا لمطايا الشر سرجا ومقودا
تراه حقودا همه كل همة	تتبع عورات الأنام تقصدا

فقد صور الشر بدابة ، وصور المفتن بسرج هذه الدابة ، والسرج شيء يتخذ من جلد ونحوه ، يوضع على ظهر الدابة؛ فكأن هذا ما هو إلا سرج يُركب فوقه على هذه المطية، ثم فسر الشاعر شيئا من الصورة في البيت الثاني، فهو حقود غايته تتبع عورات الناس.

٣ – الطبيعة :

اهتم الشاعر عبد الرحمن آل ملا بما ينمو كالأشجار والنبات والزهور، وبما هو ميت كالأرض والصخر والرمل، وبما هو جار كالبحار والأنهار، وبما

---

(١)إحدى المقابلات التي أجراها الباحث مع الشاعر في ذي القعدة ١٤٢٧هـ.

(٢) وجوه ومرايا ، ص٣٣.

هو خاص بالجو كالسماء والمطر، وبما هو جامد كالقصور والجبال ، وغير ذلك ، ويعود هذا الاهتمام إلى جانبين كما ذكرنا سابقاً؛ الجانب الأول : أن الشاعر ابن طبيعة خضراء تربى وترعرع فيها ، وهو بذلك معجب بها ومتعلق بما فيها ،والجانب الآخر هو تنقل الشاعر في أماكن وأنحاء متفرقة مختلفة الطبيعة والمناخ،ومن الصور الجميلة التي صور بها بعض مصادر الطبيعة الجامدة قوله في قصيدة(بين الأطلال في وبار) [1]:

فيها النخيل عرائسُ بنحورها   در ومرجان يميس ويلمع
والماء يجري كاللجين جداولاً   والشمس في خفرٍ تغيب وتسطع [2]

فالشاعر يصور جمال النخيل في صورة متكاملة ، فالنخلة بجمالها وما علق بها من رطبٍ يفتن الرائي، كالعروس التي تعلق بنحرها الدرر والمجوهرات، وهذه الصورة البصرية للشاعر مكتملة الجوانب، كذلك جريان الماء في صفائه كالفضة المذابة؛ وهما متفقان في النقاء والصفاء، بالإضافة إلى الانتظام الذي يتميز به كل من جريان الماء أو الفضة الذائبة في نظمه،ويزين الصورة الطباق في قوله تغيب وتسطع.

٤ – الشعر القديم: (صورة الطلل) :

ترسم الشاعر آل ملا خطى من قبله في الوقوف على الأطلال متأثراً بهم، فعاش صورة الطلل في خاطره، ووعاها في ذاكرته وعاشها حقيقة،فها هو ينظر إلى منطقة (وبار) فيراها خالية، كأن لم تغن بالأمس، لا يعيش فيها أحد بعد

---

(١)أغاريد من الخليج ، ص ١٠٣.

(٢)الخفر بالتحريك شدة الحياء،انظر: مختار الصحاح، مادة (خفر.) ص١٨٢.

أن كانت مصدراً للعيون والمياه الجارية،فيها الحدائق والحقول،وهو يبكي للحال الذي آلت إليه هذه البلاد ،يقول في قصيدة (بين الأطلال في وبار)[1]:

خلت البلاد فكل شيء بلقعُ   من بعد ما رحل الجميع وودعوا
فيما اقترابك من ديار عمها   شؤم الخراب وعاث فيها الأسبع
ارجع سلمت فلن ترى لك ها هنا   خلا فلا مشتى ولا متربع
ودخلت أرض الذعر يغريني بها   سحر الفضول ولست ممن يجزع
وطفقت ساعات أجوس خلالها   والقلب مني لوعة يتقطع
رحل الجميع فلم يعد لوجودهم   نفع ولم يمكث لهم ما ينفع

والمتأمل في القصيدة كاملة يلحظ أنها صورة حية متكاملة، فبعد أن كانت وبار مصدراً للمتعة والجمال والروعة، تعج بالحياة، انتهى الحال بها إلى أرض أشباح مختلفة الأشكال وإلى خراب..

والمتأمل في صور هذه القصيدة يجد الخيال الواسع للشاعر آل ملا، والنظرة الشمولية لما يراه من حوله ويحس به.

(١)أغاريد من الخليج : ص٩٩ ، ومدينة وبار من المدن الدارسة في صحراء الدهناء، وكانت على جانب كبير من العمران والازدهار، لما فيها من المياه الجارية والحدائق والحقول، وقد اجتمعت لأهلها ثروة طائلة من التجارة؛ فانغمسوا في اللهو والترف، وانصرفوا عن تنمية مصادر الحياة في بلادهم فغربت شمس عمرانها حين عمها الخراب، وطواها التاريخ في صفحات عظاته وعبره المنسية المهملة، ولا تزال تنسج حولها الأساطير والقصص الخيالية ، حيث يزعم أهل البادية أنهم يعثرون عليها حين تضل بهم السبل فيرون فيها أشباحاً مختلفة الأشكال ، انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،جواد علي،ج١، ص ١٥١ -١٥٢.منشورات الشريف الرضي،بغداد، ط١، ١٣٨٠هـ.

أنواع الصورة عند آل ملا :

أولاً: الصورة الحسية :

قبل الحديث عن الصورة الحسية،يجب الإشارة إلى أن التعويض سلوك مشترك بين أصحاب العاهات ، وقد تأتي صورة التعويض بصورة إرادية واعية،أو توجه الحياة النفسية للفرد بصورة غير واعية. (١)

وتؤكد الدراسات المتخصصة أن حاستي السمع واللمس قويتان عند المكفوف وفق مبدأ التعويض، ولكن هذه القوة لا ترجع إلى موهبة خاصة؛ وإنما تنشأ من براعة استخدامهما وطول تدريبهما. (٢)

ويلجأ الشاعر الكفيف إلى بعث كل الطاقات المدخرة في حواسه الأخرى بالشكل الذي يعوض خسارته في البصر، وحين يرفض الشاعر الكفيف الاعتراف بالعين في تغذية الباطن بصور الأشياء ، فإنما يعزز هذا الرفض بإبراز عمل الوسائط الأخرى في عمله. (٣)

والصور الحسية تعني اعتماد الشاعر على ما له علاقة بالإحساس ،سواء أكان هذا الإحساس بالبصر، أو السمع، أو الشم، أو باقي الحواس الأخرى.

والصورة الحسية تتخذ شكلين اثنين : فهي إما صورة (مفردة) وهي التي تغلب عليها صورة واحدة كالبصر أو السمع أو غيرهما، وإما ممتزجة وهي التي

---

(١) الجنس والنفس في الحياة الإنسانية، د. علي كمال ، ص ٩٩ ، الدار العربية ، نشر دار واسط ، بغداد ، (د.ط)، ١٩٨٣م.

(٢) انظر، شعر المكفوفين في العصر العباسي ، د. عدنان العلي، ص ٣٨٣.

(٣) المرجع السابق، ،ص٢٨٣.

تقوم على أكثر من حاسة.

ونبدأ بالصور الحسية المفردة، وهي خمسة أنواع :

١ - **الصورة البصرية** :

وهي الصورة التي يعتمد فيها الشاعر على حاسة البصر[١]،وأهمية الصورة البصرية متعلقة بأهمية حاسة البصر، حيث يسخرها الشاعر في نقل ما يراه وما يشاهده من مختلف صنوف وألوان الحياة . والشاعر عبد الرحمن آل ملا على رغم أنه كفيف، إلا أنه مكثر من الصور البصرية؛ ويعود السبب في ذلك إلى أن الشاعر لا يزال حاضر الذاكرة كما أسلفنا ؛فهو يعرف الشمس والقمر ، ويعرف السيف والرمح وغير ذلك، فهو لم يولد كفيفا ، وهناك سبب آخر أن الشاعر الكفيف يأخذ لغة المبصرين ويتأثر في بناء صوره بشعرهم[٢] . وسوف نوضح في هذا المبحث مدى تأثر الشاعر في كثير من هذه الصور بشعراء سابقين ، وسبب آخر كذلك،هو أن الشاعر آل ملا ينطلق من ثقافته أكثر من ذاته،وهذا واضح في شعره.

ومع ذلك فليس لنا أن نطمئن إلى أن صور الشاعر البصرية، وصور غيره من الشعراء المبصرين سواء،لأن المبصرين أنفسهم متفاوتون في ذلك أشد التفاوت، وذلك راجع إلى اختلاف الاستعدادات الفطرية والاكتسابية بين البشر أنفسهم،فهم مختلفون في فكرهم وطرق تفكيرهم[٣].وقد يتخذ الشاعر

---

(١) الخيال والتصوير في شعر المكفوفين ، محمد الدوغان ، ص ١٤٣.

(٢) الصورة الشعرية عند العميان في العصر العباسي ، د. محمد الدوغان ، ص ١٧٦.

(٣) انظر الخيال والتصوير في شعر المكفوفين، محمد الدوغان،ص١٦١، ١٦٢.

الكفيف بعض الوسائل والسبل التي تساعد على تكوين الصورة عنده، وهي في نفس الوقت ليست مفروضة على الشاعر الكفيف أن يسلكها، ولا يحيد عنها، كما أنها ليست خاصة بالأكفاء دون المبصرين،وإنما يكاد الشعراء الأكفاء لا يتجاوزونها إلى الابتداع والتجديد في الصور البصرية، كما نرى عند الشعراء المبصرين [1]. وأبرز هذه السبل :

ـ التوليـد:

ونعني به: (توليد معنى أو صورة أوحت بها صورة سابقة، وكانت سببا في بنائها وتشكيلها) [2] . ويشير إلى ذلك بعض النقاد ومنهم ابن رشيق في العمدة، وهو من سماه بهذا الاسم يقول: (التوليد أن يستخرج الشاعر معنىً من معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة، فلذلك يسمى التوليد ، وليس باختراع لما فيه الاقتداء بغيره، ولا يقال أيضا سرقة إذا كان ليس آخذا على وجهه) [3].

وتبدو في شعر عبد الرحمن آل ملا القدرة على التوليد ، ومن المعاني التي ولدها الشاعر آل ملا ، وتبدو في كثير من صوره؛ لم يكن حاملاً فيها لواء السبق، ولكنها تتسم بصفته، وتنتمي إلى وشاحه الجميل، يقول الشاعر آل ملا يصف جانباً من المعركـــة [4]:

ويبدو تهاوي النصل والنقع في السما   سحاب دمٍ بالشهب ترمي الفدافدا (٥)

---

(١) المرجع السابق،ص١٦٠، ١٦٣.

(٢)المرجع السابق،ص١٦٣.

(٣)العمدة، ابن رشيق القيرواني،ج١،ص٢٦٣.

(٤) وجوه ومرايا : ص ٩١.

(٥)الفدافد : الفدفد الفلاة التي لا شيء بها ، وهي الأرض الغليظة ذات الحصى ، انظر أساس البلاغة.مادة

=

وإذا نظرنا إلى أقوال من سبقه من الشعراء حول هذا المعنى، سوف يتضح إبداع الشاعر. يقول الأعشى [(١)]:

كأنما الآل في حافات جمعهم والبيضُ برق بدا في عارض يكف

وصورة الشاعر آل ملا تشبه هذه الصورة، وقد يكون الشاعر عبدالرحمن وَلَّدَ من هذا المعنى فكرة أبياته .

ويقول بشار بن برد [(٢)]:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وبشار بن برد يصور غبار الحرب الذي أثارته الخيل،والرجال في الزحف، وقد تطاير فوق رؤوس المتحاربين في ساحة المعركة، وقد غطى السماء من فوق رؤوسهم حتى أصبحت الدنيا كالليل وهم في وضح النهار، وقوة ضرب السيوف التي تنزل على رؤوس الأعداء كأنها كواكب تتهاوى من السماء، واللمعان الذي يبدر من جراء تلك الكواكب التي تتهاوى في الليل.

والشاعر عبد الرحمن آل ملا ولَّدَ من معنى بيت بشار، ولكن هذا التوليد أكسبه خصوصية وتميزاً،فالسيوف ونزولها على رؤوس الأعداء وقوة الضرب، جعل السماء حمراء من دماء القتلى،وهذه السحب التي امتزجت بالسماء ،رمت الشهب على أرض المعركة،وقذف الشهب على أرض المعركة دلالة على قوة

=

(فدد). ص٣٣٣.

(١)الأعشى: ميمون بن قيس ، ويكنى أبا بصير، وسمي الأعشى لضعف في بصره ، وعمي في آخر حياته ، وكان أول من سأل بشعره وكان أبوه يدعى قتيل الجوع، وقال أبو عبيدة الأعشى هو رابع الشعراء المتقدمين، وهو يقدم على طرفه لأنه أكثر عدد طوالٍ جيادٍ وأوصف للخمر والحُمُر ،وأمدح وأهجى. انظر طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي ،ج١،ص ٦٦ ،والشعر والشعراء : ابن قتيبة ، ص ١٦٦،

(٢) ديوان بشار بن برد، إحسان عباس،ص١٠٦ ، دار صادر، بيروت،ط١، ٢٠٠٠م.

احتدام الحرب وبيان التنكيل الذي لحق بالعدو.

ولنتأمل صورة بصرية أخرى ولدها الشاعر عبد الرحمن من شعراء كان لهم السبق في نقل تجاربهم،ومع ذلك تبقى للشاعر خصوصيته ، يقول الشاعر آل ملا في قصيدة(تأمل ومناجاة) [1] :

وانظر البحر في حشاه الرزايا   كامنات والدر في صدفاته

والشاعر في سياق هذا البيت يؤكد معنىً من التفكر والتأمل في صنيع الخالق عز وجل، وما في البحر من مخلوقات حية وعجائب لا تليق إلا بخالقها، نجد أن الشاعر حافظ إبراهيم [2] كان له السبق في طرق هذه الفكرة ، ولكن الشاعر حافظ إبراهيم يشبه اللغة العربية بذلك ، ويجعلها البحر ، يقول حافظ إبراهيم [3] :

أنا البحرُ في أحشائه الدرُ كامنٌ   فهل سألوا الغواص عن صدفاتيِ

فالبحر وما به من درر وصدفات ، وهي كناية عن ألفاظ العربية وأساليبها وأنماطها،فالشاعر يأتي بفكرة البحر وما به من صدف ودرر في داخله ؛ الشاعر آل ملا ولد المعنى من معنى الشاعر حافظ إبراهيم، وقد يكون هناك اختلاف في الفكرة إلا أنه ولد المعنى من سابقه.

ومن المعاني التي ولدها الشاعر آل ملا وهي العفو عن الكرام،يقول

---

(١) أغاريد من الخليج : ص ١٢.

(٢)اسمه في الأصل محمد حافظ ، اسم مركب، لكن غلب عليه اسم حافظ، أبوه إبراهيم فهمي ، مهندس بحري ،كانت وفاته في شهر يوليو من عام ١٩٣٢م،انظر: الأعلام:خير الدين الزركلي،ج٢، ص ١٦١،وانظر : شرح ديوان حافظ إبراهيم ، د. يحيى شامي ، ص ٥ -٦ -٧ ،دار الفكر العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ.

(٣) شرح ديوان حافظ إبراهيم ، د. يحيى شامي ، ص ٤٩١.

الشاعر في ديوان (وجوه ومرايا) [1] :

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ولا شيء كالمعروف للحر قيدا

هذا البيت في شطره الأول مأخوذ من بيت المتبني [2]المعروف،ولكن الشطر الثاني يختلف،فآل ملا ،شطره الأول منسجم مع الشطر الثاني ،حيث أن المعروف يقتل الحر،وتأكيد ذلك أنه لا يوجد شيء يقيد الحر مثل المعروف، أما المتبني فيقول [3]:

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

والمتبي له السبق ، ولكن الفكرة في الشطر الأول لا تسجم مع الفكرة في الشطر الثاني؛ فهو يؤكد أن العفو عن الأحرار قتل لهم ، فمن صفح عن حر استرقه بهذا الصفح فينذل له وينقاد، ولكنه يرجع في الشطر الثاني ويخالف ذلك بقوله:أين الحر الذي يحفظ المعروف؟ومعنى ذلك إما أنه لا يوجد حر أصلاً، أو أنه لا يوجد حر يحفظ المعروف، ومع هذا التفوق النسبي الذي يحفظ للشاعر آل ملا، إلا أن السبق في توليد هذا المعنى وهذه الفكرة يعود للمتنبي والفضل فيها له، والشاعر آل ملا سار في تكوين هذه الصورة البصرية على خطى المتنبي.

ومن الصورة البصرية التي اعتمد فيها الشاعر عبد الرحمن آل ملا على

---

(١) وجوه ومرايا ،ص٥٧.

(٢)هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الكندي الكوفي ، وكان والد المتنبي يعرف بعبدان السقاء، يسقي الماء لأهل المحلة ، وكان حاقداً على الناس ، يحقرهم، ويطوي كشحه لهم على الموجدة والضغينة ، وذلك أثر من آثار اعتداده بنفسه ، ومع ذلك كان وفياً لأصدقائه محباً لهم، انظر : شرح ديوان المتنبي وضعه عبد الرحمن البرقوقي، ص ٢٠ -٢١ -٢٢.

(٣) شرح ديوان المتنبي عبد الرحمن البرقوقي : ج ٢ ، ص ١١.

التوليد من شعراء سبقوه ،قوله في ديوان (وجوه ومرايا) [1]:

يرى سقراً للحر أشرف منزلٍ وأكرم من فردوسِ هونٍ وأسعدا

وهنا لا يقصد بقوله سقراً أي جهنم، وإنما يشير إلى معاناة ابن المقـــــرب وما لحق به من تنكيل واضطهاد ، بحيث أصبحت إقامته بين قومه ضرب من الهوان، ففضل أن يقضي بقية حياته متغرباً في البلدان، متجرعاً مرارة الغربة والحرمان، وقد ولد الشاعر نفس هذا المعنى من بيت الشاعر ابن المقرب العيوني، عندما قال [2] :

فاطلب لنفسك عن دار القلى بدلاً إنْ جنة الخلد فاتت لم تفت سقر

والشاعر آل ملا متأثر أشد التأثر بالشاعر ابن المقرب العيوني،ودليل ذلك ما ذهب إليه في ديوان وجوه ومرايا؛ عندما أكد أنه أبحر في تجربة ابن المقرب الشعرية، وصادفه ما بها من المعاناة والآلام ، وهو يؤكد أنه استجلى من جواهر تجربته، وأضاف إليها من لآلئ معاناته وتجاربه[3].

والشعراء وإن كان أحدُ ولد معنى أو فكرة من سابقه، إلا أنها لا تكون على حدٍ سواء من حيث الجدة والجودة؛ والكفيف حين يعتمد على سابقيه في معانيه وصوره البصرية يضيف من عنده ويزيد على تلك الصور والمعاني ما تمده به ثقافته ، وما توحي إليه نفسه ، بحيث تعرف الصورة له، وتنسب إليه[4] .

---

(١) وجوه ومرايا : ص ١٤.

(٢) ديوان ابن المقرب ، عبدالفتاح الحلو، ص ٢٣٤.

(٣) انظر : وجوه ومرايا : ص ٢.

(٤) انظر: الخيال والتصوير في شعر المكفوفين من الجاهلية إلى نهاية العصر ا لعباسي، ص ١٦٧.

ـ الاقتران والملابسة :

هو أن يقترن معنىً من المعاني أو وجدان من الوجدانات بشيء بصري، وينطبع ذلك في الذهن أو النفس، ثم يبني الإنسان على هذا الاقتران أشياء ، يترتب عليه أموراً أو صوراً بصرية أو غير بصرية[1] وهذا قد لا يخص المرئيات فحسب ، بل هو شامل لسائر المحسوسات ولكن المراد هنا حاسة البصر.

وهذه الانطباعات البصرية تأتي إلى ذهن الشاعر الكفيف عن طريق الاجتماع والتعرف والمحادثة مع المبصرين ، وكذلك المراسلة ، ومن خلال ما يصله من المعارف اليومية عن طريق حواسه وإدراكاته الأخرى، وهو ينقل ما يدور من انطباعات الناس، ويتأثر بتأثراتهم إزاء المبصرات وما يلابسها ، يقول آل ملا مخاطباً الشاعر عبد العزيز البابطين[2] :

صباح الخير يا صقر الفيافي ومن كل القلوب له قرار

وهذا المعنى البصري (صقر الفيافي) لولا اقترانه في ذهن الشاعر عبدالرحمن آل ملا بالقوة والرجولة والبطولة ، ما رأيناه استعان بهذه الاستعارة.

ويقول كذلك في قصيدة (رحلة مع الفجر)[3]:

وهـو كالطـود[4] راسـخ لم تـنل عــزمه ســطوة ولا إغــراء

والشاعر يشبه الرسول e في قوته ومدى تحمله بالطود القوي، أو الجبل

---

(١)الخيال والتصوير في شعر المكفوفين من الجاهلية إلى نهاية العصر ا لعباسي: ص ١٧٣.

(٢) أغاريد من الخليج : ص ٨٩.

(٣)أغاريد من الخليج: ص ١٦.

(٤)الطود: معناه الجبل العظيم،وقيل هو الفج بين الجبلين،انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير،ج:٣، ص ٤٤٥ ،مؤسسة الريان ، (د.ط) ،د.ت. ب .

العظيم، والطود في معناه البصري لولا اقترانه في ذهن الشاعر بالقوة والمتانة، وأن تشبيه الرسول بهذا المعنى يليق به ما استعان بهذه الاستعارة البصرية.

٢ـ الصورة السمعية :

ويلجأ الشاعر الكفيف إلى بعث كل الطاقات المدخرة في حواسه الأخرى بالشكل الذي يعوضه خسارته في البصر. وحين يرفض الشاعر الكفيف الاعتراف بالعين في تغذية الباطن بصور الأشياء فإنما يعزز هذا الرفض بإبراز عمل الوسائط الأخرى في عمله[١].

ومن الطبعي أن يحرص الشاعر الكفيف على بناء الصورة السمعية، ليعوض عن الصورة البصرية الأصل، فيبرز جمال الأصوات، وقيمة المسموعات، بعد أن سعى لبناء تأسيس نظري حاول فيه إقناعنا بمساواة السمع والبصر يقول بشار[٢] :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة	والأذن تعشق قبل العين أحياناً
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم	الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

ويقول بشار في موضع آخر[٣] :

بلغت عنها شكلاً فأعجبني	والسمع يكفيك غيبة البصر

كذلك يعتز أبو العلاء المعري بسمعه حينما يشبهه في قوته وإرهافه بأذني السمع - وهو ولد الذئب من الضبع - فإنه يمتلك حاسة سمع قوية،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ص ٣٨٣.

(٢) ديوان بشار بن برد، إحسان عباس، ص٤١٥.

(٣)الأغاني،أبو الفرج الأصفهاني،تحقيق: قصي درويش،ج٣،ص٧١٢،دار الهلال ،بيروت.ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢ م.والبيت ليس في ديوانه،

يقول[1] :

وما ذاد عني النومَ خوفُ وثوبها ... ولكن جرساً جال في أذن سمع

وهنا يؤكد أهمية السمع بالنسبة إليه، فقوة سمعه وإحساسه بأصوات الأسود هو ما أذهب النوم عن الشاعر ،لا الخوف من وثبها.

والصور السمعية التي استطاع الشاعر عبد الرحمن آل ملا بناء ها ، تدل على ذات الشاعر الكفيف، يقول من ديوان (وجوه ومرايا)[2] :

بحثت ولم تظفر بمن يسمع الندا ... فأجفل منك الصوت وانتحر الصدى

فالشاعر ينقل لنا صورتين سمعيتين، الأولى: جعل الصوت رجلاً يخاف . وحذف المشبه به وأتى بشيء من صفاته وهو الخوف والفزع، والصورة السمعية الثانية: جعل الصدى كائنا حيا تأثر بما سمع فانتحر . وكذلك حذف المشبه به وجاء بشيء من صفاته وهو الانتحار.

ويصور الحالة التي كان عليها ابن المقرب وحديثه عن حرب البسوس، يقول[3] :

فأطلق في حرب البسوس زئيره ... وفي مصرع الضحيان صال وأنشدا[4]

---

(١) شرح ديوان سقط الزند، الدكتور ن رضا، ص١٦٠، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

(٢) وجوه ومرايا : ص ٤.

(٣) المرجع السابق: ص ٧٨.

(٤) البسوس : اسم خالة جساس التي هاجت بسببها الحرب بين قبيلتين هي بكر وتغلب واستمرت أربعين سنة، وكان سببها قيام كليب بقتل ناقة البسوس، انظر: دائرة معارف القرن العشرين ، ص١٨٧، دار المعرفة ، بيروت، ط٣ ،ج٢، والضحيان هو سيد ربيعة عامر الضحيان بن سعد، قام بقتله جماعة من بني عامر بن الحارث بن أنمار، فاندلعت في إثر ذلك حروب طاحنة بين عشائر ربيعة كانت من أهم أسباب هجرتها من تهامة وتفرقها في البلاد، انظر: تاريخ الإمارة العيونية، ص٢٧، عبد الرحمن آل ملا. مؤسسة

=

فالصورة السمعية ظهرت في كلمة زئيره، حيث شبه صوته وما فيه من قوة أرعبت العدو بزئير الأسد.حذف المشبه به وجاء بشيء من صفاته وهو الزئير.

ويصور المعركة تصويراً حياً ويستخدم صوراً يعتمد فيها على حاسة السمع ابتداء من صوت السيوف والصهيل وأغاني النصر، يقول[1] :

كأن صليل المرهفات مع القنا   وصوت التنادي والصهيل المرددا

تناغم ألحان الفخار تصوغها   أنامل شجعانٍ قضت أن تمجدا

تردد للرايات أغنية الوفا   وللخيل والأبطال ملحمة الفدا

وهذه الصور السمعية تظهر اعتماد الشاعر في تقديم صوره على حاسة السمع، وهذه الحاسة استطاع من خلالها الشاعر نقل صورة حية مشوقة لما سوف تنتهي إليه أحداث المعركة ، فالعبارات: صليل المرهفات ، صوت التنادي، تناغم ألحان ، أغنية الوفا ، وغيرها من العبارات جعلت الشاعر يعتمد على سمعه في نقل أدق الصور.

ويقول في قصيدة (فواز)[2] :

نغم يهدهدُ[3] في أراجيح المنى   زين الطفولة كي ينام قريرا

ففي قوله "نغم يهدهد" يصور صوت المولود الجميل الذي ابتهج به ،بالنغم الذي يهدهد على سبيل الاستعارة التصريحية.

=

جائزة عبدالعزيز البابطين، (د.ط)، ٢٠٠٢م.

(١) وجوه ومرايا : ص ٩٠.

(٢) أغاريد من الخليج : ص ٢٥.

(٣) يهدهد: هدهد الشيء من علو إلى أسفل ، حركه كما يهدهد الصبي في المهد. لسان العرب، ابن منظور،ج٦،ص٤٦٣٢

والصور السمعية يعتمد عليها في قصائده من حينٍ لآخر، يقول[1] :

صوتك الشادن مازال صداه   بالرؤى العذبة يغري مسمعي

فـأغني مـن جديـد للحـياة   رغـم آلامـي وألقـاك معـي

ويقول في نفس القصيدة :

اذكريني كلما غنى الهزار   بنشيدي فيك يا أحلى نغم

ولننظر إلى جمال هذه الصورة السمعية عندما يخاطب محبوبته في قصيدة (لحن الوفاء) [2] :

إصـغي إلى قلـبي الكلـيـ   ـم لستمعي خفقات صدري

نغمـاً يخلـدُ حـبك الـ   ـجـبار في أصـداء فكـري

لـيظل لحـناً للـوفا   ء علـى مـسامع كـل فجـر

والملاحظ في هذه الأبيات اعتماد الشاعر على صورٍ سمعية متعددة، تعتمد في الأساس على حاسة السمع، فهو يقول إصغي: والإصغاء يعتمد على الاستماع، وهذا الإصغاء يكون لقلبه الكليم، وكأن قلبه الذي يتحدث ويتكلم، ويؤكد الإصغاء الذي يعتمد على حاسة السمع عندما قال: لتسمعي .. وكذلك في بقية الأبيات السابقة، فالنغم يشعر به عن طريق الاستماع مع تضمين هذا النغم وسماعه بالاستعارة، وكذلك كلمة اللحن التي تعتمد على حاسة السمع، ويختم هذه الأبيات بالتشخيص ، حيث جعل للفجر سمعا مثل الإنسان.

ويصف مصر بهذه الصورة السمعية فيقول في قصيدة(من وحي معركة

---

(١) أغاريد من الخليج : ص ٣٧.

(٢)أغاريد من الخليج: ص ٤٧.

رمضان)[1]:

فعلى صوتك المجلجل[2] بالحق صحا الشعب بعد طول سبات

فالشاعر صور مصر وكأنها فتاة رفعت صوتها تطالب بالحق.

ويكثر الشاعر من الصور السمعية في قصائده يقول في قصيدة (مع الخالدين) [3]:

سمعتُ أغاني الكفاح يرتلها الطيرُ فوق الشجر

ويسكبها نغماً في الوجود خرير المياه كلحن الوتر

فتنقلها الريحُ عبر الأثير وتصغي النجوم لها والقمر

فالأبيات مليئة بالصور السمعية – أغاني الكفاح – والطير يرتلها – يسكبها نغماً – خرير المياه كلحن الوتر – تصغي النجوم لها والقمر ، وجميع هذه الصور اعتمد فيها الشاعر على حاسة السمع ، والشاعر آل ملا يتخذ من هذه الصور السمعية سبيلاً إلى التأمل والتفكير ، وكأنه حين فاته أن يصور تلك البطولات والمواقف بواسطة العين كما يفعل أغلب الشعراء، فإنه لم يفته ذلك بواسطة السمع. والشاعر هنا يجعل للكفاح أغاني ، والطير يرتل تلك الأغاني وكأنه إنسان، والنجوم تستمع ذلك النغم والقمر معها. ومما لا شك فيه أن الشاعر آل ملا ينطلق من ثقافته أكثر من ذاته يقول[4] :

---

(١) أغاريد من الخليج : ص ١٠٦.

(٢) المجلجل : مجلجلُ : ظريف جداً لا عيب فيه، والمُجَلجَلُ: من الأبل ما تمت شدته وقوته، والمجلجل : بالكسر صوته بعيد، وقيل هو الجرئ الدفاع الذي يخاطر بنفسه ، ويقصد المعنى هنا الصوت الشديد القوي ، انظر: تاج العروس من جوهر القاموس ، مادة (جلل) ،ج٧، ٢٥٩. .

(٣)أغاريد من الخليج،ص١٠٩.

(٤) أغاريد من الخليج : ص ١١٢.

من زئيري ومن هدير سلاحي　　　نظم الدهرُ للكفاح نشيدا

فالشاعر يعتمد على حاسة السمع في نقل همومه وهموم مجتمعه الذي لم يسل عنه – من زئيره – هدير سلاحي – نظم الدهر نشيدا ، وهذه جميعها صور سمعية تدل على ثقافة الشاعر التي أعانته على النظر في هموم مجتمعه نظرة ثاقبة مليئة بالمشاركة لهموم هذا المجتمع.

٣ – الصورة الشمية :

يعتبر عبد الرحمن آل ملا من الشعراء الذين أكثروا من الصور الشمية والولع بوصف الروائح الذكية، والعطور الأخاذة في غزله العفيف، وهو ما كان عليه الشعراء المكفوفون من أمثال بشار بن برد؛ الذي لا يشعر من موصوفاته من النسوة إلا روائحهن ، وأقراطهن يقول بشار(١) :

وتخال ما جمعت عليه　　　ثيابها ذهباً وعطراً

ويقول كذلك(٢) :

عبيدة مالكِ مسلوبة　　　وكنت معطرة حالية

ويقول كذلك (٣) :

يا رحمة الله حُلى في منازلنا　　　حسبي برائحة الفردوس من فيك

وعند التأمل في شعر آل ملا نجد أن الصور الشمية واضحة ، وهي في نفس الوقت قريبة المتناول من قريحته، لأنه يأتي بها في سائر موضوعاته،

---

(١) ديوان بشار بن برد ، ج ٤ ، ٥٦.

(٢) المرجع السابق :ج ٤ ، ص ٢٢٦.

(٣) المرجع نفسه : ج٤ ، ص ١٢٤.

والروائح والعطور لا تفارقه، يقول واصفاً جمال النسيم[1] :

والنـــسيم العـــذب فـــيما حولـــنا ينثـــر عطـــره
وعلـــى قمـــة صـــخر حـــرزتها كـــل زهـــره

والشاعر آل ملا متفائل كما عهدناه، وهو عندما يبتهج بمولود دخل هذه الحياة الدنيا، يجعل أنفاس هذا المولود وكأنها مزجت العبير، يقول في (فواز)[2] :

ويقسم البسمات بين قلوبنا فَأَحَظُّنَا من شمَّ منه عبيرا

وعندما يتأمل في تلك الحبيبة يجد أنها الأساس الذي يبعث الرائحة الزكية، فهي الوردة ،وهذه الوردة تعيش في روض الشاعر الخاص به ، وهذه الوردة تفوح بكل العطور ، وهو في نفس الوقت يهديها باقات زهر جميلة ، وهذه الباقات الجميلة تتكلم وتحكي وكلها من شذا أنفاس هذه المحبوبة فهي مناه، يقول[3] :

يـــا وردة في روض أحـــ ـلامـي تفـوح بكـل عطـر

ويقول بعد ذلك :

لـــــيلاي ورْدِي المنُـــــى أهـــديك في باقـــات زهـــر
تحكـي شـذا أنفاسـك الـ ـنشوى وأنـت مـناي فـادري

والشاعر معجب بالمدن التي زارها، وهو مغرم بما فيها من جو ساحر، وحدائق غناء تنتشر فيها رائحة الأزهار والورود، وهو يؤكد أن هذه الروائح

---

(١) أغاريد من الخليج : ص ٤٠ -٤١.

(٢)أغاريد من الخليج: ص ٢٦.

(٣)أغاريد من الخليج: ص ٤٧.

الجميلة هي من نسيم أصحابه الأوفياء؛ الذين اتصفوا بوفائهم للشاعر، وهو وفي لأصدقائه ،جعلهم زهوراً وعبيراً تطيب به الطائف الجميلة، يقول[1] :

وطـن تـضوّع مـن أريـج نـسيمه طـيب الربـى وعـبير كـل أخٍ وفي

ويعجبه جو الطائف الذي يأسر القلوب ، ويجعلها أكثر حياة، ويزيدها رقة، فيقول في وصف حديقة زمردة القصور[2] :

وربـى(٣) مطـرزة بوشـي مُـترف جـو كأنفـاس العـذارى رقـة

والشاعر محبُ للأرض التي نشأ فيها وترعرع، وهذه الأرض المجيدة هي تاريخ استطاع أن يضيء للناس ألوان الفخر والمجد ، وهذا التاريخ فاح منه رائحة العنبر التي استمرت إلى يومنا هذا تطهر هذه الأرض ، ويقول في قصيدة (عروس المجد) [4] :

سـترون تاريخـاً أضـاء حـروفه صدق الجهاد وفاح منه العنبرُ

وهـو معجـب بـدارين، وقـد جعلـها كالعـروس الـتي وُضِـعَ المـسك فـوق جبينها ،ونثر على المسرح الذي يجلس فوقه الناس حتى وصل إليهم،يقول[5] :

والمسك من دارين فوق جبينها وعلى الحضور وفي المسارح ينثر

والشاعر يفخر بتاريخ المسلمين وما قدموه، وأن ما قدموه هو فخر ونصر لا يزال في سجل المجد، وهذا النصر لا يزال إلى يومنا معطر الصفحات. يقول

---

(١) أغاريد من الخليج : ص ٦٣.

(٢)أغاريد من الخليج: ص ٦٣.

(٣)الربى : ما ارتفع من الأرض، انظر العين مادة(ربو).،ص١٤٣.

(٤) أغاريد من الخليج : ص ٧٠.

(٥)أغاريد من الخليج،ص٧٢.

مفتخراً بمعركة عين جالوت[1] :

عين جالوت لم تزل في سجل الـ ـمجد سفراً معطر الصفحات (٢)

والشاعر يكثر من الحكمة في شعره كما ذكرنا، والحكمة في شعر آل ملا لا تخلو من مزج الحكمة بالصور الشمية ، ومن ذلك قوله في (وجوه ومرايا)[3] :

وما المرء بين الناس إلا حكاية سيمكث منها عندهم ما تأكدا
فعطر بذكراك الدنا واتخذ لها بسفر النقا والصدق سطر موردا

ومما يميز الصور الشمية عند الشاعر قربها من متناول القارئ وسهولة الوصول إليها ، وربما قصد الشاعر بهذه الصورة الشمية وتركيزه على العطور وأنها تتجاوز مواطن العقل والحواس إلى مكامن شعور الإنسان ، فتوقظ وتحرك نوازع النفس ، ويعيش الإنسان لحظات من النشوة والابتهاج وأحياناً الفخر ، وما ذكرناه سابقاً دليل على ذلك – عطر ذكراك – سترون تاريخاً فاح منه العنبر – المسك من دارين – عين جالوت لم تزل في سجل المجد معطرَ الصفحات ، وغيرها من الصور.

٤– الصورة الذوقية:

إذا كانت صور الشاعر الشمية تبهر الأنوف لقوتها ، وتجسد الكثير من المعاني، فإن صوره الذوقية لا تقل عن الشمية حيوية وحضوراً، وكما أنها لا

---

(١)أغاريد من الخليج: ص ١٠٧.

(٢) موقعة بين المسلمين والتتار حدثت سنة ٦٥٨ هـ ،انتصر فيها المسلمون على التتار. انظر حياة الملك الظاهر بيبرس، ص٧٧، وما بعدها محمود شلبي. دار الجيل، بيروت، .ط١، ١٤١٢هـ

(٣) وجوه ومرايا : ص ٢٨.

تقل تميزاً وإبداعاً عن صورة الشعراء المكفوفين الذين سبقوه أمثال بشار الذي يجد في الصبابة ثمراً يمتص عصيره حتى الفناء [1] :

وطوى الشباب ورود كل عشيةٍ نُكبُ الخطوب بطونهن ظُهورُ

وتمصصي ثمر الصبابة والصبا حتـــى فنـــيت وللفـــناء مـــصيرُ

وهذه الصورة الذوقية لبشار، تجسيدُ قوي يحكي قوة استشعار بشار في استمتاعه بساعات اللهو والمرح،ولكن يأتي هذا التذكر عقب ذكر الخطوب، ذلك أن كلاً منهما شارك في إفناء الشباب وطي أيامه ولياليه اللاهية الزاهية، وليس من المستغرب أن نجد تلابس هذين الخطين في صورة واحدة، فإن بعض الناس أحرص ما يكونون على اللهو في ساعات الضيق والكرب، فحين تطبق المصائب على أفئدتهم ويضيقون ذرعاً بحالتهم يلجأون إلى التخفيف والتلفت مما هم فيه بمثل هذه الأمور، وكان في تعبير بشار بهذه الصيغة العنيفة (التمصص) وإضافتها إلى ياء المتكلم شيئاً من الانتقام والتشفي لهذه الخطوب ، أو منافسة لها فيما تقتدر عليه من طي ثوب الشباب، وأنها لا تصده عن الأخذ بأسباب اللهو والتمتع ببهجة الصبا [2] .

والصور الذوقية عند آل ملا ليست بكثرة الصور البصرية أو السمعية، إلا أنها من الجودة ما يجعلها لا تقل شأناً عن صور الشعراء الآخرين، فهو عندما يصف تلك الفتاة الجميلة يصف مبسمها ومنطقها الذي تذوقه فأصبح أشهى من

---

(١) ديوان بشار ، إحسان عباس،ص٣٧٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر: الخيال والتصوير في شعر المكفوفين من الجاهلية إلى نهاية العصر الجاهلي، محمد الدوغان : ص ١٥٦ -١٥٧.

العسل يقول [1] :

لعوب لها في اللطف والظرف شهرة ومنطقها أشهى لديكَ من العسل

وليس هناك مذاق أشهى من العسل ،إلا مذاق مميز في نفس الشاعر، وهذا المذاق قد أحسه الشاعر وجعله أشهى من العسل.

والشاعر يستخدم معاني التذوق، ويجعلها في بيت واحد في قصيدة (جلسة ساحرة)،يقول [2] :

وارشفي مِن لما الزهور رحيقاً عسلي المذاق حلو شهياً

فهو يخاطب البلابل،وهو جالس يتأمل جمال الطبيعة في الأحساء بأحاسيسه بأن ترتشف من لما الزهور،ذلك الرحيق الذي يتميز بمذاقه العسلي،ومع مذاقه العسلي فهو حلو وشهي،وهو في هذا البيت يؤكد مذاق تلك الزهور العسلية، وبأنه حلو وشهي.

واستخدم الشاعر الصورة الذوقية ليقابل بين المعاني حتى تكون أكثر قبولاً وأقرب إلى نفس القارئ ، يقول [3] :

ومن يرتوي من علقم الضيم راضيا هواناً يجد في طعمه الشهد سرمدا

فالعبارات (علقم – الشهد – الضيم – راضياً) جاء بها الشاعر لتعطي المعنى تميزاً وقبولاً ،خاصة وأن الشاعر يميل إلى الحكمة في كثير من قصائده ، ويقول كذلك في نفس القصيدة [4] :

---

(١) أغاريد من الخليج : ص ٥٠.

(٢)أغاريد من الخليج: ص ٥٤.

(٣) وجوه ومرايا : ص ٣٧.

(٤)وجوه ومرايا : ص ٣٨.

ومن يرتشف من منهل العز جرعة		مضى في طلاب العز سيفاً مجرداً

فالشاعر جعل للعز جرعة يرتشف منها طالب الرفعة والعلياء ، وهذا الذي يطلب العلياء ، هو سيف مجرد.

وعندما يتناول الشاعر بعض القضايا الاجتماعية يتناولها بحس الحاضر الذي عاش مع الناس صنوف الطباع ،حسنها وسيئها ، يقول [1] :

وعـنهن صـد الخاطـبين وبعـدا		ومـص دنـي الـنفس جهـد بـناته

فكلمة (مص) فيها من السخط والتذمر الذي حمله الشاعر على ذلك الرجل الذي حاول أن يستولى على أموال بناته، وجعل الخاطبين يصدون عنهم، ليس لغرض؛ وإنما من أجل أخذ ما عندهن من أموال خاصة من كانت منهن على رأس العمل، وهو لم يقل (أخذ) وإنما قال (مص) وهي دلالة على حقارة ذلك الأب، وأنه يأتي على ما لها فيمصه بشره ، ولا يبقي منه شيئا، كالطفل الذي لا يبقي في ثدي أمه شيئا؛ وأكدها بقوله: (دني النفس) دلالة على أن من يفعل هذا السلوك فيه من الحقارة والدناءة الشيء الكثير.

والشاعر كثيراً ما يستخدم في صوره الذوقية مصطلحات تخصه، فعندما يعبر عن الصبر؛ يجد الأسلوب الأمثل للتعبير،وخاصة الصمود أمام العدو [2] :

أشربُ العزم من دموع الثكالى		وأغـذي مـن الأنـين الـصمودا

فالشاعر استخدم كلمة (أشرب) والشرب هنا لا يقصد به شرب الماء أو شيئا يُشرب وإنما هو يَشرب العزم [3] ، وشرب العزم يكون من دموع الثكالى ،

---

(١)وجوه ومرايا ، ص٤٨.

(٢) أغاريد من الخليج : ص ١١٢.

(٣) العزم: هو ما عقد عليه القلب أنك فاعله، ويقال ما لفلان عزيمة : أي ما يثبت على أمرٍ يعزم عليه، وما

=

وهذا الشرب خاصٌ بالشاعر، وكذلك الغذاء ليس أي غذاء ولكنه غذاء من الأنين الذي يعاني منه هؤلاء الثكالى،والشاعر يستخدم الأكل والشرب ليكونا دافعين له في كفاحه وفي صموده أمام المحتل الغاشم.

ويستخدم الشاعر بعض الألفاظ التي تتعلق بحاسة الذوق ويوظفها في غير مكانها الأصلي وإنما على سبيل التصوير والتخيل،يقول في قصيدة(إلى لاجئة) معبراً عن ألمها وحزنها [1]:

قبعت بداخل غرفة الأحزان ترفـــل في القيــــود

تتجرع [2] الآلام من كأس التعاسة في شــــرود

والتجـرع هـنا يكـون عـن طـريق الفـم، ولكـن الـشاعر لم يجعلـه مـاءً أو طعاماً ،وإنما جعل الآلام تتجرع،وذلك عن طريق كأس غير مألوف، وهو كأس التعاسـة، وقـد اسـتخدم الـشاعر هـذه الألفـاظ وجعلها في قالب ذوقي حتى يتسنى للقـارئ والمتابع أن يحس بذلك مباشرة ، فاللاجئة تتجرع ،ولكن ليس أكلاً أو شراباً وإنما آلاما، والطريقة التي تتجرع هذه الآلام منها، هي كأس التعاسة.

٥ـ الصورة اللمسية :

من المعلوم أنه ينطوي تحت الإحساسات اللمسية سائر الحواس العضلية والعضوية الخارجية والباطنية من الجسم،وفي شعر آل ملا أمثلة كثيرة من

=

وجد نجا له عزماً، وإن لا آبه لذو عزم، وتجمع عزائم ، وعزائم القرآن : الآيات التي يقرأ بها على ذوي الآفات لما يرجى البرء منها ،انظر: كتاب العين مادة (عزم). ص٥٣٩.

(١)أغاريد من الخليج، ص١١٥.

(٢) جرع : جرعت الماء أجرع جرعا،وكل شيء يبلعه الحلق فهو جراع،والاسم الجرعة،والاجتراع بالماء كالابتلاع بالطعام، والتجرع تتابع الجرع مرة بعد مرة ، انظر العين مادة (جرع). ص١١٠.

ذلك، وهذه الكثرة يصعب حصرها ، أما عندما نتجاوز إلى الصورة اللمسية المباشرة المستقلة لا نعثر لها على أمثلة كثيرة، بل نجدها تتداخل تداخلاً شديداً مع المحسوسات الأخرى، ومن الصعب أن نأخذ هذه الحاسة بمفردها، ولو فعلنا ذلك لاضطرب بناء الصورة وتزعزت وفقدت جمالها،وسوف أقوم بذكر إشارات إلى ملامح هذه الحاسة في صور آل ملا الحسية.

والشاعر من المبدعين الذين تثيرهم شؤون الحس والحواس، فهو يوظف هذه الحاسة لتصوير حالات متنوعة، يقول مصوراً حاله بعد فراق محبوبته، ويصور النشوة التي تصيب الإنسان عند تذكر محبوبته بشيء محسوس يمس قلبه، يقول[1] :

تمس فؤادي عند ذكراك نشوة فترتعد الأوصال مني وترجف

فالنشوة تصل إلى فؤاد الشاعر وتمسه، ونتيجة هذا المس يحصل للشاعر الارتجاف والاضطراب من أثر ذلك المس ، والشاعر يقصد أخيراً تلك الإنسانية التي عشقها عشق الإنسان لتلك المحبوبة.

والشاعر له موقف من الشوك الذي يدميه ، ولكن هذا الشوك يختلف عنده، فإما أن يكون شوكاً حقيقياً يجرح كف الشاعر بعد أن يلمسه، كقوله في القصيدة السابقة[2] :

أخي أنت مثلي بجرح الشوك كفنا ويبهجنا زهر الربيع المفوف

وإما أن يكون شوكا خاصا في مصطلح الشاعر ؛ وهو شوك من نوعٍ

---

(١) أغاريد من الخليج : ص ٢٠.

(٢)أغاريد من الخليج: ص ٢٢.

يدمي كف الشاعر، ولكنه لا يكتفي بكفه بل يتجاوزه إلى قلبه؛ إنه شوك الغرام والحب، وهو أشد قسوة وأكثر وقعاً على الشاعر، على الرغم من أنه لم يدم كفه، يقول في قصيدة (شوك الغرام)[1]:

فأدميت كفي بشوك الغرام وغيري جنى الورد هل قدره؟!

والشاعر يستخدم بعض الألفاظ التي تفيد الملامسة ، وهذه الملامسة على سبيل المجاز لتعطي المعنى قوة وتأثيراً في نفس القارئ ، يقول في قصيدة (مأساة عذراء)[2] :

في ليلة الأفراح حيث يضمها صدر الحليل بلهفة وحنان

فالشاعر استخدم هذا الأسلوب المجازي لبيان وضع الملامسة ، وأنها كانت ملامسة طاهرة ونقية في بداية الأمر، وهو جاء بالجزء وهو الصدر، وأراد الكل[3] وتكرر تلك الملامسة ولكنها ملامسة معنوية، وذلك عندما جعل القدر يطرق باب أمها، وكأنه رجل يطرق الباب ، يقول في نفس القصيدة[4] :

وتمر أيام فيطرق بابها قدر لينقذها من الحرمان

فالقدر لا يطرق الباب،وطرق الباب يعني ملامسة اليد للباب، ولكنها هنا ملامسة معنوية وليست حسية، فالقدر رجل طرق الباب على منزل الأم ليتزوجها.

---

(١)أغاريد من الخليج ،ص٤٤.

(٢)أغاريد من الخليج: ص ٥٦.

(٣) من علاقات المجاز المرسل الجزئية: وهي تسمية الشيء باسم جزئه ، وذلك بأن يطلق الجزء ويراد الكل، نحو قوله تعالى في شأن موسى عليه السلام : [فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا] سورة طه، الآية ٤٠ ،وتقر عينها: أي تهدأ، ولفظه المجاز هي عينها، والذي يهدأ هو النفس والجسم لا العين وحدها، ولهذا أطلق الجزء وهو العين وأراد الكل وهو النفس والجسم ، وهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية، انظر : علم البيان: عبد العزيز عتيق ، ص ١٥٩ ،دار النهضة العربية ، بيروت ، (د.ط)، ١٤٠٥هـ.

(٤) أغاريد من الخليج : ص ٥٦.

ويلجأ الشاعر آل ملا إلى مجموعة من الأبيات تعتمد في مجملها على الصور اللمسية ،وكأنه فقد جميع حواسه ولم يبق إلا حاسة اللمس التي تعتمد على اليد في أغلب حالاته، يقول في قصيدة (الفدائي والفردوس الجريح) (١) :

بيدي قد دفنت بالأمس أمي	في ثراها كما دفنت الجدودا
بيدي قد غرست كرم بلادي	وبها سوف أقطف العنقودا
بجحيم الردى ونار انتقامي	سوف أرمي بطاقتي والوعودا

فالأبيات السابقة تعتمد على اللمس ـ وخاصة اليد ـ فيها دفن أمه ، وهل اعتمد على يده في دفن أمه ؟، وكذلك دفن جدوده، وهي التي غرس بها كرم بلاده،وقطف بها العنقود،وسوف يرمي بطاقته والوعود،وجميع ما ذكره الشاعر يعتمد على اللمس.

وكثيراً ما يعتمد الشاعر على الصور اللمسية، عندما يريد أن يعبر عن آلام الشعوب أو عن القضايا العربية ، يقول في قصيدة(إلى لاجئة) (٢) :

وأصابع الغثيان تخنقها فتصرخ في الوجود

أواه معتصماه أختك مس عفتها يهودي

فالألفاظ (أصابع الغثيان، أختك مس عفتها) صور لمسية، استطاع الشاعر اختيارها بعناية ، فقوله : أصابع الغثيان تخنقها ،جعل الغثيان رجل ظالم مجرم يخنق تلك الفتاة، كذلك قوله: أختك؛ وكذلك قوله:مس عفتها ،وهو تعبير يؤثر على نفسية المتلقي ويزيد حماسه.

---

(١)أغاريد من الخليج: ص ١١٣ .

(٢)أغاريد من الخليج،ص ١١٥.

ويستخدم الشاعر الصورة اللمسية، ويمزجها بالحكم التي عرفت في ديوانه (وجوه ومرايا) ، وأحياناً يكون المس بمعنى اللمس ،يقول [1] :

وليس من الأحرار من مُس عرضه   ولم يجعل الباغي هباء مبددا

فكلمة (مس) فيها إحياء لقلب الإنسان الذي يعيش ذليلاً راضياً بأن تنتهك حرماته. ولم يقل لمس؛ لأن المس أقوى وقعاً في نفس السامع والمتلقي.

ـ الصورة الممزوجة:

ويقصد بها الصورة التي اشتركت في بنائها أكثر من حاسة، وبان في عناصرها أكثر من محسوس والمتبادر أنها لن تعسر على الأكفاء شأن الصورة البصرية، بل هي أبعد عن التقليد من الصورة البصرية المفردة، لاعتماد تلك على البصر،وقيام هذه على تعاون الحواس التي يمتلك الكفيف القدر الأكبر منها [2].

والشعراء المكفوفون جاء معظمهم بهذا اللون من الصورة، ومن أمثلة ذلك الشاعر بشار بن برد عندما كان يشم في وجه الحبيبة الريحان الممزوج بالمسك المفتت الجاري في ماء الخد [3] :

دعاني لكِ جني   من الجنان عفريتُ

بوجه زاهر الحسن   زهاه الجيدُ والليتُ

كأن الروح والريحا   ن فيه المسك مفتوت

جرى في ماءِ خديك   وفي الأنياب تنبيتُ

---

(١) وجوه ومرايا : ص ٢٦.

(٢)الخيال والتصوير في شعر المكفوفين في الجاهلية إلى نهاية العصر العباسي ص١٨٢.

(٣)ديوان بشار بن برد ، إحسان .عباس،ص١٤٦.

كـــأن القـــول مـــن فـــيك   لــــــــــنا درٌ وياقــــــــــوت

فالشاعر بشار أصبح المشموم لديه مرئياً ومَذُوقاً، والمسموع تحول مبصراً وملموساً. ومن الشعراء المكفوفين السابقين الذين صوروا محبوبابتهم وجاءوا بالإحساسات الذوقية واللمسية والبصرية والشمية هو العكوك [1]: يقول في قصيدته الدالية [2]:

وتجيل مسواكِ الأراك على   رتلٍ كأن رضابه الشهد
وكأنما سقيت ترائبها   والنحر ماء الحسن إذ تبدو
وبصدرها حقان خلتهما   كافورتين علاهما نـدُ

ولا يقل الشاعر عبد الرحمن آل ملا عن الشعراء الذين سبقوه شأناً من حيث وفرة الصورة الممزوجة عنده، وعندما نتصفح ديوان الشاعر نجد الكثير من الصور التي امتزجت فيها الحواس؛ مما يعطي الشاعر تميزاً واضحاً في مجال الصورة الشعرية، يقول في قصيدة "الإنسانية كما عشقتها" [3]:

فصار فؤادي للأنام حدائقاً   بأفنانها الأطيار تشدو وتعزفُ

فالشاعر هنا يصور قلبه بالحدائق، وهي صورة بصرية، وجعل الطيور تغرد بها وتعزف ؛ وهي صورة سمعية، امتزجت مع الصورة البصرية، وأحيانا تمتزج الصورة الشمية بالبصرية، ومن ذلك قوله في (قصيدة فواز) [4]:

ويشع في بيت السعادة نورا   ويعطر الأرجاء من أنفاسه

---

(١)علي بن جبلة بن مسلم الأبناوي، شاعر مجيد،أعمى، أبرص من الشيعة، ولد في بغداد، واشتهر بـ (العكوك). توفي سنة ٢١٣هـ. انظر: الأعلام للزركلي، ج٥ ،ص٤٤.

(٢) ديوان علي بن جبلة، د. حسين عطوان، ص١١٧،دار المعارف ،القاهرة،ط٣، (د.ت).

(٣)أغاريد من الخليج،ص٢١.

(٤)أغاريد من الخليج ، ص٢٥.

فالشاعر جعل المولود ورداً جميلاً يعطر الأرجاء،وهي صورة شمية، وهو في نفس الوقت يشع نوراً؛ وهي صورة بصرية.

وكثيراً ما تمتزج الحواس، وتحل كل حاسة مكان الأخرى. يقول في قصيدة (لوحة من استكهولم) [1]:

تختال في دلٍّ وجوٍّ سامر ورأيت أسراب الأرام [2] خلاله

نغماً يطير مع النسيم العاطرِ تتردد الضحكات في أرجائه

فالآرام تشبه النساء الجميلات التي تختال بحسنها، وهي صورة بصرية، ثم تتردد الضحكات وهي سمعية، ثم جعل الشاعر النغم يطير، وهي بصرية معنوية. ولكن النغم لا يطير بمفرده؛ وإنما مع ذلك النسيم العاطر وهي صورة شمية، وقد برع الشاعر في رسم هذه اللوحة، وجعلنا نشاهدها بوضوح، علماً بأنه لم يرها قط.

والشاعر دائماً يمزج بين الصور، وكأنه يحاول أن يعوض تلك الحاسة التي فقدها، يقول في قصيدة (بين الأطلال في وبار) [3]:

فيها الكروم وكل زهر عابقٍ بشذاه والثمر الشهي منوع

فيها النخيل عرائس بنحورها در ومرجان يميس [4] ويلمع

---

(١)أغاريد من الخليج ، ص٧٤

(٢) الآرام : ذكر الأصمعي الأرام من الضباء وهي البيض الخالصة البياض، وقال أبو زيد مثله، وهي تسكن الرمال ، انظر العين، مادة رأم،ص٢٧٨ ، وفي أساس البلاغة مرت بنا الآرام أي النساء الملاح، انظر مادة (رأم). ص١٤٦.

(٣) أغاريد من الخليج، ص١٠٣

(٤) يميس: الميس هو التبختر، العين، مادة (ميس)، ص٧٩٨.

فالشاعر جاء بالصور ممزوجة، فالكروم والزهر الذي يعبق بشذاه، وذلك الثمر الشهي ؛وكذلك النخيل، العرائس والمرجان، الذي يتبختر ويلمع من شدة جماله. فالصورة البصرية والشمية والذوقية جعلت عين القارئ تتأمل ذلك المكان الذي كان جنة من جنات الدنيا.

والشاعر عندما يمزج الحواس بعضها ببعض في صور جميلة يشعر المتأمل بتلك الملكة الشعرية، وتلك النظرة المتأملة، يقول في قصيدة (خلجات في هيكل الحب)[1]:

خلجات في هيكل الحب أتلو	ها على مزهر يغني شجوني
للصباح الطروب للجدول المنـ	ـساب للفجر للندى للغصون
للقلوب التي تسامى بها الحـ	ـب إلى أن غدت مروج فنوني

فالشاعر جعل للحب هيكلاً، وهي صورة معنوية بصرية، ومن ثم قام بتلاوة تلك الخلجات على مزهرٍ، وقد جعل له آذان تسمع، وهذا المزهر يغني شجون الشاعر، وهي صورة سمعية ممزوجة، و لم يكتف المزهر بغناء الشجون وإنما غنى للصباح الذي أصبح طروباً بغناء المزهر، كذلك لجدول الماء الذي ينساب ويتحرك لسماع الغناء، وكذلك للفجر والندى والغصون، وهو يغني أيضا لتلك القلوب التي لها آذان واعية تسمع شجون الشاعر، وفي هذه الأبيات الثلاثة ، مزج الشاعر الصورة البصرية بالسمعية، ومزج كذلك الصورة السمعية بصور سمعية كثيرة.

---

(١)أغاريد من الخليج، ص٤٨.

ثانياً: الصورة المعنوية:

والمقصود بها هنا ذلك الجانب الذي يدرك بالعقل من الصورة الفنية وهو الجزء المعنوي الذي نتفهمه بعقولنا، ولا يمكن أن ندركه بأحاسيسنا، لأنه لا يقع تحت البصر أو السمع، وليس له جسم فيلمس، وليس له رائحة فيشم، وهو بذلك يكون مقابلاً للمادة المحسوسة [١].

وعبد القاهر الجرجاني أشار إلى أهمية تشبيه المعقول بالمحسوس، والأثر الذي يتركه في النفس، كونه ينقلها من العقل إلى الإحساس [٢]. ومن المؤكد أن الجانب العقلي أقل استعمالاً من الجانب الحسي، وخاصة عند الشعراء، لأن عماد التصوير، وأغلب وسائل التصوير التشبيه والاستعارة، وكل منهما يقوم على طرفين؛ وهذان الطرفان لا يخرجان عن الحس أو العقل، فأما تشبيه المحسوس بالمحسوس فهو شائع، وأما تشبيه المحسوس بالمعقول فمستقبح [٣] وأما تشبيه المعقول بالمعقول فهو قليل نادر، وبقي تشبيه المعقول بالمحسوس، وهو الذي تتوافر فيه صفة نقل النفس من الخفي إلى الجلي وبناء على هذا التقسيم نجد أن وجوه استعمال المحسوس أكثر من وجوه استعمال المعقول [٤]. ولم أجد في شعر آل ملا تشبيه المحسوس بالمعقول وهذا أمر طبيعي، لأن الصورة التي يشبه فيها المحسوس بالمعقول لا تحقق قوة المعنى، لأنها تنقل المتلقي مما يعلمه

---

(١) الصورة الفنية في الشعر العربي مثالاً ونقدا، إبراهيم عبد الرحمن الغنيم، ص١٢١، الناشر الشركة العربية للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٤١٦هـ.

(٢) أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني، ص١٠٢.

(٣)الصورة الفنية في الشعر العربي مثالاً ونقدا، إبراهيم عبد الرحمن الغنيم، ص١٢١.

(٤)المرجع السابق، ص١٢١، وانظر الإيضاح للقزويني، ٣٣٥/٢. الخطيب القزويني عناية محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط٥، ١٤٠٣هـ

بإحساسه إلى ما يدركه بعقله، ولا ريب أن ذلك نقل من الأوضح إلى الأغمض كما أشار، ويؤكد ذلك قول حازم القرطاجني: (محاكاة المحسوس بغير المحسوس قبيحة) [1].ويكثر عند الشاعر آل ملا تصوير المعقول بالمحسوس والشواهد التي جاءت في ديوان الشاعر في هذا المبحث كثيرة، منها قوله في (وجوه ومرايا) [2].

يقول وكف الحزن تعصر قلبه   يسائل مسعوداً وفضلاً وماجدا

فعندما نتأمل العبارة (وكف الحزن) هل للحزن كف؟ حيث صور الشاعر الحزن وهو أمر معنوي بالرجل الذي له كف، وهنا أضفى الشاعر على الحزن صفة القسوة تأكيداً للأثر الشديد الذي كان عليه في حزنه، ويقول في الحكمة [3]:

أرى العقل مثل الماء من لون جامه   ومقداره الشكل منه تحددا

فالشاعر صور العقل وهو شيء معنوي غير محسوس بالماء الذي داخل الإناء، والذي من خلاله يتحدد مقدار الماء وحجمه وشكله، وشبه العقل وهو أمر معنوي بالماء، وهو أمر حسي من قبيل الحكمة وتقريب مقدار عقول الناس، أنهم ليسو على قدرٍ من التفكير والرزانة وإنما تختلف عقولهم كما يختلف حجم الإناء الذي يوضع فيه الماء ويقول [4]:

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني، ص١١٢.

(٢) وجوه ومرايا ، ص١٥.

(٣)وجوه ومرايا ، ص٦٥.

(٤)المرجع السابق، ص٦٨.

يعـيش إذا نـاخ[1] الـزمان بجـده وحيداً وإن في الناس ظل مشاهداً

فالزمان هنا ناخ، والذي يتصف بذلك الإبل، ولكن الشاعر صور الزمان - وهو أمر معنوي غير محسوس - بالإبل التي تنوخ للجلوس، وهو أمر محسوس، وهذا التصوير لتقريب فكرة دوران الساعة الذي لا يتوقف، وأن الزمان سريعاً ما ينتهي بصاحبه وهو لا يشعر. وكثيراً ما يصور الشاعر المعنوي بالحسي للحكمة أو لتقريب بعض المفاهيم والقيم التي تركها الناس وأبناء المجتمع، يقول [2]:

ومن مضحكات الدهر قوم تصافحت بأنفسهم أيدي الفضيلة والردى

فالشاعر أضحك الدهر، والدهر أمر معنوي غير محسوس، وجعله يصور الإنسان الذي يضحك، وهنا صور الشاعر الدهر وهو شيء معنوي بالرجل الضاحك وهو شيء محسوس لتقريب الفكرة للسامع،وعلى سبيل الاستغراب. وفي مأساة تلك الفتاة العذراء التي تمتعت بالطهر والعفاف يقول [3]:

تتراقص الأحلام حول جفونها في الغد في المستقبل النشوان

فالأحلام أمر معنوي تشبه الفتاة التي تتراقص وهي شيء محسوس، وهنا صور الشاعر الأحلام بالفتاة التي ترقص. محاولاً إبراز ملامح البراءة والطهر الذي تتمع به الفتاة، وأنها لا تتجاوز حدود المعقول.

---

(١) تنوخ الجمل الناقة، أبركها للسقاء والضراب كأناخها ليركبها، فاستناخت، بركت ، و نوخها فنوخت، واستناخ الفحل الناقة وتنوخها: أبركها ثم ضربها أو النوخة: الإقامة والمُناخ بالضم: مبرك الإبل، وهو الموضع الذي تناخ فيه الإبل، انظر تاج العروس من جوهر القاموس، مادة:(نوخ). ج٢ ،ص٢٨١.

(٢) وجوه ومرايا، ص٧١.

(٣)أغاريد من الخليج، ص٥٦.

والشاعر في تسجيل مواقف عبد العزيز البابطين، يقول في قصيدة (تحية)[1]:

فتصوغ في دنيا القريط روائعا   يشدو بها ثغر الزمان تظرفا

فالزمان يشدو بتلك الروائع والزمان شيء معنوي وهو يصور الإنسان الذي يشدو من خلاله ثغره، وتصوير المعنوي وهو الزمان بالحسي بغرض بيان القيمة العالية، التي تميز الممدوح وهو عبد العزيز البابطين، والذي عرف في أقطاب المعمورة ،حتى أن الزمان أخذ يشدو بالقصائد التي كان للشاعر البابطين دور في ظهورها.والشاعر دائماً متفائل، وسبق أن بينا ذلك في الفصل الأول من خلال عرض الشواهد، ومن خلال تأكيد الشاعر نفسه لذلك في إحدى اللقاءات السابقة معه. يقول في قصيدة (البوسنة في محنة الصراع) [2]:

بهداكم تشرق الشمس على   صبح هذا الأمل المبتسم

فالشاعر جعل للأمل ابتسامة على سبيل التخييل، وهذا التخيل يعطي القارئ أملاً في حياة جديدة للعالم الإسلامي مليئة بالاستقرار والأمان. وهناك الكثير من الصور المعنوية التي ساقها الشاعر ولكنها تظل قليلة إذا ما قورنت بالصور الحسية.

---

(١)أغاريد من الخليج ، ص٨٤.

(٢)أغاريد من الخليج ، ص١٤٥.

الخيـــــال :

عـرف العـرب الكـثير مـن ألـوان الخـيـال، عـرفوا الخـيـال الـذي يبتكـر الشخـصيات الـتي لا وجـود لهـا، وينـسب إليها ما شاء من الأقوال والأفعال، كما بـدا واضحاً في المقامـات منذ أجادها بديع الزمان الهمذاني، كما عرفوا الخيال الـذي ينطق الحـيوانات ويجـري علـى ألـسنتها مـا يجـري علـى ألـسنة العقـلاء مـن الـناس، وتجعلـها تتـصرف كمـا يتـصرف هـؤلاء العقـلاء، كمـا عـرفوا الخـيال المغـرق الـذي لا يكـاد يعـرف حـدوداً، كمـا في حكايات ألف ليلة وليلة ، وقصة عنترة وغيرها ،من القصص الشعبية [1] .

والخـيال ملكـة قـادرة علـى توليد الـصورة وتأليفها، وهذه الملكة تعمل في حقـل واسـع تنتقـي وتحلـل وتـركب، فمـيدانها يمـتد علـى مـساحة الذاكـرة الإنـسانية بمـا تختـزنه مـن مـدركات حـسية، وانطـباعات وجدانـية وتجـارب حياتية، وفضاؤها رحب. والـشاعر حـين يـريد أن يعبر عـن عاطفـة أو فكـرة ،أو يـنقل إحـساساً معيـناً، أو يجـسد تجـربة؛ يـشعر أن الكلمـات بطاقـتها الدلالـية محـدودة المعنـى، خـصوصاً تلـك الـتي اصـطلح الـناس عليها وتداولـوا معانـيها، أو الـتي حددتها المعاجم والقواميس ،عندها يشعر أنه لابد من إبداع الصورة القادرة علـى تـشكيل الموقـف، وهـذه الـصورة ليـست أمـشاجاً متباينة ولا عناصـر سـهلة التأليف، بل هـي شبكة من العلاقات التي تمتلك القدرة على تفجير الكامن في تـاريخ الكلمـة وتداعـياتها ومـتآزرة مـع غيرهـا في دلالـة كلـية توصـي بهـا الـصورة،ولو عمدنا إلى صورة قريبة بسيطة كقولنا "رأسي يغلي كالقدر" تعبيراً

---

(١) انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص ٥٠٩. أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

عن صداع حاد، وقارناها بالقول "رأسي يؤلمني" لوجدنا أن التعبير لا يكشف عن خصوصية الألم ،لكنك تستطيع أن تتخيل وجود موقد نار مشتعلة فوقها مرجل ممتلئ بالماء الذي يغلي داخل الرأس ، وهذه الطريقة تنقل لك إحساساً مجسماً في صورة مؤلفة من عناصر نسجها الخيال على هذه النحو، فأقام علاقات بين الحجارة والحطب ،والنار والقدر والماء، فلو استخدم كل عنصر على حده ما دل على الإحساس. هذه صورة بسيطة ، القصد من ورائها توضيح معنى الخيال.[1]

وهناك صلة بين الخيال والعقل يوضحها ابن عربي قائلاً : (إن الخيال لا يخطئ أبداً، ذلك لأن الخيال إذا أدرك شيئاً فإنما يدركه بنفاذه وإشراقه ، والإشراق لا يخطئ في كشفه عن الأشياء. وإذا كان هناك خطأ ، فلابد أن يكون لسبب آخر، إذ الخطأ وليد الحكم، والخيال لا يصدر حكماً. بل هو نور يكشف ستار الظلمة الذي يحجب الأشياء؛ وهنا يجب أن ينسب الخطأ إلى القوة التي تصدر الحكم، وهي العقل، وإذا كان الحكم لغير الخيال، فإنه ليس صحيحاً أن ينسب الخطأ، أو الفساد إليه. فالأولى أن يقال: أخطأ العقل في فهم ما كشف الخيال عنه).[2]

والإنسان يرى بعين الخيال ما لا يراه بعين الحس كما قال تعالى : { وَإِذْ

---

(١)في النقد الأدبي الحديث مدارسه ومناهجه وقضاياه ودراسات نقدية تطبيقية ، د. محمد صالح الشطي، ص ٣٣٣، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، ط٣ ، ١٤٢٦هـ . بتصرف.

(٢) الخيال في مذهب محيي الدين بن عربي ، ص ٩ -١٠ ، د. محمود قاسم ، مطبعة سجل العرب ، القاهرة ،(د.ط)،١٩٦٩م ، وانظر : شعر المكفوفين في العصر العباسي د. عدنان عبيد العلي، ، ص ٣٥٨.

يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ } [1]، وقال تعالى: [يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ] [2]مع أنهم لم يكونوا مثلهم في الحس، فلو لم ترهم بعين الخيال لكان ما رأيت من العدد كذباً، وإذا كان الذي أدرك ذلك أدركه بعين الخيال كانت الكثرة في القليل حقاً، والقلة في الكثرة حقاً، لأنه حق في الخيال، وليس بحق في الحس.[3]

والصور التي يؤلفها الخيال درجات ، فمنها التي درجنا على دراستها في البلاغة العربية القديمة، وتنهض على المماثلة أو المشابهة وتتكئ على عناصر محددة أهمها ركنان: المشبه والمشبه به ، وعلاقة المماثلة علاقة سطحية سواء تلك التي تكون في المجال البصري أو السمعي أو الشمي، لا تتضح فيها القدرة الإبداعية، وعلى الرغم من التفريعات والتصنيفات المتشعبة التي دأب البلاغيون على حشدها في كتب البلاغة، فإن الصور تظل قريبة الإدراك تهتم بالجانب التوضيحي المحض، وإن كان بعض الصور خصوصاً تلك القائمة على الاستعارة البعيدة التي تنهض على علاقات تحتاج إلى شيء من الذهن فقد بدأت تظهر في تراثنا الشعري بعد أن احتك العقل العربي بنتاج عقول العباقرة من أبناء الأمم الأخرى، وخصوصاً لدى مدرسة البديع التي عرف على رأسها أبو تمام ، ولا يقتصر مفهوم الخيال على تلك الملكة التي تنتج الصور الأدبية، بل ظهرت فلسفات ومدارس عديدة لها في تفسير الخيال مذاهب شتى ، والمفهوم النقدي للخيال يتجاوز المفهوم البلاغي ، إذ تطلق كلمة الخيال على عملية الإبداع

---

(١)الأنفال: الآيه٤٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣.

(٣) الخيال في مذهب محيي الدين بن عربي ، ص ١٣.

برمتها سواء في الشعر أو الفنون الأخرى،وبذلك: الخيال يعني طاقة الكشف والابتكار والإبداع ، ولم يعد يقف عند تخوم الصور الجزئية.[1]

ونقاد العرب يرون الكلام المشتمل على الخيال أروع وأشد تأثيراً في النفس من الكلام الذي يكون حقيقة ، ولهذا دار على ألسنتهم كثيراً قولهم : (المجاز أبلغ من الحقيقة ، ورأوه أحسن مرتعاً في القلوب والأسماع) [2]، ذلك لأن الكلام المشتمل على الخيال يجعل النفس شديدة الأنس به، سريعة إلى التأثر بصوره، وخذ لذلك قولك لمتحير : أراك تقدم رجلاً، وتؤخر أخرى، فأنت بذلك توجب له الصورة التي يقطع معها بالتحير والتردد، لأنك إذا رأيت رجلاً على هذه الحال قطعت بتردده . فإذا خاطبت متردداً بذلك كان أبلغ لا محالة من أن تجري على الظاهر قولك : أنت متردد في أمرك[3].

والخيال عند آل ملا يبهر من يتأمل به، ولننظر إلى الخيال الرحب في قصيدة (الشاعر والقمر) عندما يشبه القمر بالطفل :

مازلت طفلاً باسماً بالرؤى   حتى يتم البدرُ إذ تكبر

فالشاعر يجنح للخيال ، وهذا الخيال جعله ينظر للقمر في بداية الشهر كالطفل المولود، وهنا قرابة بين القمر والطفل؛ فالقمر يتمتع بالجمال والبراءة والصفاء، خصوصاً في بداية كل شهر، وهو كذلك الطفل في جماله وبراءته وصفائه، وهو عندما خاطب القمر بقوله: ما زلت طفلاً يعني بداية ظهوره ، وهما كذلك يتفقان بالابتسامة البريئة، والشاعر أوقف هذه الصفات على القمر

---

(١) في النقد الأدبي الحديث ، د. محمد صالح ا لشطي ، ص ٣٣٣ -٣٣٤.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ابن رشيق، ج١،ص ٢٦٦.

(٣) دلائل الإعجاز ، ص ٥٥ -٥٨ ، وانظر : أسس النقد الأدبي عند العرب ، أحمد بدوي، ص ٥١٠..

حتى يكبر ويكتمل في وسط الشهر.

وللخيال أسباب وعوامل لا يرتقي إلا عليها، ولا يخصب إلا بها، **أولها**: قوة العاطفة وصدقها، وهي التي تهب للخيال الطاقة في اكتشاف الصور والمشاركة الوجدانية للطبيعة، وإنه لتقاس قوة الخيال بقدرته على التعبير عن هذه العاطفة في صدق وجمال [1] **وثانيها**: الحرية حيث يشترط بعض النقاد لانطلاق الخيال وتأثيره في جمال الفنون، فالاستبداد والظلم والكبت والخجل كل أولئك حري بأن يوصد أبواب الأدب، ويحول بينه وبين بروز الشعراء وأقلامهم. وثالثها : كثرة المكتسبات الحسية والذهنية وغزارتها ، ولن يتخيل الإنسان شيئاً من العدم مطلقاً، وللخيال عناصر ومواد يعتمد عليها الشاعر في إبداعه، وهي الخبرات والمعارف وسائر المكتسبات من المسموعات والمحسوسات، ومهمة الشاعر أن يحلل ويركب ويقدم ويؤخر وغير ذلك. [2]

والخيال عند الشاعر عبد الرحمن آل ملا حاضر، خصوصاً وأنه فقد البصر في الخامسة من عمره، أي في سن مبكرة، ومع ذلك فإن الألوان مخزونة في ذهنه، وهو عندما يتخيل وصف بستان يكون حاضراً في ذهنه، وفي نظر الكفيف أن البصر إذا فقد لا تتعطل وسيلة الاتصال بالعالم، بعكس السمع إذا فقد تعطلت وسيلة الاتصال بالعالم[3]، وتظل الصورة مخزونة في عقل الشاعر الذي فقد بصره بعد حين، وكذلك القدرة على تأليف الصور، فهو لا

---

(١)الخيال والتصوير في شعر المكفوفين من الجاهلية إلى نهاية العصر العباسي،د. محمد بن أحمد الدوغان، ص ١٠ -١١.

(٢) المرجع السابق ، ص ١١.

(٣) أحد اللقاءات مع الشاعر في ذي القعدة ١٤٢٧هـ.

يختلف عن غيره من الشعراء المبصرين [1]،ومع تأكيد هذه الفكرة إلا أن كثيراً من النقاد ينبهرون من شاعر كفيف عندما يبدع في خياله، أو في وصف شيء،ومن الأمثلة على ذلك صورة المعركة وما فيها من السيوف والرماح والغبار ،فالشاعر الذي ولد مبصرا ثم فقد بصره فيما بعد يعرف صورة السيف والرمح وكيف يتعانقان،وكذلك ما يحدثانه من صوت،وأن السيف ينزل كالصاعقة من يد صاحبه على العدو، وكذلك صورة الرمح عندما يشق طريقه للعدو إما من أمامه أو من خلفه، وهذه صور على سبيل المثال حاضرة في ذهن الشاعر الكفيف، وهو يختلف كما ذكرنا سابقاً عن الشاعر الذي يولد أعمى، ومع ذلك نجد أن بعض الشعراء ولدوا أكفاء إلا أنهم أبهروا النقاد في سعة خيالهم، ومن هؤلاء بشار بن برد الذي يقول [2] :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[3]

ولنتساءل كيف استطاع الشاعر بشار بن برد أن يصف صورة المعركة وهو لم ير النور قط، ولا السيف،ولا الكواكب كذلك، نجيب أن هذه القدرة ومما لا شك فيه قد استوحاها بشار من مخزونه الثقافي .

وعند الحديث مع الشاعر آل ملا عن مصدر الخيال في شعره ،أكد أن الشاعر الكفيف نوعان،أولهما:يولد فاقد البصر؛وهذا النوع من الشعراء،يعتمد في خياله على مخزونه الثقافي، وعلى الاستعانة بالغير للتعرف على الصورة،

---

(١) الخيال والتصوير في شعر المكفوفين ، ص ٧.

(٢) هو مولى بني عقيل ويقال مولى لبني سدود، ويكنى أبا معاذ، ويلقب المرعث، والمرعث الذي جعل في أذنيه الرعاث وهي القرطة، ويرمى بالزندقة ، وكان بشار هجا المهدي وذكر شغفه بالشراب واللهو، فأمر به فقتل تغريقاً في الماء، انظر : الشعر والشعراء: ابن قتيبة ، ص ٥١٦.

(٣) ديوان بشار بن برد، إحسان عباس،ص١٠٦.

وثانيهما : الكفيف الذي فقد البصر بعد حين فهو يعتمد في خياله على ما بقي في ذهنه قبل أن يفقد البصر، ويضرب لذلك مثلاً اللون الأحمر يعرف أنه أحمر،وعندما يذكر اللون الوردي يعرف هذا اللون وهكذا، وعندما يتذكر السماء يعرف بأنها زرقاء،ويعتمد في خياله كذلك على ثقافته العامة من أدب وشعر وقراءة وغير ذلك. ويعتمد في خياله أيضاً على الإبداع والتصوير وتأليف هذه الصورة أو تلك، وإبرازها في صورة متكاملة، وهو بذلك لا يختلف عن المبصر في شيء إلا أن المبصر حاضر المشاهدة للشيء، وأما الشاعر الكفيف يستعين بالخيال أكثر في تأليف صورة.[١]

والشاعر يسبح في خيالٍ يبهر من يتأمل به ، وقصيدة (الشاعر والقمر) وما بها من خيالٍ خصب تختلف عن تلك النظرة العلمية للقمر، ونحن نعرف أن العالم استطاع أن يغزوَ القمر ، وهو كوكب مكون من عناصر مثل الأرض ، وهذا الغزو العلمي يعالج القمر معالجة علمية، هل فيه ماء؟ أو جبال، أو أودية، أو مجرد قطعة تسبح في الفضاء جامدة لا حياة فيها ولا حركة، وأنه مظلم ، ويستمد نوره من الشمس، وهذه النظرة العلمية تختلف عن النظرة الأدبية ، وهي ليست نظرة مادية محضة أو نظرة علمية، ولكنها نظرة أدبية جعلت من القمر شيئا ساحراً ،بل هو السحر بجماله وما به من فتنة وأوصاف لا تليق إلا به ، يقول الشاعر عبدالرحمن آل ملا[٢] :

أنــت لعمــري الــسِّحر والــساحر   بــرغم مــا قالــوا ومــا قــدروا

ويقول :

---

(١) أحد اللقاءات مع الشاعر في شوال ١٤٢٧هـ.

(٢) أغاريد من الخليج : ص ٣٥.

في موجها الفضي ثار الهوى — لحناً وغناه لك السامر

ويقول[1] :

ميلادك الشهري عيد به — تزدهر الآمال والأعصر

وهذه الولادة للقمر تجعل الآمال تعود مجددا ، ويلبس الناس حلة التفاؤل من جديد ، وهذا تأكيد لشخصية الشاعر المتفائلة.

وعندما يعبر الشاعر آل ملا عن موقف يغمره بالسرور يصبح الكلام إنسانا مأسوراً من الفرحة ، يقول في قصيدة (فواز)[2] :

يقف البيان مكبلاً وأسيراً — في غمرة الفرح الأجل حبورا

فالشاعر يشبه البيان بالإنسان على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصية ، وجاء بما يدل على حذف المشبه به وهو الإنسان بأوصاف مثل(يقف، مكبلاً وأسيراً) .

ويقول الشاعر في قصيدة (أحلى النغم)[3] :

اذكريني عندما يأتي المسا — ويطل البدر من خلف التلال

اذكريني عندما تبدو السما — مثل عينيك صفاءً وجمال

اذكري أيام كنا يا سعاد — ننسج الأحلام من ضوء القمر

وفي هذه القصيدة يستعين الشاعر بخياله في وصف الطبيعة ، وهو يتذكر اللقاءات والمشاعر، وهو يمازج بين هذه المحبوبة وبين الطبيعة،وإذا كان الشعراء القدماء يستحضرون صورة من يحبون من خلال الوقوف على الأطلال

---

(١)أغاريد من الخليج: ص ٣٥.

(٢)أغاريد من الخليج: ص ٢٤.

(٣)أغاريد من الخليج: ص ٣٧.

والرحلة وما بها من عناء، وركوب المطي، فالشاعر آل ملا استحضر بدلا من هذه الصور، وحاول استشعار عاطفة محبوبته من خلال الطبيعة، وهو يذكرها بتلك الأيام، من خلال عنصر الزمان وهو المساء ، ومن خلال عنصر المكان وهو الطبيعة الفسيحة الواسعة،حيث كانا يقضيان أوقاتاً جميلة عند اكتمال البدر، ونلاحظ مدى التشابه بين وجه الحبيبة والبدر،وهذا البدر الجميل يراقب عواطفهما وحركاتهما وسكناتهما ، وهو رقيب جميل.

والشاعر بين حينٍ وآخر يستخدم بعض الجمل في لغة المكفوفين نحو قوله: (ننسج الأحلام من ضوء القمر).

ويقول[1] :

سل الحضارة من أذكى مشاعلها وهل تسامى بها لولاه بنيان

والشاعر شبه الحضارة بالإنسان، فحذف المشبه به وأبقى شيئا من صفاته (يسأل) على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصية ،كما شبه الشاعر الحضارة بالمنارة فحذف المشبه به وأبقى شيئا من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية.

وللشاعر خيال خاص به يظهر من خلال لغته الخاصة، سواء في بعض الأبيات كما ذكرنا سابقاً ،أو في مسميات هذه القصائد ، يقول في قصيدة (زورق الأحلام) وهذا العنوان في لغة المكفوفين ، وهي خاصة بالشاعر[2] :

لا تسلني أي سكرة لم تكن نشوة خمرة

إنها قصة خودٍ أضرمت في القلب جمرة

---

(١) أغاريد من الخليج : ص ٣٣.

(٢)أغاريد من الخليج: ص٤٠ .

والمتأمل في بعض أبيات هذه القصيدة يجدها بلغة المكفوف ، وهو خيال يخص الشاعر أو من يفقد بصره ،يقول[1] :

مـــذ تـــركنا زورق الأحــــ ــــلام في بحــــر الخــــيال
يــــــتهادى بــــــشراع إلــــــ ــحــــب خفــــاق الظــــلال
باحـــثاً عـــن شـــاطئ الغـــا يـــة مـــن دنـــيا المـــسرة

فالعبارات – زورق الأحلام – بحر الخيال – شراع الحب – شاطئ الغاية، وجميع هذه العبارات خاصة بقاموس الشاعر، وخيال خاص به ، تعبر عن الظلام الذي يعيشه، خصوصاً عندما يعبر عن نفسه بأنه في سكرة ، وهذه السكرة ليست بسبب الخمرة،بل إنها قصة عاشها الشاعر؛ أبحر بها خياله باحثا عن شاطئ النجاة الذي يقوده إلى الدنيا السعيدة.

وتظهر هذه اللغة الخاصة بالشاعر عندما يمزجها بتلك الاستعارات التي تزيد من قوة شعره ، وتذهب به إلى مصاف الشعراء الكبار يقول[2] :

مجاهدُ دأبه قهر الظلام ومن كفاحه نسجت للجهل أكفان

فعبارة – قهر الظلام – تحاكي الواقع الذي يعيشه ويتغلب عليه ، وهو الذي قهر الظلام، وهذا الظلام رجل يقهر على سبيل الاستعارة، وكذلك قوله: (نسجت للجهل أكفان) حيث جعل الجهل كالرجل الميت الذي تعد له الأكفان ، على سبيل الاستعارة المكنية. وهذه من الصور الجميلة التي أجاد الشاعر رسمها.

---

(١) أغاريد من الخليج : ص ٤١.

(٢)أغاريد من الخليج ، ص ٣٢.

الرمــز :

الرمز في اللغة هو تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، إنما هو إشارة بالشفتين ، وقيل : (الرمز إشارة وإيحاء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم) [1]. يقول الله تبارك وتعالى : [أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلا رَمْزا } [2]، والمعاني اللغوية للفظة الرمز تلتقي مع التعريفات في معاجم الأدب العربي[3]: (رمز: كل إشارة أو علامة محسوسة تذكر بشيء غير حاضر، من ذلك ، العَلَم : رمز للوطن، والكلب : رمز للوفاء ، والحمامة البيضاء رمز للبراءة ، والهلال رمز للإسلام ، والصليب رمز للمسيحية.[4]

وابن رشيق أشار إلى الرمز في المصطلحات البلاغية والنقدية ، حيث جعله من أنواع الإشارة، وألمح إلى تباعده في الخفاء ، ونأيه عن الإدراك، ويقول ابن رشيق: إن أصل الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم، وأن من أنواعها الرمز كقول أحد القدماء يصف امرأة قتل زوجها وسبيت :

عقلت لها من زوجها عدد الحصى   مع الصبح أو مع جنح كل أصيل

ويقصد من ذلك أني لم أعطها عقلاً ولا قوداً بزوجها، إلا الهم الذي يدعوها إلى عد الحصى[5].

---

(١) لسان العرب : ابن منظور مادة (رمز).

(٢)] سورة آل عمران، الآية ٤١.

(٣) الرمز في الشعر السعودي: د. مسعد بن عيد العطوي، ص ٢٥ ،مكتبة التوبة، الرياض ، ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

(٤) المعجم الأدبي : جبور عبد النور ، ص ١٢٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت. (د.ط)، (ت.ب).

(٥) العمدة : ابن رشيق ، ج١ ، ص ٣٠٥ -٣٠٦.

وعرف الدكتور محمد غنيمي هلال الرمز: (أنه الإيحاء، أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالاتها الوضعية . والرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح.) [1]

ويعرف الدكتور عبد الكريم اليافي الرمزية بأنها : (أسلوب من أساليب التعبير لا يقابل المعنى ولا الحقيقة وجهاً لوجه) [2] ، وهذا التعريف فيه شمولية أو نظرة عامة، وله القدرة على استيعاب التصورات الغربية غير المغالية للرمز ويلتقي مع المفاهيم العربية له أيضاً، التي توصي بأن أساليب المبدعين من الشعراء تنتظم في الرمز إذا كانت لا تواجه الفكرة مباشرة ، وإنما تخاطبها من وراء حجاب. [3] .

والرمز هو استدعاء مضمون عام مؤثر بتوظيف الآيات القرآنية أو الحديث الشريف بالتناص من اقتباس وتضمين وإشارة أو توظيف التراث والأساطير، أو هو استكناه ذات الشاعر، وسبر غوره الشعوري وغير الشعوري من شعره ، فالشعر يرمز إليها؛ ووسيلة ذلك الاستنتاج من الموجات اللفظية والدلائل السياقية، أو النبضات الموسيقية. والرمز يوظف المشابهة بالفرد أو الأشياء الذاتية أو الصور الكلية، كمن يرمز للمرأة بالنخلة أو الزهرة ، أو يرمز بالمحسوس المعنوي كمن يرى في المساء دنو الأجل، أو نهاية الأشياء ، ومن يرمز بالخريف للذبول والضعف ، أو يرمز بالحياة الفردية للحياة

---

(١) الأدب المقارن : د. محمد غنيمي هلال ، ص ٣٩٨.

(٢) دراسة فنية في الأدب العربي : عبد الكريم اليافي ، دون دار نشر، ص ٢٧١ ، ط١ ، ١٣٨٢هـ.

(٣) الرمز في الشعر السعودي ، د. مسعد العطوي، ص٢٩ -٣٠.

الاجتماعية كما يتضح في القصائد المطولة أو القصص.[1]

والرمز في شعر عبد الرحمن آل ملا قليل كما ذكرنا سابقاً ، ولكنه يتميز في إظهار ذلك الرمز بصورة ترسم لنا أوصافاً ، وتزين للقارئ ألواناً من الجمال والتفوق، خصوصاً عندما يكتسي الرمز القصيدة بأكملها، يقول[2] :

كلفتُ وما يوماً بغيرك أكلف	وقد أشرقت في النفس منك لطائف
شرود جمالٍ لم أجد لجمالكِ	نظيراً فحارت في سناك المعارف
تكامل فيك الحسن شكلاً ومحتوى	فأنتِ كأنتِ هالة لا تعرف

فعندما نقرأ هذه الأبيات نجد أوصافاً لتلك المرأة الجميلة ، وقد تكلف الشاعر بحبها ، وبالإعجاب بها ، وظهرت في النفس من هذه الحسناء اللطائف، وهذه الحسناء لم يجد الشاعر لجمالها نظيراً ، والذي حارت في وصفه المعارف، وهي التي تكامل الحسن فيها شكلاً ومحتوى، وهي الشيء الذي يطغى على النور من جماله وحسنه؛ وهذه المرأة التي وصفها الشاعر هي في الحقيقة الإنسانية،فالشاعر يرمز إلى الإنسانية التي عشقها في المرأة ، والقصيدة كلها رمز للإنسانية التي تعلق بها وعشقها وكأنها امرأة حسناء جميلة. وربما تكون رمزا للوطن ولأرض بلاده. يقول في نفس القصيدة :[3]

فإن قيل مدحاً في سواكِ فإنما	إلى وصفه من بعض وصفك يصرف
سموت على كل النعوت فلم أجد	لنعتك إلا أن باسمك اهتف
تمس فؤادي عند ذكراك نشوة	فترتعد الأوصال مني وترجف

---

(١)الرمز في الشعر السعودي ، د. مسعد العطوي ، ص ٣٢.

(٢) أغاريد من الخليج : ص ٢٠.

(٣) أغاريد من الخليج : ص ٢٠.

والألفاظ السابقة تخاطب امرأة جميلة تعلق بها الشاعر، ولكن هذا التعلق يخرج عن حدود الواقع الذي ارتسمه الشاعر، فهو بمجرد ذكرها يرتجف وترتعد أوصاله، وكأنه متيم بها، وهذه الرجفة دليل على الحب الذي قدمه الشاعر للإنسانية، يقول كذلك في نفس القصيدة [1] :

لقد صرت يا معناي روضاً ومنهلاً	وسفراً أنا فيه رسوم وأحرف
لك في بديع الكون لمسة مبدعٍ	وبين حنايا الحور شعرُ ومعزف
إذا كان طيب العيش للناس غاية	فإن ثنائي فيك أسمى وأشرف
وسعتُ بك الأفلاك حباً وبهجة	وصرتُ بك الضوء الذي هو أكشف

وجميع أبيات هذه القصيدة أوصاف رسمها الشاعر للإنسانية، ولولا عنوان القصيدة (الإنسانية كما عشقتها) لم يبد للقارئ أنه يقصد الإنسانية ، وهذه الإنسانية التي يقصدها الشاعر هي محبة الناس بعضهم بعضاً، وتبادل هذه المحبة حتى تصبح ظلاً لهم ، يحميهم من الكراهية والضغينة.

ويستخدم الشاعر اسم جان دارك تلك البطلة الفرنسية[2] التي قضت من أجل تحرير الشعب الفرنسي من مخالب الاستعمار، يقول في مسرحية جان دارك في المحكمة ، وقد انعقدت بحضور القضاة والمتهمة والمدعي العام ومحامي الدفاع والشهود، وعدد من المتفرجين .

القاضي[3]

ما اسمك يا هذي؟ وما حدا بكم بأن تبثوا الرعب في أسيادكم؟

(١)أغاريد من الخليج، ص ٢١.

(٢) سبق التعريف بها في فصل الشعر المسرحي.

(٣) أغاريد من الخليج : ص ١٨٨.

سعاد :

اسمـي سُعاد ويقـول بعـضكــــم   عـني "جـان دارك" فهـل يـسؤْكم

مـا صنعت جان دارك في أعداكم   حــين أذلــوكم ونكـلــوا بكــم

القاضي:

جان دارك تلك الرمز في كفاحنا   وأنت لا تألين في إرهابنـــا

فالشاعر هنا رمز للبطلة الجزائرية جميلة بو حريد في لفظة سعاد التي أبلت بلاءً حسناً في مقاومة الاستعمار الفرنسي للجزائر، وأصبحت من النساء العربيات القلائل اللاتي شهد لهن التاريخ بالبطولة والجهاد والتضحية من أجل تحرير الأرض من براثن المحتل.

ويقول كذلك(١) :

وقريش في غمرة الشرك سكرى   وعن الحق صدها الكبرياء

فكلمة (سكرى) رمز بها للغفلة التي كانت عليها قريش،ولم يقصد بها الشاعر السُكْر الحقيقي وهو شرب الخمر.

ويقول كذلك(٢) :

ودخلت أرض الذعر يغريني بها   سحرُ الفضول ولست ممن يجزع

فالشاعر رمز هنا بالذعر للخراب ، فهو يريد أرضا خربة .

واستخدام الشاعر كلمة العلج التي رمز بها إلى الصهاينة الذين عثوا في

---

(١)أغاريد من الخليج، ص ١٦.

(٢) أغاريد من الخليج ، ص ٩٩.

أراضي المسلمين الفساد، وسعوا فيها للخراب يقول[1] :

والعُلــــجُ في كـــل بـــيتٍ   يـــسعون نهـــباً وحـــرقاً

ويقول[2] :

ويوقظ قوماً عشَشَتْ في نفوسهم   أفاعي الأنا فاستدبروا سبل الهدى

فشبّ أتون الخُلف بين صقورهم   فصاروا بغاثاً تحتمي بلظى العدا

فتعبير (أفاعي الأنا) رمز به للمستكبرين من القوم، أو المتعالين على غيرهم من الناس، وكلمة (بغاثاً) [3] رمز بها الشاعر للإنسان الضعيف، الذي يحتمي بمن هو أقوى منه، وليس له حول ولا قوة.

ويقول[4] :

يـــنام قريـــر العـــين ريـــان مـــتخماً   وفي حيه من يشتكي الجوع مجهدا

فتعبير (قرير العين) رمز به للإنسان المطمئن المرتاح، الذي لا يوجد لديه ما يسوؤه ويكدر صفوه ، ويبعد النوم عنه.

واستخدام كلمة (طواش) وهي كلمة غير عربية الأصل يرمز بها للتاجر الذي يبيع ويشتري اللؤلؤ من الغواصة مباشرة ،يقول[5] :

ولا يعـرف الأحـرار غـير لـداتهم   وهـل مثل طواش يسوم الخرائدا؟

ونلاحظ جلياً في شعر آل ملا استخدام الأسماء التي يرمز بها للمحبوبة

---

(١)أغاريد من الخليج، ص ١٦٣.

(٢) وجوه ومرايا ، ص ٧.

(٣)البغاث: الضعيف من الطير. انظر لسان، ابن منظور، مادة(بغث).ج١،ص٩٦.

(٤) وجوه ومرايا ، ص ٢٤.

(٥) وجوه ومرايا ،ص٢٩.

على عادة شعراء العرب القدامى،وهو بذلك لا يعني محبوبة بعينها،وإنما يرمز بذلك الاسم لمحبوبته أو شخصية أخرى، فاسم سعاد تكرر مراراً،فهي مرة محبوبته التي أحبها وعشقها،وهي مرة أخرى تكون سعاد رمزاً لتلك البطلة الجزائرية جميلة بو حريد التي عرفها،يقول في سعاد التي أحبها[1] :

اذكريني أيام كنا يا سُعاد   نسج الأحلام من ضوء القمر

فهنا يخاطب محبوبته التي سمَّاها سعاد، ويدعوها لتذكره، وهو لا يقصد إنسانة بعينها. ونجده في مواضع أخرى يسميها بأسماء مختلفة،مثل : فاطم[2] و ليلى وخولة[3] .

كما نجد أن الشاعر يرمز إلى التاريخ وشخصياته التي كان لها أثر واضح في تاريخ هذه الأمة والتي تناسب موضوع قصيده ،والتي هي رمز للبطولة ، معتبرها نموذجا يجب أن يحتذى . ففي قصيدة (إلى لاجئة) عندما تعرضت تلك اللاجئة إلى الاعتداء من قبل الصهاينة ، وصرحت باحثة عمن ينقذها من الظلم والاعتداء، فإن الشاعر يذكر بالخليفة العباسي ـ المعتصم بالله ـ كرمز للنخوة العربية الإسلامية، والذي هب لنجدة تلك المرأة التي عندما بلغته صرختها من حصن زبطرة، وامحمداه، وامعتصماه؛ قائلا: لبيك، وقاد جيشا من ساعته وحررها من الأعداء. [4]:

وأصابع الغثيان تخنقها فتصرخ في الوجود

أواه معتصماه أختك مس عفتَها يهـــودي

---

(١) أغاريد من الخليج : ص ٣٧.

(٢)أغاريد من الخليج: ص ٧٨.

(٣)أغاريد من الخليج: ص ٢١.

(٤) أغاريد من الخليج، ص ١١٥.

التجــربة الشعرية:

إن الأحاسـيس والمـشاعر هــي أهــم العناصــر في القـصيدة أو التجــربة الـشعرية، إذ هــي المفـتاح للوصـول إلى مـضمون القـصيدة، ومدى صـدق هــذه التجربة، يـضاف إلى ذلـك العقـل والفكــر، فالعقل هــو الــذي يـشرف علــى الأحاسيس وينظمها، ولولاه لكانت الأحاسيس خليطاً مضطرباً لا تسوده وحدة ولا يسوده نظام، وحقاً إن عـالم العقل يختلط بعالم النفس في التجربة الشعرية، حتـى لا يمكـن التمييـز بيـنهما، كما ينبغـي للـشاعر ألا يخـضع للقـوى العقلـية وحدها، وإلا فقصيدته تفقد الأسـاس الـذي ينبغـي أن تقوم عليه أساس العاطفة والمشاعر الوجدانية. فهو ليس عملا عقليا، وإنما هوعمل نفسي لغته الشعر، أما العقل الخـالص فلغته النثـر، وهـي لغة تتميـز بالمنطق والوضـوح الخـالص، لأنها تعـالج معارفـنا المحـدودة؛ بخـلاف لغـة الـشعر، فإنهـا تعـالج مـشكلة في غايـة التعقيد، وهـي مـشكلة معـرفتنا بالكـون والحياة النفسية [1]. والتجربة الشعرية عـند عـبد الـرحمن آل مـلا فـيض الـوجدان، وتـبدو في مجملـها صـادقة لا تقـترن بالمساومة أو الإغراء. يقول في قصيدة "همسة" [2]:

مهمــا قــسى الطغـيان والأرزاء	لا يــنحني ويــساوم الــشعراء
فهم من الشعب الأصيل ضميره	بوهيجهم دربُ الخلاص يضاء

وهذه القصيدة هي واقع لحياة الشاعر ونفسيته وفكره. ومن خلالها يطرح الشاعر همومه وتجاربه.

---

(١) في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ص١٤٦ -١٥٢، ط٤ ، (د.ت).

(٢) أغاريد من الخليج، ص١١.

وهو يرى أن الشعر مرآة للواقع، ولحياة التي يعيشها، ومن خلالها يطرح الشاعر همومه ويقول:

الــشعر مــرآة الحــياة ونبــضها　　ورعــودها ورياضــها الغــناء

فاطرح همومك في القصائد شادياً　　بالحب تحيا حولك الأشياء

ومن خلال التأمل في شعر آل ملا تبدو لنا عاطفته القوية التي تثير في نفس المتلقي أنواع العواطف، حتى تكاد تصل إليه بالدرجة التي كانت عليها في نفس الشاعر، ويبقى أثرها طويلاً في نفسه، وكثيراً ما جمع الشاعر بين صدق العاطفة وقوة الشعور في تجاره الشعرية، يقول [1]:

أشــعلت قلــبك في العــنا　　لتــضيء للــناس الــسبيل

نحــو الكــرامة والإبــا　　والــسعي للقــصد النبــيل

يــا ابــن المقــرب لم نــزل　　أبــداً علــى العهــد الجمــيل

حتــى يبــشرنا الــصبا　　ح بــرحلة اللــيل الطــويل

ومن الممكن أن نصنف التجارب التي مر بها الشاعر آل ملا إلى:

١ـ **التجربة الشخصية** التي مر بها الشاعر نفسه، من خلال مواقف الحياة المختلفة، ومنها تجربة الشاعر مع بعض ضعاف النفوس ممن اتخذوا اللحى ستاراً للخداع والكذب، وما يميز هذه التجربة أن الشاعر لا ينقلها لمجرد أنها تجربة عابرة؛ وإنما يطرحها ويطرح الأوصاف التي يتصف بها ذلك المنافق، ثم يسطر النصيحة والحلول اللازمة لعلاج مثل هذه الأدواء. يقول [2]:

---

(١) وجوه ومرايا، ص٣.

(٢)أغاريد من الخليج، ص٩٨.

فكم ماكر تحت هذي اللحى ... تـوارى وخـبأ مـا قـد صـنع

يتاجـر بالفـضل في قـومه ... ويخـدعهم بـصنوف الخـدع

فمـن شـاء يبتـز أقـوامه ... ويحـني لـسلطته المجـتمع

فـإن الـسبيل لمـا يبتغـي ... قناعُ من الشَّعْرِ يخفي الجشع

ألا تتقـي الله يـا ظالمـاً ... لحلـي الـرجولـة رمـز الطمـع

والـشاعر علـى وجـه العمـوم، لم يكـن انعـزالياً بعـيداً عمـا يحـدث في المجتمع، بل كـان يعيش بين الناس، يشعر بما يشعرون به ويتألم لما يتألمون منه، والشاعر آل ملا عندما تأمل تجربة ابن المقرب وتعمق فيها، وجد أنها صورة حية لما يحدث في مجتمعه من عادات اجتماعية تحتاج إلى علاج وإلى وقوف ونظرة، ولم يكـن الـشاعر نـاقلاً لابـن المقـرب، وإنمـا أحس بذلك الإحساس الذي جعله يتأثر به في معظم ديوانه "وجوه ومرايا" وينقله كما أحس به، يقول [1]:

ولا تتقاعس في النهوض بفعل ما ... غـدوت علـيه نـية الخـير عاقـدا

ولا تلـتفت للمـرجفين ولا بمـا ... رموك من التشويه في القول والأذى

فمـا ضـاع عـند الله قـط وديعـةٌ ... إذا كـان حسن الظـن بـالله قائـداً

٢. **وتكثر التجارب التأملية** عند الشاعر، وهي التجارب التي يتخيلها الشاعر أو تقع لغيره فيسمع بها، ثم يعبر عنها وكأنها وقعت له، وهذا يعني أن الشاعر يحس بها ويشعر أنها حدثت له ويعبر عنها بطريقته.وهو تعبير ينشأ عن شعور بتلك التجارب، وانفعال بها، وتجارب الشاعر السياسية ضمن هذا النوع من التجارب؛ يقول في حديثه عن رجالات قبيلة عبيد قيس وكأنه عاش في ذلك الزمن [2]:

---

(١) وجوه ومرايا، ص٥٨ -٥٩.

(٢)وجوه ومرايا ، ص٩٧ -٩٨.

ألا فاذكروا من[1] جاد للطير بالغذى | لدى القحط في (الصحرا)وشل التصيدا
وصد هجوم النائلي[2] وقومه | عليكم فأجلاهم وأفنى وشردا
ألا فاذكروا يوم الجريعاء فتية [3] | بنوا لكم حصناً من العزم شُيدا
ألا فاذكروا من [4] جاد بالمال عسجداً | ليوقد في الحرب اللظى فتوقدا
ألا فاذكروا شيخ المسور(٥) وابنه | ومن للقرى يستجلب الناس مرفدا

والقارئ لمثل هذه الأبيات يتهيأ له بأن الشاعر ينقل ما يدور في عصره، وكأنه واقع قد عاشه ونقل تجاربه كما هي ، وأحس بها، وبما حدث فيها من أحداث سواء أكانت تسعد الشاعر أو تحزنه.

والشاعر عندما أبحر في تجربة ابن المقرب ووجد فيها الكثير من الألم

---

(١) يشير الشاعر إلى الأمير أبي مقدم شكر بن علي بن عبد الله، فقد كان سامي النفس نبيل العاطفة جواداً؛ بلغ من كرمه كما يقول شارح ديوان ابن المقرب(عبد الفتاح الحلو): أنه مرت على الناس سنة شديدة القحط فكانت الطيور في البلاد تجنح عن الصحراء، فأمر الأمير أن ينثر لكل جنس منها ما يلائمه من الطعام ومنع الصيادين من صيدها. يقول ابن المقرب في ذلك:

منا إذا صر خلف الغيث فانصرما | ومطعم الطير عام المحل فاسم به

انظر ديوان ابن المقرب: تحقيق عبد الفتاح الحلو، ص٥٤٠. مكتبة التعاون الثقافي،الأحساء ط١، ١٣٨٣هـ.

(٢)أحد زعماء الأعراب بالبحرين قاد هجوماً على الأحساء وتصدى له الأمير أبو شكر مقدم.

(٣)فيه إشارة إلى نجاح أربعة من شبان العيونين في صد هجوم كاسح قام به الأعراب على الأحساء وإلحاق الهزيمة بهم. وجوه ومرايا، ص٩٨.

(٤) إشارة إلى يوسف بن علي بن يوسف أحد أحفاد الأمير عبد الله، فقد سخر ثروته وما يملك من الذهب في مؤازرة عبد الله العيوني ودعمه أثناء حربه على القرامطة. وجوه ومرايا، ص٩٨.

(٥)المراد بالمسور هو أحد أحفاد الفضل بن عبد الله العيوني ،كان فارساً شجاعاً، له منادٍ ينادي من أعلى داره الناس إلى الطعام في كل يوم يقول. ابن المقرب:

كذاك كان فنحن السادة العظما | منا المسور تعظيما ووالده
داع ينادي إليه الجائع الضرما | منا الذي كل يوم فوق دارته

والمقصود بقول آل ملا (ومن للقرب يستجلب الناس مرفدا) أراد أبا شكر المبارك بن الحسن بن خيار بن عبد الله العيوني ،كان يلبس سوارين من ذهب على رأس كل منهما درتان ثمينتان،كما كان والده الحسن يفعل ذلك أيضاً، ويسمى هذا السوار سوار الملك، ومن العادات الجارية عندهم أن من يلبسه يسير بين يدي الملك في موكبه، وجوه ومرايا ص٩٩.

والمعاناة تأثر بها، ونقل الكثير منها، وكأنه يعيشها حية في الواقع، وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على إحساس الشاعر بعظم المسؤولية تجاه الأمتين العربية والإسلامية. والواضح أن الشاعر تعرف على عناصر هذه التجربة بدقة وانفعل بها، واستعان بدقة الملاحظة وقوة الذاكرة، وسعة الخيال وعمق التفكير، حتى نجح في التعبير عنها؛على أنه لم يخض غمارها بنفسه.

٣. **ويكثر الشاعر من التجارب ذات الطابع الوجداني**، وهي التي تحتدم فيها عواطف الشاعر، وتأتي الصور والتعبيرات منبثقة منها متضافرة على الإفصاح عن العنصر الشعوري فيها على الخصوص،وإن كانت لا تخلو من الفكر والخيال، يقول في غزله العفيف[1]:

وكان لقانا بالقطار ولم نكن ... نظن بأن الحبّ أوله غزل
فلم ننصرف حتى تنادت قلوبنا ... إلى ملتقى يشفي الفؤاد من العلل
وفي منتأى عن كل عين رقيبة ... نعمنا بوصلٍ زانه الطهر مذ حصل
على نغم الأطيار وسط خميلة ... ترانا كعصفورين نمرح في جذل
وتحت ظلال الورد فوق قطيفة ... من العشق رحنا نمزج الشوق بالأمل

فهذه الأبيات تحكي تجربة الشاعر العاطفية ،وهي أبيات من مجموعة قصائد فيها من البراءة والرومانسية التي تجعل المتلقي يتفاعل مع هذه المشاهد، وهي وإن كانت لا تخلو من نتاج فكر الشاعر وخياله،فقد احتدمت فيها عواطفه وانبثقت من خلال إفصاح الشاعر عن العنصر الشعوري.

٤. **وتقل التجارب الفكرية** عند الشاعر آل ملا، وهي التجارب التي تبنى

---

(١) أغاريد من الخليج، ص٥٠ -٥١

على أساس فكري محض، وهي تجارب تقوم على نظرة فلسفية للخالق عز وجل والكون والحياة، وسبق أن تناولت قصيدة " الشاعر والقمر" وقصيدة "تأمل ومناجاة". يقول الشاعر [1]:

قد رأى الحق مشرقاً في ثنايا	هديك الحق فانجلت ظلماته
واشرأبت إلى رضاك مناه	وبنجواك سبحت خلجاته
أنت كل الرجاء أنت ملاذي	يوم يؤتى كل امرئ صفحاته
وشفيعي لدى جلالك قلب	قدر رأى في هداك كنه حياته

وهذا النوع من التجارب لا نكاد نجده بوضوح في قصائد الشاعر إلا في هاتين القصيدتين .

وتقل التجارب التي يحكي فيها الشاعر حدثاً أو موقفاً عاشه وانفعل به. وأبرز ما يطالعنا من تجارب الشاعر (مأساة عذراء) حيث استطاع الشاعر أن ينقلنا إلى أجواء تلك المأساة، يقول [2]:

وإذا بها يوماً تفيق لكي ترى	آثار غدر الذئب بالحملان
فتهالكت فوق السرير صريعة	من هول ما وجدت وبعد ثوان
جنت وكان جنونها مذ أدركت	أن الذي أمنته كان الجاني

ويلحظ القارئ لهذه القصيدة أنه ينتقل إلى عالم الشاعر في الحال ويعيش معه، ويتأثر بانفعاله وأشواقه، وإن لم يتفق معه في تفصيلات الموقف من حيث استقامتها وانحرافها.

---

(١) أغاريد من الخليج ، ص١٣.

(٢)أغاريد من الخليج،ص٥٥.

- المعاني والأفكار بين التقليد والتجديد:

شهدت قضية التقليد والتجديد في الأدب العربي اهتماماً من النقاد في معظم العصور الأدبية على اختلاف مسماها؛ فهي أحياناً تقليد وتجديد، وأحياناً أخرى قديم وحديث، ومحافظ ومعاصر، وهذه القضية ظهرت بوضوح في الأدب العربي منذ أن انفتحت الأمة العربية في العصر العباسي على الثقافات المتعددة من يونانية وفارسية، وهي لا زالت حاضرة في الأدب العربي بعد الانفتاح على الثقافات العالمية المتعددة وتوفر وسائل الاتصال بالعالم الخارجي.

وفي الأدب السعودي ظهر الاتصال بالأدب العربي، من خلال الدول العربية المجاورة بعد استقرار الأحوال السياسية وتوحيد المملكة، وانتشار المطابع والصحف والمدارس، وتوافُد الحجاج لأداء مناسك الحج، الأمر الذي سهل لشعراء وأدباء السعودية الاطلاع على ما في البلاد العربية الأخرى من حركات أدبية حديثة؛ وبذلك وُجِدَتْ قضية التقليد والتجديد، وظهر أنصارٌ للقديم وأنصارٌ للحديث، فأنصار الحديث يرون ضرورة التجديد والتغيير وطمس معالم الركود الذي ظهر في الأدب في الجزيرة العربية في القرون الماضية، أما أنصار القديم فيرون في حركة التجديد هدماً ونسفاً للثوابت، وظهر منهم فريق وسط يرى أن التغيير والتطوير سنة كونية، بشرط أن ينطلق من أصول ثابتة ومعتقدات أصيلة للأمة [1].

ويقول الدكتور طه حسين: (لم يخل عصر أدبي في حياة الأمم التي كان لها نصيب من الأدب، وحظ في إتقان القول وإجادته من هذه المسألة مسألة

---

(١) انظر: الشاعر المؤرخ عبيد مدني حياته وشعره، إبراهيم عبد الرحمن المطوع، ص٣٣٦ -٣٣٧.

القدماء والمحدثين ولم تظهر هذه المسألة في عصر من العصور أو عند أمة من الأمم إلا أحدثت خلافاً عظيماً وجدالاً عنيفاً، وقسمت الأدباء على اختلاف فنونهم الأدبية أقساماً ثلاثة: قسم يؤيد القدماء تأييداً لا احتياط فيه، وقسم يظاهر المحدثين مظاهرة لا تعرف اللين، وقسم يتوسط بين أولئك وهؤلاء ويحاول أن يحفظ الصلة بين قديم السنة الأدبية وحديثها) [1].

ونحن لسنا بصدد التفصيل في هذه القضية، وإنما الهدف الأساسي معرفة أين يقف الشاعر عبد الرحمن آل ملا من هذه القضية؟ وهل هو من دعاة التجديد أم من دعاة التقليد؟ وأيهما أبرز في شعره مظاهر التقليد، أم مظاهر التجديد؟.

وعند الوقوف أمام شعر آل ملا، وبالتحديد أمام الأغراض الشعرية، نجد في بعضها النزعة إلى التقليد؛ ففي الوصف تظهر ملامح التقليد بوضوح، فهو يترسم خطى أسلافه من الشعراء، وعند التأمل في بعض قصائد الوصف يظهر ذلك بوضوح؛ ففي قصيدة (الشاعر والقمر)[2] تبدو لنا الأوصاف المثالية التي رسمها للقمر؛ فهو السحر والساحر، وهو في كل يومٍ له حلة، وهو الطفل المبتسم، وهو مصدر الضوء، وهو الحسناء التي زفت في ليلة عرسها، وهو الإلهام والشاعر.

أنت لعمري السحر والساحر	برغم ما قالوا وما قدروا
في كل يوم للدنا حلة	من نورك الزاهي تظهر
بأنك الحسناء في عرسها	وأنك الإلهام والشاعر

(١)حديث الأربعاء، طه حسين، ص٢ -٣، دار المعارف، القاهرة، ط١٢، (د.ت).

(٢)أغاريد من الخليج، ص٣٥.

وهو في ذلك يترسم خطى من كان قبله، أمثال الشاعر على محمود طه الذي يقول عن القمر [1] :

سرى القمر الوضاح بين الكواكب	يفكر فيما تحته من غياهب
فناداه من وادي الخليين هاتف	بصوت محب في الحياة مقارب
يقول له يا روعة الحسن والصبا	وأجمل أحلام الليالي الكواعب
أنا العاشق الوافي إذا جنني الدجى	وراعيك بين النيرات الثواقب
ألا ليتني حر كضوئك أرتقي	عوالمك الملأى بشتى العجائب
ويا ليت لي كنز ابتساماتك التي	تبعثرها في الكون من غير حاسب

فالمعاني التي أوردها الشاعر آل ملا هي محاكاة لقصيدة علي محمود ،وهي في المضمون نسج لقصيده؛ وإن كان للشاعر آل ملا بعض التميز خصوصاً في جعل القمر السحر والساحر، وجعله العروس في ليلة عرسها.

والشاعر آل ملا يلجأ إلى تقليد عناوين القصائد، ويظهر ذلك بوضوح في قصيدة (خلجات في هيكل الحب) [2]:

أي شعر أصوغ فيه هيامي	بك يا بسمة الصباح المنير
فدعيني في هيكل الحب أتلو	خلجاتي لحسنك الفتان

وقد سبق للشاعر أبي القاسم الشابي هذا العنوان مع تغيير بسيط في قصيدة (صلوات في هيكل الحب) يقول الشابي [3] :

أيها الليل يا أبا البؤس والهو	ل يا هيكل الحياة الرهيب

---

(١) ديوان على محمود طه، ليالي الملاح التائه،ص١٤٨، دار العودة، بيروت،(د.ط)،١٩٩٧م.

(٢) أغاريد من الخليج، ص٤٩.

(٣) ديوان أبي القاسم الشابي ،أحمد الفاضل ص٢٦، دار الفكر اللبناني،بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

فيك تجثو عرائس الأمل العذ ب تصلي بصوته المحبوب

فيثير النشيد ذكرى حياةٍ حجبتها غيوم دهرٍ كثيب

وترف الشجون من حول قلبي بسكونٍ وهيبة وقطوب

والشاعر يبتهج بالمناسبات التي تدعو إلى الفرح والسرور، وهي من مظاهر التقليد التي تظهر بوضوح عنده، ومن قصائده (فواز) [(١)] :

حين انتهى الخبر السعيد لخافقي وسمعت عبر المرسلات بشيرا

قالوا لقد ولد الحبيب وأورقت آمالك الكبرى وصرت كبيرا

وهنأ الشعراء الذين سبقوه الخلفاء ،أو الأقارب بالمولود. ومن الأمثلة على ذلك تهنئة البحتري المتوكل ببلوغ المعتز، يقول البحتري [(٢)] :

يا كالئ الإسلام في غفلاته ومقيم نهجي حجه وجهاده

يهنيك في المعتز بشرى بينت فينا فضيلة هديه ورشاده

قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا عن حلمه ووقاره وسداده

ومبارك ميلاد ملكك مخبر بقريب عهد كان من ميلاده

تمت لك النعماء فيه ممتعاً بعلو همته ووري زناده

ويبدو تقليد الشاعر بوضوح في إخوانياته، وذلك عندما يودع أحد أصحابه عندما سافر، يقول [(٣)] :

سافرت يا أصدق الأخوان فاتقدت إلى لقاك شموع الشوق في كبدي

فقد تركت فراغاً ليس يملؤه إلا رجوعك للأصحاب والولد

---

(١)أغاريد من الخليج، ص٢٤.

(٢) ديوان البحتري، شرحه وعلق عليه محمد التونجي، ج١، ص٤٣٧، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٤هـ.

(٣) أغاريد من الخليج، ص٨٢.

والتوديع ظاهرة اجتماعية ترتبط بالسفر والفرقة، والنأي بين الأصحاب والأحباب، وهذه الظاهرة على الرغم من قدمها وملازمتها للناس في كل زمان ومكان؛ إلا أن الشعر المنبثق عنها لم يزدهر ويتسع إلا في العصر العباسي، حيث شاع وداع الشعراء لمدوحيهم، بالإضافة إلى وداعهم لأقرانهم. أما في العصور المتقدمة فلا نكاد نقف على شيء من الشعر في وداع الرؤساء [1] ، ولعل سبب بروز شعر التوديع في العصر العباسي يرجع إلى كثرة الشعراء من ناحية، واتساع مجالات العلاقات الاجتماعية أمامهم من ناحية ثانية، وكثرة السفر والارتحال بينهم وبين أحبابهم وأصحابهم وممدوحيهم، إلى جانب الحس الحضري الذي قوي في هذا العصر [2] وتوديع الشاعر آل ملا والمعاني التي جاءت في تلك القصيدة هي نسج من معاني الشاعر أبي تمام حينما ودع صديقه على بن الجهم عندما عزم على السفر، فيصور لحظة الترقب التي تسبق الفراق، ويصور موقف الوداع العصيب، وكيفية التغلب عليه، ويشيد بالرابطة الأدبية التي تجمع بينه وبين صاحبه، ومن ثم يمدحه بمجموعة من الصفات. يقول أبو تمام [3] :

هي فرقة من صاحبٍ لك ماجدٍ   فغدا إذابة كل دمع جامد

فافزع إلى ذخر الشؤون وغربة   فالدمع يذهب بعض جهد الجاهد

وإذا فقدت أخا لم تفقد له   دمعاً ولا حبراً فلست بفاقد

ويظهر تقليد الشاعر في غرض الإخوانيات في مساجلاته،خصوصاً مع

---

(١)الإخوانيات في الشعر العباسي، محمد عثمان آل ملا، ص١٨٣.

(٢)المرجع السابق، ص١٨٣.

(٣) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، ج١، ص٤٠١.

الشاعر عبد العزيز البابطين الذي ساجله عدة مرات [1]، ومن جميل ما كتب الشاعر آل ملا للبابطين [2]:

من شاء أن يكتب في المكارم والوفا	فليعرفن للبابطين مواقفا
فله بكل مبرة يدُ منعمٍ	في المكرمات حرية أن تقتفى
وبكل قِطرٍ من نداه سحابةٌ	تهمي فتنبت فيه ريفاً أريفا

ونجد مثل هذا بوضوح عند الشعراء العباسيين، حيث بلغت الحياة العربية أوجها من التحضر والمدنية، فاتسعت أمام الشعراء مجالات العلاقات الإنسانية، ومن هذه المساجلات مساجلة عبد الرحمن بن الفضل، حيث كتب إلى القاضي التنوخي أبياتا يعبر فيها عن عظيم شوقه إليه، وتلهفه الشديد إلى لقياه.. وقلقه المفرط لبعده، ومحافظته على عهده؛ وكثير من صفات المجد والسؤدد. يقول [3]:

شوقي إلى القاضي المنيف بمجده	شوق يفوق الوصف أيسر حده
ويحسب فرط الأنس كان بقربه	قلقي لما قد ساءني من بعده
ولو أنني مما أحب مُمَكَّنٌ	لم أعد إغذاذاً أسير لقصده
ووصلت آصال السرى بغدوها	وقرنت إرقال المطي بوخده

فأجابه القاضي التنوخي بأبيات أثنى عليه فيها ثناءً جميلاً، حيث وصفه بعلو المقام، وسخاء اليد وشرف المحتد.. وفداه من مصائب الدهر بسائر الناس بعد أن افتداه بنفسه. يقول:

---

(١) ورد ذكر شواهد في الفصل الأول في غرض الإخوانيات .

(٢) أغاريد من الخليج، ص٨٠.

(٣) يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، ج٢، ص٣٢٦ -٣٢٧، مطبعة السعادة، القاهرة، (د.ط)، ١٣٧٥هـ

روحـــي فـداؤك والـورى مـن بعـده	جـردت سـيف صبابتي مـن غمـده
عــين الإمــام وكفــه اليمنــى وحـــ	ـد حسامه الماضي ووسطى عقده
كلـف بـبذل المـال يحـسب غـنمه	في عـــزمه ونمـــوه في حـــصده
كالغـيث في إحـيائه والـصبح في	أضـــوائه والـــبدر لـــيلة ســـعده

وعندما نبحث عن التقليد في بناء القصيدة نجد الشاعر آل ملا متمسكاً بالأوزان الخليلية المعروفة، وبالقافية الموحدة في القصيدة الواحدة عدا قصائد قليلة [1]،كذلك التزامه بالتصريع في أغلب القصائد، وهذا الالتزام في معظم القصائد بالأوزان الخليلة لا يعتبر تقليداً؛ بقدر ما يعبر عن أصالة الشاعر التي تجعله في مصاف الشعراء الذين حافظوا على أصالة القصيدة العربية.

والاقتباس والتضمين من سمات التقليد والمقلدين، وهو ليس عيباً في ذاته متى ما جاء عفو الخاطر، ودون تكلف، أما إذا جاء قسراً واهتم به الشاعر كما يهتم العلماء والفقهاء بالأدلة التي يستدلون بها على آرائهم، فهذا يعد تضميناً قبيحاً، يقول آل ملا [2]:

وسمنـتم شُـرس الـسباع لحفظكـم	فـصرتم لهـا أشـهى الطعـام وأرغـدا
ومـن قـبل قـال النـاصـحون لقـومهم	مـثالاً سـرى فيكـم ولـم تسمعوا نـدى
ومـن يجعـل الـضرغام بـازاً لـصيده	تــصيده الــضرغام فــيما تــصيدا

---

(١) للشاعر قصائد قليلة مختلفة القافية ومن ذلك قصيدة إلى لاجئة التي مطلعها:

أختاه لليل الطويل نهاية الصبـــــــر الجميـل

قد روع العملاق في كهف الأسى طيش الدخيل

(٢) وجوه ومرايا :ص ١٦ -١٧.

فالبيت الأخير مأخوذ من شعر المتنبي.[1]

وَمَن يَجعَلِ الضِرغامَ بازاً لِصَيدِهِ   تَصَيَّدَهُ الضِرغامُ فيما تَصَيَّدا

واقتبس الشاعر آل ملا من القرآن الكريم في أكثر من موضع[2].

وسواء أجاء التضمين بتكلف أم بتلقائية فهو يفصح عن تعلق الشاعر بالتراث واستحضاره له، ويعكس جزءاً من ثقافته وقراءته وكثرة اقتباسات آل ملا ملحوظة وهو يعتبر أحد روافده.

و قد قلد الأقدمين وأخذ من معانيهم التي تعتبر واقعا للحياة العامة التي يعيشها، ولا شك في أنها معان ثابتة وراسخة في الذهن أو الذوق العربي الأصيل، ولا يمكن الاستغناء عنها، وبخاصة لدى الشعراء، وإن أضافوا إليها شيئاً من التجديد؛ فإنما هو من قبيل الاختراع والتوليد [3] في مجال المعاني وهو ما قرره النقاد في هذا الشأن.

والشاعر على الرغم من ذلك، إلا أنه سعى إلى نوع من التجديد الذي يميزه وفقاً لمقدرته الفنية وظروفه الشخصية، وأوضاع عصره الذي يعيش فيه، والبيئة المحيطة به، ولا نقصد أن يأتي الشاعر بمعان لم يُسبق إليها، أو يُتعرض لها من قبل،وإنما يقصد بذلك ما أن يخطر الموضوع في ذهنه، ويشرع في نظمه إلا

---

(١) ديوان المتنبي، ج٢،ص١٠.

(٢) وقد سبق ورود ذكر بعض الأمثلة على ذلك.

(٣) الاختراع: أن يأتي الشاعر بما لم يسبق إليه من المعاني، والتوليد أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة، والإبداع أن يأتي الشاعر بالمعنى المعروف ولكن في أسلوب جديد وعبارة لم يسبق إليها، انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد بدوي،ص٣٧٠.

وتنهال على ذاكرته معاني السابقين، وتتراءى له صورهم وأفكارهم، لأنه إنما يعالج كثيراً من الموضوعات التي سبقوه إليها فتتحقق أصالة الشاعر في معانيه، وإحساسه الصادق العميق بها، ومن ثم يكون استقلاله في التعبير عنها، وهذا ما أشار إليه بعض النقاد، وأنه لا يطلب من الشاعر أن يجيء بالمعنى الجديد الذي لم يسبق إليه، وليس من علامات التفوق أن يخترع ويبتكر المعاني والصور إلا من أخطأ فهم مهمة الشاعر، وإنما يطلب من الشاعر ما يعرف باسم الأصالة؛ والأصالة لا تتم إلا إذا توافر لها عنصران، أولهما: عمق إحساس الشاعر، وثانيهما استقلاله وتميزه عن هذا العمق، وفي الحق أن الأمرين وجهان لشيء واحد [1].

وإذا أمعنا النظر في معاني آل ملا وأفكاره وجدنا هذا التجديد يتمثل جلياً في كل ما جاء معبراً عن جوانب ذاتية، هذه الجوانب التي يكثر ظهورها في الأغراض المعبرة عن تجارب خاصة وظروف معينة عاشها الشاعر، أو مرت به في حياته. وأول ما يلفت الانتباه، تلك المعاني التي تناول فيها العلم وأصحابه، فالمعلم في نظر الشاعر لا يصل إلى فضله وشأوه أحد، فهو في أعلى الهرم، ولا يعلوه أحد، وهو مجاهُد يقهر الجهل؛ ويصنع الطموح على يديه، والحضارة أكبر شاهد على ذلك. يقول في قصيدة (في موكب العلم) [2]:

إن المعلم إن أدى الرسالة لا   يرقى إلى شأوه في الفضل إنسان

---

(١)انظر: الجوانب الفنية في شعر محمد بن حمير الهمداني، مجدي بن محمد خواجي، ص٩٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، وانظر ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، عبد العزيز الأهواني، ص٨١، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط٢، ١٩٨٦م.

(٢) أغاريد من الخليج، ص٣٢.

فكيف لا؟ وهو نبراس النهى أبداً بنور حكمته الإفهام تزدان

مجاهد دأبه قهر الظلام ومن كفاحه نسجت للجهل أكفان

مثابُر شأنه صنع الطموح على يديه كم قفزت للعز فرسان

وإن كان أحمد شوقي سبقه في ذلك [1].

قُم لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَبجيلا كادَ المُعَلِّمُ أَن يَكونَ رَسولا

أعلمت أشرف أو أجل من الذي يبني وينشئ أنفسا وعقولا

ويتميز الشاعر بتلك النغمة الوجدانية التي تسيطر على كثير من معانيه، وهي روح مليئة بالعاطفة والرومانسية التي تجعله يتميز عن كثير من الشعراء ممن حوله، يقول في قصيدة (لحن الوفاء)[2]:

آمنت بالحب العظيم منزهاً عن كل مغري

فمضيت أشدو للحيا ة بمزهري وكسرت أسري

ليلاي يا رمز السعا دة والصفا ووسام فخري

يا بسمة العمر التي من أجلها أحببت عمري

والشاعر يتناول كثيراً من القضايا الاجتماعية، وتناوله لها فيه من الخصوصية التي تجعل لشعره لوناً خاصاً، فهو يصوغ القصيدة على شكل قصة؛ ويتناول جميع أبعاد هذه القصة، حتى أن القارئ لها يعيش في حقيقة مؤقتة.يقول في قصيدة (مأساة عذراء) [3]:

فغدت أميمتها ضحية حادثٍ أدى بها للقبر بعد زمان

---

(١) الموسوعة الشوقية، إبراهيم الأبياري، ج١، ص١٨٠، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

(٢)أغاريد من الخليج ، ص٤٧.

(٣)أغاريد من الخليج ، ص٥٥.

ومضت لتترك للشقاء فتاتها بالقصر قابعة مع الأحزان

لكن والدها الجديد أحاطها برعاية تربو على التبيان

فأعاد للقلب الكليم ربيعه ورواه بالآمال والسلوان

والقضايا الاجتماعية عندما يتناولها الشاعر، يتناولها بدقة متناهية، وقد يخصص قصيدة كاملة لقضية اجتماعية يعالجها من خلال وصفها ووصف صاحبها، وتقديم نصائح عامة تخص أصحاب هذه الظاهرة السيئة. يقول في قصيدة (الوصولي كما عرفته) [1]:

تعامله بإخلاص وصدق فيحسب أن ذاك من الغباء

لأن العبقرية في رؤاه خداع الناس بالنهج المرائي

وإن المكر في طلب المزايا أمارات النباهة والذكاء

والشاعر عندما يتناول الأحداث السياسية، يتناولها بشيء من الفخر والإشادة بدور الأبطال، ويربط انتصارات العرب بالانتصارات العظيمة التي كانت للمسلمين، ومن ذلك خط بارليف الذي بناه اليهود على الضفة الشرقية لقناة السويس، واستطاع العرب الأبطال إفساده وهدمه والنصر على اليهود، يقول في قصيدة (من وحي معركة رمضان) [2]:

خط بارليف وهو أعظم حصنٍ شيدته سواعد العاديات

بددته مع الرغام رجالُ عبروا نحو الردى في ثبات

ويستخدم الشاعر آل ملا أسلوب ضمير المتكلم، فهو يتحدث عن ذلك الفدائي وكأنه هو، وهذا الأسلوب يعطي القارئ المزيد من التفاعل مع القضية

---

(١)أغاريد من الخليج: ص٩٥ -٩٦.

(٢)أغاريد من الخليج ، ص١٠٦.

الفلسطينية،ويشعره بالمسؤولية تجاه مشاركة الأمة آلامها وهمومها. يقول في قصيدة (الفدائي والفردوس والجريح) [1]:

إن لـي قـصة مـع الـثأر باتـت	خـبرا راع في الأنـام الـيهودا
مـن جراحـي ومـن جـراح رفاقي	ينـسج المجـد للنـضال بـنودا
أبـداً لـن تـضيع أرض فلـسطين	فقد مزق الكماة الركودا
كـل شـبرٍ مـنها لـه في خيالـي	صـورة تمـنح الكفـاح وقـودا

والشاعر يوحي في حديثه بضمير المتكلم،أنه هو ذاك الفدائي الجريح الذي حمل هموم أمته وشعبه، ويحاول أن يستنهض هممهم، وهو يتحدث بلسانه بصورة صريحة وكأنه من عانى وأحس بالواقع المرير الذي تعيشه الأمة الإسلامية.

ومما تميز به الشاعر أنه يتناول بعض الأحداث المهمة، أو بعض المواقف التي تتعلق ببعض الشخصيات التاريخية، ويتناولها بنوع من التفصيل الذي يعكس تلك الثقافة العالية للشاعر آل ملا، وعند النظر في ديوان وجوه ومرايا تستوقفنا تلك الشخصيات التاريخية والأدبية التي أعجب بها الشاعر، أمثال أبي تمام، والخليل بن أحمد، والجاحظ وسقراط الحكيم؛والقاضي إياس،وحماد عجرد، يقول في ديوان (وجوه ومرايا) [2]:

ففاق حبيباً والخليل وجاحظاً	وسقراط والقاضي إياس وعجردا [3]

---

(١)أغاريد من الخليج، ص١١٢.

(٢) وجوه ومرايا، ص٦٤.

(٣) حبيب بن أوس الطائي (ابو تمام) الشاعر المعروف، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، واضع علم العروض، والجاحظ عمرو بن بحر أشهر كتبه (الحيوان)، وسقراط الفيلسوف اليوناني تلميذ أفلاطون، والقاضي

=

في ذكر كثير من الشخصيات التاريخية، يخص ابن المقرب والأحداث التاريخية التي كانت في عصره، وبعض الأحداث التي سبقت عصره، مثل حرب البسوس، وتسجيله لكثير من الأحداث في الديوان. يقول [1]:

فلما تمادى أردشير [2] بغيه ... وسار إلى البحرين للغزو واعتدى

تنادت لأخذ الثأر منهم عصابةٌ ... فجرعت الفرس المهانة والردى

وقد أنجبوا بشراً وشأساً ... وولادة والمنذرين وما عدا [3]

وهذا يقودنا إلى محافظة الشاعر على وحدة الموضوع ،وإلى مدى التسلسل الذي سار عليه الشاعر في سرد الأحداث التاريخية، وكما أن الشاعر تناول الأحداث السياسية بشيء من الدقة والتفصيل، كذلك تناول القضايا الاجتماعية بتفصيل يوحي بوضوح قرب الشاعر من المجتمع الذي يعيش فيه. والجديد في تناول الشاعر لتلك القضايا، أنه يبين الداء ويصف الدواء بشيء من الحكمة

=

إياس هو معاوية بن قرة بن إياس المعدود مثالا في الذكاء والحكمة، وعجرد هو حماد عجرد الشاعر المعروف من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.

(١)وجوه ومرايا، ص٨١.

(٢)أردشير مؤسس الدولة الساسانية في فارس، وكان قد قام بهجوم كاسح على بلاد البحرين سنة ٢٢٦م فدمر بعض مدنها، وأفشى في أهلها القتل، ثم قام ببناء مدينة الخط على جثث القتلى. انظر تاريخ هجر: عبدالرحمن آل ملا، ج١، ص١٦٦.

(٣) بشر المذكور هو بشر بن عمرو بن المعلي الملقب بالجارود العبدي، كان شريفاً في الجاهلية ونصرانياً اسلم ووفد على الرسول الكريم في السنة التاسعة من الهجرة، وله موقف مشهود في إقناع قبيلته بالثبات على الإسلام حين أرتد العرب، أثر انتقال الرسول r إلى الرفيق الأعلى. انظر الطبقات لابن سعد ج٥، ص٥٥٩. وشأس هو شأس بن نهار بن أسود شاعر جاهلي. من شعراء عبد قيس المعروف الممزق العبدي وعائذ هوعائذ بن محصن بن ثعلبة، الملقب بالمثقب العبدي، من أشهر شعراء بني عبد القيس. انظر المرجع السابق نفسه. وولادة هي ولادة المهزمية من شواعر عبد قيس. والمنذرين فأحدهما المنذر بن عائد بن الحارث من عبد قيس، عرف بالأشج، صحابي جليل، انظر جمهرة النسب للكتبي، ص٢٠٦، وأما الثاني فهو المنذر بن جارود من عبد قيس، انظر طبقات ابن سعد، ج ٥، ص ٥٦.

التي تقرب الفكرة من القارئ ،وتجعله يفيد من تلك الحكم والحلول بشيء من الواقعية. يقول في وجوه ومرايا[1]:

لقد سلب المالُ العقول وأشعلت	بسلطانه أقسى الحروب توقدا
وصار التقى آوى يرى الناس ابنه	ولكنه في ذمة الغيب أخلدا
وكم مارقٍ يكسو سواه ذنوبه	ويعزو إليه ما بأوهامه بدا

ويلفت الشاعر انتباه القاري في قوافيه، فتنوع القوافي يبدو سمة في شعر آل ملا، وتكرر ذلك مِراراً في ديوان أغاريد الخليج، حيث جعل القافية موحدة في كل بيتين متتاليين ، يقول في قصيدة "أحلى نغم"[2]:

صورة فيها ألوف الذكريات	فانظريها في انسياب الجدول
واسمعيها كل فجرٍ نغمات	من فم الناي وشدوِ البلبل
اذكري منا عهوداً بالدما	قد كتبناها على سوق الشجر
في مروجٍ لم تزل نشوى كما	لو سرت أنفاسك فيها سحر

(١) وجوه ومرايا ، ص٤٨.

(٢) أغاريد من الخليج، ص٣٨.

الوحدة الموضوعية والفنية:

قبل الخوض في الوحدة الموضوعية والفنية تجب الإشارة إلى أن الوحدة العضوية تطرق إليها النقاد القدامى أمثال ابن رشيق في العمدة، الذي كان يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض؛ وبخاصة في الحكايات وما شابهها فإن بناء اللفظ على اللفظ فيها أجود من جهة السرد [1]. وقد جعل ابن طباطبا تحقق الوحدة العضوية في القصيدة العربية سمة جودة، يقول: (أحسن الشعر ما ينتظم فيه القول انتظاماً يتسق به أوله مع آخره، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل، بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، وأن يكون في خروج الشاعر من كل معنى يضعه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً لا تناقض في معانيها، ولا وَهْيُ في مبانيها ولا تكلف في نسجها) [2].

وللحاتمي كلام قوي في هذه الوحدة قال: (من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم، متصلاً به غير منفصل منه، فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب غادر الجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفي معالم جماله) وهو في نفس الوقت يثني على المحدثين التزامهم بها وتطبيقهم لها حيث يقول: (وجدت حذاق الشعر وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون من مثل هذه الحال احتراساً يحميهم من شوائب

---

(١) العمدة ح:١، ص٢٣٣.

(٢) عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، د.عبدالعزيز بن ناصر المانع، ص٢١٣، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د.ط)، (د.ت).

النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان) [1]،ويقصد النقاد بالوحدة العضوية أن تكون بنية حية تامة الخلق والتكوين، وهي مجموعة من عناصر مترابطة متداخلة تصوغها بصيرة الشاعر. وهي بذلك تصبح عملاً شعرياً تاماً[2]. ويذهب الأستاذ مصطفى بدوي إلى القول: (نحن نطلب من القصيدة التي تتحقق فيها الوحدة أن ترتبط عناصرها جميعاً كما يرتبط الجذور والساق.. والأغصان والأوراق،فيؤدي كل عنصر فيها وظيفة حقة،غير منفصلة عن الوظيفة التي يقوم بأدائها عنصر آخر،بحيث تسير هذه الوظائف مجتمعة في اتجاه واحد، وتؤدي إلى غاية واحدة هي الأثر الكلي الذي تولده القصيدة في نفس القارئ) [3]، ويذهب كذلك الأستاذ أحمد مصطفى حافظ إلى القول : (أن الوحدة العضوية أحسن ما تكون مصدرها المبدأ الذي يصبغ جميع عناصرها بلون واحد، والذي ينساب في أطرافها جميعاً كما تنساب العصارة الخضراء التي تغذي الشجرة جذراً وساقاً... أغصاناً وأوراقاً)[4]، وإذا أمعنا النظر في شعر عبدالرحمن آل ملا نجد أنه لا يتحقق فيه الوحدة العضوية سواء في ديوان وجوه ومرايا الذي يتكون من مجموعة من الموضوعات تسودها الحكمة والنصائح وتجارب الشاعر، أو ديوان أغاريد من الخليج، وفي قصائده يمكن تقديم بيت على بيت،أو تأخير بيت عن بيت، وربما ينهج الشاعر في ذلك نهج شعراء الجاهلية الذين لم يوفوا وحدة القصيدة إلا نادراً، وهو عدم اتصال بيت بما قبله أو بما بعده .

---

(١) التجربة الشعرية عند ابن المقرب. عبدالعزيز قليقله،ص٣٢٦.

(٢) في النقد الأدبي: شوقي ضيف ص١٥٣ -١٥٥.

(٣) دراسات في الشعر والمسرح: ص٧.

(٤) مقاله بعنوان: القصيدة العربية والوحدة الموضوعية: أحمد مصطفى بدوي، مجلة الأزهر - رجب ١٤١٤هـ ديسمبر -يناير١٩٩٤ — الجزء السابع - السنة السادسة والستون.

والوحدة الموضوعية والفنية تظهر بوضوح في شعر آل ملا، وما يميز تلك الوحدة حسن التخلص الذي ينقلك من موضوع إلى آخر بسهولة ووضوح، ويشعر القارئ بتتابع الأفكار وإن لم تكن متسلسلة يقول في قصيدة (وهبنا الحياة)[1].

سنَرجع مجداً لنا قد مضى	إلى الشرق رغم عوادي الفتن
ونحيي من الحب في نفسنا	شموساً تريح جميع الإحن
فنسعد بالعز في عيشنا	ويبقى العدو رهين الحزن
إلى العلم هبوا شباب العلا	أذلوا الصعاب وخوضوا المحن

فهذه الأبيات تحاكي الواقع الذي تعيشه الأمتين العربية والإسلامية من تخلف وتأخر، وتلهف العدو وطمعه لأخذ أرضها وإهانتها، وهو يورد تلك النصائح التي من خلالها يستنهض همم أبناء أمتيه متوعدا باسترجاع المجد الذي فقدته الأمة بالرغم من الفتن والمحن وباندحار عدوها،مبينا أهمية طلب العلم لأنه طريق إلى تذليل الصعاب وقهر الجهل واندحار عدوها، وحتى تكون أمة متقدمة تعمل لما فيه عزها وسمو شأنها.

والوحدة الموضوعية موجودة في أكثر قصائد آل ملا،حيث يبدأ القصيدة مباشرة دون مقدمات،ويجعل القصيدة ذات موضوع واحد من بدايتها حتى نهايتها،ووردت قصائد في ديوانه تدل على ذلك،قصيدة (العلم أكسير الحياة) [2]، وموضوعها عن أهمية العلم،وفيها يبرز دور العلم في حياة الإنسان، وأنه الروح التي لا يمكن أن يحيا بدونها.وكذلك قصيدة في (موكب العلم) حيث يقول

---

(١)أغاريد من الخليج: ص١١٧.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذه القصيدة في الفصل الأول، ص ١٠.

فيه[1]:

وكل قوم بنوا بالعلم نهضتهم وعظموا أهله والله ما هانوا

وفي هذه القصيدة يبين أهمية العلماء، ودورهم في بناء أفراد الأمة ، ويذكر المكانة الرفيعة التي تحتلها الأمة التي ترفع من شأن العلم وأهله. وغير ذلك من القصائد.

ونجد قصائد للشاعر يبدأ فيها بمقدمات،ثم ينتقل إلى موضوعه الأساسي أو غرضه الأصلي؛ ومن الأمثلة على ذلك قصيدة (بين الأطلال في وبار) حيث بدأ الشاعر بمقدمه طللية ثم انتقل إلى غرضه الأساسي وهو وصف تلك المدينة التي عمها الحزن وأصبحت أرضاً مهجورة.

والوحدة الموضوعية تتعلق بالمضمون، أما الوحدة الفنية فهي تتعلق بالبناء[2] . وهذا يعني أن الوحدة الفنية تتعلق بالأسلوب ومدى ملاءمته قصيدة الشاعر، وكذلك الصور والتراكيب ومدى مناسبتها لموضوع القصيدة، وهو ما برع فيه الشاعر عبدالرحمن آل ملا يقول في (قصيدة إلى لاجئة)[3]:

يا ويل إسرائيل من طفلٍ تشرد في البطاح
لا يعرف المأوى ومزق جسمه لفحُ الرياح
وتورمت قدماه بحثاً عن غذا وعن ارتياح
وشكا فلم يحفل به في الناس غيرُ بني السلاح
فتقاسموا معه الرغيف وأرسلوه إلى الكفاح

(١)أغاريد من الخليج ص٣١.

(٢) في النقد الأدبي الحديث، مدارسه ومناهجه وقضاياه، محمد صالح الشطي، ص٣١٩، ٣٢٠.

(٣) أغاريد من الخليج ص١١٦.

يـــا ويـــل إســـرائيل مـــن أمّ ببـــيـداء الـــضيـــاع
أخـــذت تغـذي بالأسـى والحـب أفكـار الجـيـاع
وتقـص للجـيل الجديـد حكايـة الـشرف المـضـاع
وحكايـــة الأبطـــال في مهـــدٍ البـــنوة والـــصـراع
في القـدس في يافا وفي حيـــفا وفي بئر السبـــــاع

فأسلوب الـشاعر يوضـح ارتبـاط صـور القـصيدة بالعنوان، فالـصور مـزق جسمه لفـح الـرياح ـ تغـذي بالأسـى أفكـار الجياع ـ مهد النبوة ـ وكـذلك الألفاظ الـتي وردت في القـصيدة. تشرد ـ إسـرائيل ـ المـأوى ـ شـكـا ـ الكفـاح ـ الـشرف ـ الأبطال ـ الصراع ـ يافا وغيرها ، دلت على موضوع القصيدة ، وجميعها تدور حول مـضمون القـصيدة ،وبذلك جـاءت مناسبة للموضوع الذي أتى به الشاعر،كذلك الأسـاليب الـتي خصصها لجمـيع الأطراف،فالطـرف الإسـرائيلي اسـتخدم معـه أسـاليب النـداء والـويل مـن جـراء مـا سـيحدث لـه بسب تلـك المأسـاة الـتي سـببها للـشعب الفلـسطيني، وتكـرار الـويل لإسـرائيل ورفـع درجـة الغلـيان الـذي يحملـه قلب ذلـك المناضـل، وكـذلك تـصوير الطفـل الفلـسطيني المشرد الذي لا يوفـر لـه المأوى ولا الراحة ، ومزق جسمه لفح الرياح، والشكوى، وقلة المطعم، وأمه التي تـبحث عـنه؛ وجمـيع ذلـك أعطـى القـصيدة تماسـكـاً فنـياً واتفاقـاً بـين مـضمون القصيدة والصور والأساليب والتراكيب التي وردت في ثناياها.

الموسيقى الشعرية:

الموسيقى الشعرية أهم عناصر الشعر، بحيث لو فقدت تحولت القصيدة إلى نثر، على العكس من العناصر الأخرى مثل العاطفة والأسلوب وغيرها، حيث إذا فقد أحد هذه العناصر يعتبر عيباً في القصيدة ولكن لا ينقلها إلى النثر، فإن الجرس الموسيقي أمر غير إلزامي في النثر، أما في الشعر فهو أمر إلزامي، وهذا يعني أن الموسيقى أمر ضروري لازم في الشعر لكي يكون شعراً.

وإذا رجعنا إلى ابن رشيق نجد أنه أقام الشعر على أربعة أركان هي: اللفظ، والوزن، والمعنى والقافية، وقرر أن الوزن أعظم أركان الشعر وهو مشتمل على القافية وجالب لها بالضرورة [1].

ولاشك أن الموسيقى أبرز أدوات الشعر، فهي ليست للتنسيق أو التزويق، بل هي أبرز الأدوات البنائية للشعر،وقد رفع الأستاذ صالح جودت من قيمة شوقي لغنى موسيقاه،وجعله بهذا الغنى سيد القدامى والمحدثين انطلاقاً من قناعته أن الموسيقى أهم عناصر الشعر [2].

ونلمس أهمية الموسيقى في قول عباس محمود العقاد عندما وصف الدعوة إلى إلغاء الأوزان والقوافي بأنها دعوة هدم حيث يقول: (فإذا تجددت الدعوة إلى النظر في القوافي والأعاريض،فالذين يطلبون إلغاءها يثبتون بذلك عجزهم عن موازنة النظم الذي يستطيعه العامة والأميون، ولا خير للآداب في عمل فني يتصدى له من لا يقدرون

---

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده،ابن رشيق، القيرواني، ص١٣٤، ح:١.

(٢) بلابل من الشرق: صالح جودة، دار المعارف، القاهرة، سلسلة اقرأ. العدد ٣٥٥، ١٩٨٢م.

علـيه ولم يخلقـوا لــه، فـإن لم يكــن طالــب القـضاء علــى فــن العــروض العربـي عاجـزاً هـذا العجـز المعيب في مقاصده الفنـية، فهـو طالـب هـدم صـريح لغـــرض غـــير صـــريح)[1]. والموســـيقى في الـــشعر العربـــي، موســـيقى خارجـــية تـــتحكم فـــيها العـــروض والقـــوافي وموســـيقى داخلـــية تأتـــي مـن الحـروف والألفـاظ والجمـل. والقـوافي تـزيد بحـور الـشعر أثـراً ووقعـاً؛ وهـي ملازمـة للوزن. يقول ابن رشيق : (القافية شريكة الوزن في الاختصاص في الشعر الـذي لا يـسمى شـعرا حتـى يكـون لـه وزن وقافـية)[2]. فالـوزن والقافـية ركـنان أساسـيان للقـصيدة العـربية، وللقافـية جملـة فـوائد موسـيقية؛فهي تحقـق إيقاعـاً خارجـياً مستـساغاً لـلأذن، وهـي تكمـل الإيقـاع الخارجـي للـوزن كمـا تعـين الشاعر على التدفق وسبك الانفعال في قالب محدد [3].

والتقسيم الذي سنسير عليه في دراسة الموسيقى في شعر آل ملا لنقف من خلاله على قدرة شاعرنا، ومدى استطاعته في تحقيق القدر المناسب من التناغم الموسيقي في قصائده هو:

١ـ الموسيقى الخارجية.

٢ـ الموسيقى الداخلية.

١ - الموسيقى الخارجية:

وتتمـثل في الـوزن والقافـية: يقـول صـاحب موسـيقى الـشعر: (العلاقـة بـين

---

(١) أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد، ص١١٠، دار المعارف ، مصر، ط٢، (د.ت).

(٢) العمدة لابن رشيق، ج١: ص٩٩.

(٣) القوافي: أبو يعلى التنوخي: تحقيق عمر الأسعد، محيي الدين رمضان ص١٠٥، دار الإرشاد، بيروت، (د.ط)، ١٣٨٩هـ.

الموسيقى والشعر علاقة عضوية،فالشعر في صياغته الفنية يتكون من عدة تفعيلات تمثل وحدة موسيقية تكسب القصيدة نغماً آسراً مؤثراً،وحين تفقد القصيدة سحر هذا النغم ، ينقطع ذلك الخيط الفني الدقيق الذي يشد المتلقي إلى سماع الشعر ، فالشعر نغم وإنشاد) [١].

أ - **الوزن**: وهو البحر الشعري الذي تصاغ عليه القصيدة.

وإذا نظرنا إلى الأوزان في شعر آل ملا نجد أنه نظم قصائده على أوزان الشعر العربي المشهورة والمتداولة، مع الاختلاف في نسبة استخدامه لتلك البحور والأوزان من حيث القلة والكثرة.

ومما يجب الإشارة إليه أن الارتباط الذي نادى به البعض بين الموضوع الشعري والوزن الذي ينسج عليه،غير قريب من الصحة،(وديوان الشعر العربي بمختلف موضوعاته وأوزانه خير دليل على وقوفه ضد هذه الفكرة) [٢]،ويؤكد ذلك إبراهيم أنيس بقوله: (ويكفي أن نذكر المعلقات التي قيلت كلها في موضوع واحد تقريبا، ونذكر أنها نظمت من الطويل والبسيط والخفيف والوافر والكامل لنعرف أن القدماء لم يتخيروا وزنا خاصا لموضوع خاص، بل حتى ما سماه صاحب المفضليات بالمراثي جاءت من الكامل والطويل والبسيط والسريع والخفيف) [٣].

---

(١) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور،د. صابر عبدالدائم ،ص ٨٥ ،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط٣ ، ١٩٩٣م .

(٢) انظر: الجوانب الفنية في شعر محمد بن حمير الهمذاني: مجدي محمد خواجي، ص،٢٠٥.

(٣) موسيقى الشعر: إبراهيم أنيس، ص١٧٧، وقوله: (صاحب المفضليات) خطأ والصواب(صاحب جمهرة أشعار العرب) وهو أبو زيد القرشي.

ولكل بحر عروضي موسيقى تلائم بعض الموضوعات وتعبر عن أحاسيس خاصة : فالوافر للفخر، ومجزوء الكامل مطرب مرقص ، والمتقارب أصلح للعنف منه للرفق ، والطويل والبسيط مثلاً يستوعبان الفخر والحماسة ،والرمل بحر الرقة،وهكذا :(ذلك أن كلاً من الموسيقى، والأوزان الشعرية تتنوع أنواعاً أربعة ، فالصوت يختلف عن الصوت بالطول والقصر،وأنه جهوري أو خافت، وأنه غليظ أو رقيق،وأنه مرتفع أو منخفض،وأنه يختلف باختلاف مصدر الصوت،ولهذا الاختلاف تأثير كبير في الأذن الموسيقية،فالغلظ والرقة ممكن أن تقابلهما في الشعر من حروف ضخمة ، وتراكيب قوية،أو حروف لينة رخوة وتراكيب ناعمة)[1].

وحين نستعرض الرأيين نقول:إنه لا يمكن إلزام الشاعر بأن يقول موضوعا معينا على بحر بعينه. ولكن قد يجد الشاعر نفسه منساقا أحيانا إلى بحر ما ،وبشكل تلقائي . حسب موضوع القصيدة، ولكن لا يمكن جعل ذلك قاعدة يلتزم بها الشعراء، أي تحديد بحر معين لموضوع معين.

ويبدو أن الشاعر عبد الرحمن آل ملا كان مهتما بدور الموسيقى والأثر الذي تتركه في شعره، مما جعل كثيرا من أوزانه ملائما لموضوعاته وأفكاره، وفيها من الانسجام والتفاعل مع تجاربه وأحاسيسه التي جاءت بمصداقية وواقعية، ومع ذلك فقد ينظم موضوعا واحدا بأوزان مختلفة، فالشعر السياسي أو الوطني جاء من الكامل والرمل والبسيط والطويل، ومن الملاحظ ميل الشاعر نحو الأوزان الطويلة، ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة الموضوعات التي

---

(١)النقّد الأدبي ، د. أحمد أمين ، ج١ ، ص : ٨٧، ٨٨ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط٤ ، ١٩٦٧م .

أكثر منها في شعره، فالشعر السياسي وشعر الحكمة على سبيل المثال ليسا من الموضوعات التي تطرب لها النفوس، وهو ينقل تجربة كاملة عاشها على مدى عشرات السنين بما فيها من خير وشر ، فالأجدر أن تكون من الطويل أو الكامل إضافة إلى ما في الوزنين من الجلالة والعمق والنبالة والروعة [1].

ومثال ذلك من ديوان (وجوه ومرايا) يقول:[2]

وهـذا لـه في الـنهب ألـف مهـند	ولكنه في الخطب أسرع من فدى
وهـذا يغنـيك الـوداد فـإن رأى	من الصيد من يعليك غم وأكمدا
وهـذا لـه حظ مـن الفضل لـو عـلا	قريب لـه أشفى على الموت حاسدا
وهـذا بألـوان الجهالـة سـادرا	وفي الليل يبكي قائما متهجدا

جاءت هذه الأبيات من البحر الطويل، والذي دفع بالشاعر إلى ذلك هي التجربة الشعرية التي نقلها الشاعر، وهنا انسجام بين طول التجربة التي بثها الشاعر وبين البحر الطويل، وهو بذلك وعاء للشاعر، طرح من خلاله جميع تجاربه بوضوح وإتقان.

وعلى العكس نجد أن الأبحر القصيرة أو الخفيفة جاءت متناسبة مع المعاني والأفكار التي نظمت من أجلها، فقصيدة (زورق الأحلام)التي جاءت على لغة المكفوف؛ تلك اللغة التي لا تحتاج إلى طول، وإنما تحتاج إلى وزن يتناسب مع حالة المكفوف التي لا تتطلب الإطالة والتفصيل، يقول [3]:

---

(١) انظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها في الأغراض والأساليب، عبدالله الطيب، ج: ١، ص٣٦٢، - دار الفكر- بيروت، ط: ٢، ١٩٧٠م،

(٢) وجوه ومرايا ص٧٢.

(٣) أغاريد من الخليج، ص٤١.

وعلـــــى قمــــــة صـــــخرة   طـــــــرزتها كـــــل زهـــــرة
ردد الأرغـــــــول لحـــــــنا   لم نكـــن نـــسمع غـــيره [1]
مـــذ تـــركنا زورق الأحـــــ   ـــــلام في بحـــر الخـــيال
يـــــتهادى بـــــشراع الــــــ   ـحـــب خفـــاق الظـــلال

فالأبيات من مجزوء الرمل ناسبت اللغة التي أتى بها الشاعر، لغة خاصة به، ولا تحتاج إلى الإطالة، وجاءت مناسبة لغرض الشاعر العاطفي الرومانسي.

والشاعر يتميز بعدم خروجه عن أوزان سابقيه من الشعراء، ولم يسلم في بحوره تلك من بعض الضرورات الشعرية كما في قوله: [2]

بعـــدما هـــد الـــشقا آمالـــنا   فلديـــنا صـــور الماضـــي الـــندي

فقـد حـذف الهمـزة مـن لفظـه (الـشقا) وذلـك لـضرورة الـوزن، ويقـول كذلك[3]:

أشـــعلت قلـــبك في العـــنا   لتـــضيء للـــناس الـــسبيل
نحـــو الكـــرامة والإبـــا   والـــسعي للقـــصد النبـــيل

قصر الممدود في كلمتي (العنا) و(الإبا) وحذفت الهمزة منهما لضرورة الوزن .وقوله: [4]

لأجـدر خلـق الله بالحـزن والـرثا   قلوب من الإيمان والحب صفصفُ

فقد قصر الممدود في قوله (الرثاء) للضرورة الشعرية.

---

(١)الأرغـــول مـــزمار ذو قـــصبتين مثقبـــتين إحـــداهما أطـــول مـــن الأخـــرى والجمـــع أراغـــيل، المعجـــم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ج ١، ص ١٤، المكتبة الإسلامية، استانبول، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

(٢) أغاريد من الخليج، ص٣٨.

(٣) وجوه ومرايا، ص٣.

(٤) أغاريد من الخليج، ص٢٣.

ب ـ **القافية**:

وهـي شـريك مـع الـوزن في اختـصاصهما بالـشعر [1]، والقافـية: (قـيمة موسيقية في مقطع البيت) [2]. ولا يمكن تسمية الشعر شعرا إلا إذا كان ذا وزن وقافية، وهـي عدة أصوات تتكـرر في أواخـر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكـرارها يكون جزءا من الموسيقى الشعرية، وهي بمثابة الفواصل الموسيقية، يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرب الآذان من خلال أوقات زمنية منظمة.[3]

ويقول الدكتور صابر عبد الدايم: (فإذا كانت حوافر الفرس أوثق ما فيه، وعليها اعتماده، فالقوافي حوافر الشعر، فهي مركزه، ونقطة تماسكه، وعليها جريانه واطراده أي مواقفه فإن صحت استقامت جريته، وحسنت مواقفه ونهاياته ، ولما كانت تحصيناً للبيت وتحسيناً له من الظاهر والباطن كانت أجمل وأغلى ما في القصيدة) [4].

ومعظم القوافي التي سيطرت على شعر آل ملا كانت من الذلل كالدال واللام والراء والميم والباء، [5] وهى الحروف الأكثر استخداما في الشعر العربي القديم، وانعدم وجود القوافي النفر [6] في شعره كالصاد والطاء والزاي، كذلك

---

(١) الجوانب الفنية في شعر محمد بن حمير الهمذاني، ص٢٠٨.

(٢) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص٤٦٩.

(٣) موسيقى الشعراء، إبراهيم أنيس، ص٢٤٦.

(٤) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، د. صابر عبدالدايم ، ص : ١٥١ .

(٥) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ،عبدالله الطيب، ج١، ص٤٦.

(٦) المرجع السابق، ج١،ص٥٩.

انعدم وجود القوافي الحوش[١] كالثاء والخاء والظاء، وبذلك يظهر التميز في قوافي آل ملا وسيرها على نهج الشعراء السابقين الذين تمسكوا بالأصالة في اختيار القوافي، وابتعدوا عن القوافي التي لا تستخدم، والشاعر استخدم تنويع القوافي في القصيدة الواحدة، وكان ذلك في ثلاث قصائد قصيرة منها (زورق الأحلام)[٢]، (إلى لاجئة)[٣]، (من وحي الذكريات.) [٤]

أما استخدام القوافي من حيث الإطلاق والتقييد فقد جاءت معظم قوافي الشاعر مطلقة، ومع تمسكه الدائم بذلك فقد ورد في شعره بعض القوافي المقيدة يقول في قصيدة (من حلى الإيمان)[٥]:

فـــإذا مـــا شـــئت تحـــيا	في نعـــــــيم وامتـــــــناع
فاهجـــــر الـــشر وغـــني	للأنـــــا لحـــن الـــوداع
وازرع الخـــــيرولا تـــــأ	ســـف في كـــل الـــبقاع
فـــبذور الخـــير تـــنمو	رغـــم أســـباب الـــضياع

والقافية المطلقة تبقى الأكثر شيوعا، كما هو عند الشعراء السابقين . وكما سبق التأكيد عليه أن ما ذهب إليه بعض الدارسين من الربط بين القوافي والموضوعات الشعرية، ونؤكد أنه ليس هناك قاعدة تخص بعض حروف القوافي في موضوعات معينة، والأمر في ذلك مشابها لعلاقة البحور

---

(١). المرجع السابق: ج١، ص٦٢.

(٢) وجوه ومرايا: ص٤٠.

(٣)وجوه ومرايا: ص١١٥.

(٤)وجوه ومرايا: ص٤٢.

(٥) أغاريد من الخليج: ص١٨.

بموضوعات القصائد [1].

والشاعر آل ملا لم يخص موضوعا جاء به أو فكرة طرحها بقافية معينة تتردد في شعره، ولكنه نظم في أغراض متعددة، واستخدم الكثير من الحروف، ولكنه وفق كثيرا في اختيار الموضوعات مع ما يناسبها من حروف، ومثال ذلك استخدامه للحروف القوية كالباء الانفجارية الموصولة بمد في المواقف التي تساندها العاطفة القوية كما في قصيدة (العلم إكسير الحياة)[2] فالكلمات : الغياهبا، متوثبا، الكتائبا، الإبا، وأصلها الإباء، وهذه الكلمات قوية استوحت هذه القوة من قافية الباء الانفجارية.

وكذلك يستخدم الحروف الجهرية المظهرة، ومثال ذلك النون في قصيدة (في موكب العلم) يقول [3]:

وكل قوم بنوا بالعلم نهضتهم   وعظموا أهله والله ما هانوا
فالعلم في خيره خير الأنام كما   في شره لذوي الطغيان طغيان
فاجنوا من العلم أحلاه وأنفعه   للناس والتزموا نهج الألى صانوا

فالكلمات: هانوا، طغيان، صانوا، تيجان، فرسان جميعها من قافية النون الجهرية المظهرة.

ويجيد استخدام حرف التاء الذي يدل على التمتمة في مواقف التأمل والمناجاة النفسية، فالتأمل شيء داخلي في الفكر يناسبه حال هذا الحرف في

(١) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص٤٧٠.

(٢) أغاريد من الخليج، ص٢٨.

(٣)أغاريد من الخليج ، ص٣٣.

هذا المقام، ومما يدل على ذلك الكلمات التالية في قصيدة(تأمل ومناجاة)[1] التي جاءت على قافية التاء : نظراته، معجزاته، التأمل، حياته، كائناته، أغطشت، حلكاته، كامنات، صدفاته، آياته، آمنت، فانجلت. يدل ذلك على الحالة النفسية التي يمر بها الشاعر، والحديث مع النفس الذي تصدر عنه تمتمة الشاعر، وأعطى حرف التاء داخل الأبيات كثيرا من الرقة والهمس الضعيف في حالة التأمل.

وقصيدة (دموع بين أطلال أمة) [2] والتي قافيتها حرف اللام المتوائم مع البحر البسيط، الذي يناسب الغضب ومشاعر الانتقام الواضحة في نفس الشاعر، والقصيدة تحتوي على أسلوب حماسي يناسب حرف الروي اللام شديد التأثير، المعروف بجرسه وذبذباته التي تحدث رنينا بأذن المتلقي، وقد وفق الشاعر عندما جعل حرف اللين يتقدم حرف اللام ليتناسب مع قوة الاندفاع التي كان عليها الشاعر.

٢ - الموسيقى الداخلية:

والموسيقى الخارجية متمثلة في الوزن والقافية ،وجميعهم مشتركون في تأليف وتكيف النغم الموسيقي للقصيدة،والموسيقى الداخلية تستمد جمالها من جرس الحروف ورنين الكلمات،وإيقاع الجمل والعبارات [3]، والموسيقى الداخلية تعتمد على حسن اختيار الشاعر لكلماته، وتحقيق المواءمة بينها، للتوافق مع

---

(١)أغاريد من الخليج ، ص١٢.

(٢)أغاريد من الخليج ، ص١٢٥.

(٣) خمسة إشكالات نقدية، عادل فريجات، ص٧٥ -٧٦، دار دانية، دمشق، ط١، ١٩٨٩م. وانظر: الجوانب الفنية في شعر محمد بن حمير الهمذاني، مجدي محمد خواجي، ص٢١٢.

المعنى العام الذي تعبر عنه، واعتبروا الموسيقى الداخلية أصدق الألوان الموسيقية في الشعر، لأنها تكشف عن روح الشاعر وفنه، وهي الأثر الواضح لكل العناصر التشكيلية والفنية في شعره من عواطف وأفكار وصور وألفاظ وأخيلة [1].

وأول ما يلفت النظر في شعر آل ملا موسيقاه، وطول النفس الذي يتمتع به الشاعر وهو في هذه الخاصية يشبه الشعراء القدماء في طول نفس قصائدهم، ومثال ذلك قصيدة (وجوه ومرايا) التي تقارب الأربعمائة بيت، ومع هذا الطول لا تجد الشعور بالملل في أي من أبيات القصيدة، لأنها تناولت أكثر من فكرة وتجربة للشاعر، ومع طول النفس في هذه القصيدة نجد بعض القصائد تعتبر قصيرة أو ما يشبه المقطوعة مثل (تحذير) [2]،(لطيفة) [3]، فقد جاءتا قصيرتي النفس.

ويعتمد آل ملا على النغم العذب، فترى بعض أبياته تبدو أكثر عذوبة وموسيقاه أكثر تدفقا في الحنو والعطف، كقوله من بحر الكامل الذي وظفه توظيفا عذبا مع أنه بحر يأتي في مواقف الفخامة والقوة، ومن الأمثلة قوله [4]:

ورأيت من حولي البنات وأمهم ... في الأفق أجنحة يطرن سرورا

والشمس قد صارت شموسا في السما ... والليل مثل الظهر صار منيرا

والأرض عرسا والبلابل جوقة ... تشدو بلحن لم يكن مأثورا

---

(١)النقد التطبيقي والموازنات، د. محمد الصادق عفيفي، ص٢٥٢.

(٢) أغاريد من الخليج، ص١٣٣.

(٣)أغاريد من الخليج ، ص٧٦.

(٤)أغاريد من الخليج ، ص٢٥.،

وتظهر موسيقى بعض القصائد تشع قوة وشدة مثل قصيدة (في موكب العلم) ومن الألفاظ: فهم بناة العلا، لذروة المجد، صقل العقول، وهم شموع الدجى، تزداد ما احترقت توهجاً.

وقد أضاف الشاعر آل ملا فنون البديع اللفظية في موسيقاه الداخلية، ومن هذه الفنون التصريع، وهو من المحسنات البديعية التي استعان بها الشاعر على تحقيق موسيقاه، وهو أن يكون عروض البيت كالضرب، ظاهرة إيقاعية صوتية ، ويعرفه علماء العروض بأنه (إلحاق العروض بالضرب وزناً وتقفية سواء بزيادة أو بنقصان) [1]، كقوله [2]:

سل النجم عن مقلتي الساهره وقلب جفا طبعك حيره

تساوت في هذا البيت العروض (هرة)، مع الضرب: (يره)، وزناً وتقفية.

وكذلك قوله [3]:

أوقدوا الأنوارا وانثروا الأزهارا

تساوت العروض في البيت بين كلمتي (الأنوارا) و(الأزهارا).

ومن فنون البديع اللفظية، رد العجز على الصدر وهو:(أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين في أول الجملة، واللفظ الآخر في آخرها، وكذلك في الشعر أن يكون أحد اللفظين في أول البيت والأخر في آخره) [4]. ومن أمثلة ذلك في شعر آل ملا: قوله من قصيدة (في مدينة الوفاء

---

(١) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، ص : ٤٩ .

(٢) المرجع السابق، ص٤٤.

(٣) المرجع السابق، ١٣٨.

(٤) نحو بلاغة جديدة ، د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، د. عبدالعزيز شرف ص : ١٦٣ ، مكتبة دار غريب ،

=

والأمل) [1]:

حوى بذراع الحب كل معوق فأنساه آلام الإعاقة والضرر

جعل الشاعر كلمة (معوق) في الشطر الأول، وكلمة (الإعاقة) التي تجانسها في الشطر الثاني.

وكذلك قوله في ديوان (وجوه ومرايا) [2]

وكم من لئيم بعض جودك لحمه من اللؤم أضحى ميت الحس جاحدا

رد كلمة (اللؤم) في العجز على كلمة (لئيم) في الصدر.

والطباق من المحسنات البديعية وهو: الجمع بين معنيين متقابلين في كلام واحد. ومن أمثلة ذلك عند الشاعر [3]:

وهو في القوم منذر وبشير يعمر الحب قلبه والوفاء

الطباق بين (منذر)، و(بشير).

وقوله أيضا في ديوان (وجوه ومرايا) [4]:

يغم إذا أرخى الزمان لغيره أعنته يوماً وإن شد عيدا

جمع الشاعر بين كلمتي (أرخى)، و(شد).

ومن المحسنات البديعة أيضا عند الشاعر المقابلة وهي : (أن يؤتي بمعنيين

=

القاهرة ، .(د.ط)، (د.ت).

(١) أغاريد من الخليج، ص ٧٥.

(٢) وجوه ومرايا ، ص٥١.

(٣) أغاريد من الخليج ، ص ١٦.

(٤) وجوه ومرايا ، ص٣٣.

فأكثر ثم بما يقابل هذه المعاني)[1]. يقول في قصيدة(رحلة مع الفجر) [2]:

يرفد الأغنياء في رغد العيـ ش ويقتات بالأسى الضعفاء

وهنا قابل بين الأغنياء يرفلون في النعيم، والضعفاء يعانون من الشدة والضنك.

ويقول في ديوان (وجوه ومرايا) [3]:

يوافيك مسرورا ويذهب واجدا ولا خير فيمن كالمناخ مزاجه

قابل بين يوافيك مسرورا ويذهب واجدا.

ومن هذه المحسنات أيضا الجناس: (الجناس ويسمى المجانسة والتجانس وهو أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى)[4]. ومن أمثلة ذلك في شعر آل ملا [5]:

تلك الحضارة جسدت آياتها بمسابح ومسارح ولطائف

جانس الشاعر بين كلمتي (مسابح)، و(مسارح) وهو جناس ناقص.

وكذلك قوله [6]:

يجول به أمام الشاربينا كبدر جال في بدر وبدر

---

(١)البلاغة فنونها وأفنانها ، ص : ٢٨٢ .

(٢) أغاريد من الخليج،ص١٤.

(٣) وجوه ومرايا، ص٣٧.

(٤)البلاغة فنونها وأفنانها ، ص : ٢٩٩ .

(٥) أغاريد من الخليج ،ص٦٦.

(٦) المرجع السابق، ص٧٨.

جانس بين (بدر)، و(بدر)، وهو جناس تام .حيث اتفقت الكلمتان لفظاً واختلفتا معنىً، بدر الأولى بمعنى القمر ، وبدر الثانية اسم شخص.

وخلاصة القول إن آل ملا كان على جانب كبير من الوعي بموسيقى شعره الداخلية والخارجية ، حيث استطاع توفير كثير من المقومات التي ساعدت على نجاحها ، فظهرت منسجمة بإيقاعاتها وأوزانها وقوافيها.

# # #

الخاتمــة

الحمد لله علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين،وعلى آله وصحبه وسلم إلى يوم الدين............

وبعد:

فالشاعر عبدالرحمن آل ملا ابن بيئة الأحساء، وعلى الرغم من إصابته بفقد بصره في سن مبكر، إلا أنه أصّر على مواصلة تحصيل العلم ونظم الشعر،وقد جُمع شعره في ديوانين هما:(أغاريد من الخليج) و (وجوه ومرايا) وهذه الدراسة تناولت شعره موضوعاً وفناً، ويمكن أن أنوه ببعض النتائج التي خرجت بها:

- تأثر الشاعر بالحلقات العلمية والأدبية في رباط الشيخ أبي بكر آل ملا.
- أن شعره لا يقل في جودته عن شعراء عصره وبيئته في المملكة العربية السعودية.
- كان للشاعر ميل إلى التحرر في التحصيل وطلب العلم، فحفظ القرآن الكريم وجوّده، والتحق بالمعهد العلمي، وتوجه إلى القاهرة للدراسة فيها، وحصل على دبلوم التربية الخاصة،وكان دائم المشاركة في الحياة الفكرية والأدبية،فله عدد من المؤلفات العلمية والتاريخية،وهذه المشاركة عملت على نضج تفكيره ورؤيته الشعرية، وكان له حضورٌ في الأمسيات الشعرية والمحاضرات التاريخية.
- اندمجت شخصيته في أحداث زمانه وبيئته، وأثّر ذلك في تكوين شخصيته

الأدبية.

- طبعت بيئة الأحساء ذات الطبيعة الخلابة طبيعة الشاعر فجعلته سهلاً في اللفظ رقيقاً في المعاني.
- ليس في شعره ما يدل على الحرمان، ومن ثم فإنه قد انتصر على فقده لبصره، وبذلك قل شعره من الأبيات التي تدل على ظروف فقده لبصره.
- الشاعر من أصحاب المطولات الشعرية فله مطولة تربو على أربعمائة بيت تحدث فيها عن أحوال الناس في عصره، وعلاقاتهم ومواقفهم.
- أن شعره مصدر جيد للتعرف على أسماء كثير من البقاع والمواضع في الجزيرة العربية لا سيما الأحساء.
- يدل شعره على سمة الوفاء والصدق لإخوانه وأصدقائه من خلال إخوانياته.
- تناول الشاعر أكثر أغراض الشعر عدا المديح، فلم يتطرق إليه، فهو لا يحب الرياء أو التزلف.
- الشعر الاجتماعي عنده يكتسب لوناً دينياً منبعه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- قدّم في شعره الاجتماعي تجارب واقعية في مجتمعه مثل محاربة الجهل، وطلب العلم، والتخلف والجمود، والفخر بالأحساب والأنساب، وقضية المرأة، والفراغ وإضاعة الوقت، وحب الإنسان للمال وتفضيله على الأب والأم والأهل، والرياء، والفتنة بين الناس والحسد والوشاية، واللؤم، وضعف النفس.
- أما شعر المناسبات فلم يكن الشاعر يعمد إلى نظمه، بل كانت الظروف

تضعه بأن يقدم قصيدة في هذا الحفل أو ذاك، فجاء صادقاً واقعياً، وما أكثر مشاركات الشاعر في المناسبات الثقافية التي أملت عليه الكثير من القصائد.

- أما شعر الإخوانيات فكان يشارك إخوانه به فيما لديهم من علاقات ومناسبات، ويتميز بالرقة وحسن التصوير والميل أحياناً إلى الصنعة اللفظية.

- وشعره الإسلامي لا يخفى على القارئ بما فيه من دعوة إلى المحبة والتآلف، ونبذ الفرقة بين الأمة، والعمل على تطويرها لتقف في وجه عدوها. وفيه الإحساس الصادق بمشاعر المسلمين في شتى بقاع الأرض مثل محنة البوسنة، والكوارث والنكبات في بلاد الإسلام مثل فلسطين وأفغانستان، والصومال ولبنان.

- وشعر الوصف تناول فيه وصف الطبيعة في الأحساء ونجد وغيرها، مثل مدينة الطائف، والمدن العربية مثل الإسكندرية،والأجنبية مثل مدينة استوكهولم، ووصف أيضاً مجالس الأنس، ويتميز في هذا الشعر بإدخال النكتة والطرفة فيه.

- أما الحكمة والتأمل فقد تأمّل فيما حوله من أشياء مثل الليل وما به من مظاهر كونية مثل القمر. و الحكمة كان منبعها القرآن الكريم، كما تأثّر بشعراء العرب الفحول أمثال أبي الطيب المتنبي، وابن المقرب العيوني.وقد تناول في حِكَمِه الأمة الجاهلة، والفخر بالجدود، والحقد، وإصدار الأحكام دون روية، والتكبر والتواضع وغيرها.

- وفي شعره السياسي وصف الحياة السياسية التي مرت بها الأمة العربية،

وهو يتناولها في مرارة وألم، وعدم رضا، وهو متابع جيد لما يجري من أحداث في فلسطين والبوسنة والهرسك ولبنان وغيرها من المناطق.

- أما المسرح الشعري فهو إضافة لفن الشاعر، لاسيما وأنه من ذوي البصيرة، فقد أسهم بكتابة مسرحيتين هما: (ولليل آخر) و (عودة جان دارك) الأولى حول قضية فلسطين، والثانية حول الاستعمار الفرنسي في الجزائر.
- وقد تميز أسلوبه بالجزالة والقوة، ووظّف لغته توظيفاً جيداً لأغراضه، بينما تحس منه بالرومانسيه في حزنه وألمه تارة بينما يبرز ذلك بنغمة غنائية مرهفة تارة أخرى.
- وأهم ما يتميز به الشاعر في لغته اعتماده على المفردات السمعية، والتركيز على بعض الأساليب التي تثير الاهتمام والانتباه مثل الاستفهام والنداء والأمر.
- ويتميز أسلوبه بالاقتباس من الذكر الحكيم، والتأثر بأسلوب من سبقه من الشعراء القدماء والمحدثين مثل زهير بن أبي سلمى وعمرو بن كلثوم، وأبي فراس الحمداني، وابن مقرب العيوني وعلي محمود طه.
- والصورة لها مصادر شتى في شعره مثل الحياة الإنسانية واليومية والطبيعة.
- أما صوره البصرية فقد قامت على أسلوب التوليد، والاقتران والملابسة، و الصورة السمعية قد برزت في شعره واتّكأ عليها كثيراً في تصويره؛ لاعتماده على حاسة السمع، وقد كثر لديه لون آخر من التصوير يعتمد على حاسة الشم، والذوق، واللمس، والصور الممزوجة بين أكثر من حاسة، وله إسهام في تصوير المعنويات مثل الأحلام، والزمان، والأمل.

- واســتخدامه للرمــز قلــيل مــثل رمــزه للمــستكبرين: (بأفاعــي الأنــا)، والسكرى: (بالغفلة)، والبراءة: (بالقمر).
- وقد بعُد عن التشاؤم، فلم يسر على درب بعض الشعراء ذوي البصيرة مثل أبي العلاء المعري.
- والشاعر يسير في بناء قصائده نحو الوحدة الموضوعية والفنية معاً، ويجعل القصيدة ذات موضوع واحد تخلو من المقدمات غالباً.
- وقد اعتنى بدور الموسيقى الشعرية وأثرها في نظم القصيدة، واختار أوزانه بما يناسب موضوعاته السياسية والاجتماعية، فوفّق في الكثير منها على الرغم من وقوعه في كثير من الضرورات الشعرية، وحاول أن تنسجم موسيقاه الداخلية مع أفكاره ومعانيه، وإن مال للصنعة في بعضها.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة المتواضعة في إبراز شاعر من الشعراء لا يقل شأناً عن الشعراء المشهورين والمعروفين. خدمة للأدب السعودي والعربي.

والله من وراء القصد.

المراجع

أولاً:

- **القرآن الكريم.**

ثانياً: المراجع العامة:

١ - ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، عبد العزيز الأهواني، وزارة الثقافة والإعلام،دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط٢ ، ١٩٨٦م.

٢ - الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث، قيمه الفنية في موازين النقد: محمد عبده الشبيلي من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض، (د. ط)، ١٤١٠هـ.

٣ - الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

٤ - الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٥ - الاتجاهات الفنية في الشعر إبان الحروب الصليبية، مسعد عيد العطوي، مكتبة التوبة ، الرياض ، ط١. ١٩٩٥م.

٦ - الإخوانيات في الشعر العباسي؛ د.محمد عثمان آل ملا ، النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية، ط١، ١٤١٢هـ.

٧ - الأدب العربي المعاصر في مصر، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٩، (د.ت).

٨ - الأدب المقارن : محمد غنيمي هلال ،دار الثقافة ، بيروت ، ط:٥، (د.ت).

٩ - الأدب وفنونه : د محمد مندور، نهضة مصر، (د.ط)،٢٠٠٤ م.

١٠ - أساس البلاغة،أ بو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،ط١ ، ١٨٨٦م.

١١ - أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني،تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، مطبعة المدني، القاهرة ، ط: ١ ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

١٢ - أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

١٣ - أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد، دار المعارف، مصر،ط٢ ، (د.ت).

١٤ - الإعاقة في الأدب العربي: عبد الرزاق حسين،منشورات مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية،ط١ ، ١٤٢٠هـ،١٩٩٩م.

١٥ - الأعلام: خير الدين الزركلي ، المكتبات المدرسية ، المملكة العربية السعودية،ط١ ، (د.ت).

١٦ - أغاريد من الخليج ، عبد الرحمن آل ملا، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع ،الخبر ،ط١ ، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م.

١٧ - الأغاني ،أبو الفرج الأصفهاني،تحقيق قصي درويش ،دار الهلال ، بيروت.ط١ ، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

١٨ - الأنساب: للسمعاني، تحقيق محمد عوانة، دار الكتب: بيروت، (د.ط) ، .(د.ت).

١٩ - الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني عناية محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط٥ ، ١٤٠٣هـ

٢٠ - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم اللغة، عبدالمتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب، القاهرة (د.ط)، ١٩٩٧م

٢١ - البلاغة فنونها وأفنانها ، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط: ٦ ، ١٤٢٠هـ.

٢٢ - تاج العروس من جوهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، .منشورات دارالحياة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٢٣ - تاريخ الأدب العربي، احمد حسن الزيات، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ط) ، (د.ت).

٢٤ - تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية، عبد الرحمن آل ملا ، مؤسسة جائزة عبدالعزيز البابطين، (د.ط)، ٢٠٠٢م.

٢٥ - تاريخ نجد للألوسي، تحقيق محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، مصر، (د.ط)، ١٣٤٣هـ.

٢٦ - تاريخ هجر: عبدالرحمن آل ملا ، طبعة التعاون، الأحساء، ط ٢ ، ١٤١٠هـ.

٢٧ - التجربة الشعرية عند ابن المقرب: د. عبده عبد العزيز قليقلة ، النادي الأدبي بالرياض، ط١ ، ١٤٠٧ هـ .

٢٨ - تطور الشعر الحديث بمنطقة الخليج.ماهر فهمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، ١٤٠١هـ.

٢٩ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، مؤسسة الريان، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

٣٠ - الجوانب الفنية في شعر محمد بن حمير الهمذاني، تحقيق مجدي بن محمد خواجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ ، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣١ - حدائق السحر في دقائق الشعر ، رشيد الدين الوطواط ، ترجمة إبراهيم الشوماري، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة.(د.ط)، ١٩٤٥م.

٣٢ - حديث الأربعاء، طه حسين، دار المعارف، القاهرة، ط١٢، (د.ت).

٣٣ - الحور العين، نشوان الحميري، كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط). ١٩٤٨م.

٣٤ - حياة الملك الظاهر بيبرس، محمود شلبي دار الجيل، بيروت، ط١ ، ١٤١٢هـ.

٣٥ - الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ، ط:١ ، (د.ت).

٣٦ - خمسة إشكالات نقدية، عادل فريجات، دار دانية، دمشق، ط١، ١٩٨٩م.

٣٧ - الخيال في مذهب محيي الدين بن عربي ، د. محمود قاسم ، مطبعة سجل العرب ، القاهرة ، (د.ط)، ١٩٦٩م.

٣٨ - الخيال والتصوير في شعر المكفوفين من الجاهلية إلى نهاية العصر العباسي، د. محمد بن أحمد الدوغان، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، ط١، ١٤٢٤هـ.

٣٩ - دراسة فنية في الأدب العربي : عبد الكريم اليافي ، دون دار نشر، ط١ ، ١٣٨٢هـ.

٤٠ - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١هـ ، ١٩٨٩م.

٤١ - ديوان ابن المقرب: تحقيق عبد الفتاح الحلو. مكتبة التعاون الثقافي، الأحساء ط١، ١٣٨٣هـ.

٤٢ - ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، دار المعارف، مصر، ط٤، (د.ت).

٤٣ - ديوان أبي فراس الحمداني: دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، ١٩٥٩م.

٤٤ - ديوان أبي القاسم الشابي، تحقيق: أحمد الفاضل دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٤٥ - ديوان البحتري، تحقيق: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٤هـ.

٤٦ - ديوان بشار، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م. .

٤٧ - ديوان علي بن جبلة الملقب بالعكوك، تحقيق: د. حسين عطوان، دار المعارف، القاهرة، ط٣، (د.ت).

٤٨ - ديوان على محمود طه، ليالي الملاح التائه، دار العودة، بيروت، (د.ط)، ١٩٩٧م .

٤٩ - ديوان عمرو بن كلثوم. تحقيق: أيمن ميدان، النادي الأدبي الثقافي جدة، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٥٠ - ديوان عنترة، دار صادر، بيروت، ط ٤، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٥١ - ديوان الكميت بن زيد الأسدي، تحقيق: د/محمد نبيل طريقي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٥٢ - ديوان مجنون ليلى: جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر، دار الفجالة، (د.ط)، .(د.ت).

٥٣ - الرمز في الشعر السعودي : د. مسعد بن عبد العطوي ، مكتبة التوبة. الرياض. ط١ ، ١٤١٤هـ.

٥٤ - الروض المعطار في خبر الأقطار ، محمد بن عبدالمنعم الحميري، إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٥٥ - الشاعر المؤرخ عبيد مدني حياته وشعره، إبراهيم عبد الرحمن المطوع، حقوق النشر والطبع محفوظة للمؤلف، الرياض ط١ ، ١٤١٩هـ.

٥٦ - شخصيات رائدة من بلادي، معاذ عبدالله المبارك، الدار الوطنية الجديدة ، الخبر، ط١ ، ١٤٢٠هـ،

٥٧ - شرح ديوان حافظ إبراهيم، تهذيب وتعليق د. يحيى شامي، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ.

٥٨ - شرح ديوان زهير، أبو العباس ثعلب، تحقيق: فخر الدين قباوة ، دار الفكر ، دمشق، ط٢، ١٩٩٦م.

٥٩ - شرح ديوان سقط الزند، الدكتور ن رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٦٠ - شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ط)، ١٤٠٧هـ .

٦١ - الشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها حتى عام ١٣٩٥هـ دراسة فنية تحليلية، د.مفرح إدريس أحمد سيد، نادي المدينة المنورة الأدبي. (د.ط)، (د.ت).

٦٢ - الشعر الحديث في الأحساء ١٣٠١هـ ، ١٤٠٠هـ، د.خالد الحليبي، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، .ط١، ١٤٢٢هـ .

٦٣ - الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥ ـ ١٣٩٥ هـ).د. عبد الله الحامد ، نادي المدينة المنورة الأدبي، ط١. ١٩٨٨م. .

٦٤ - الشعر في الجزيرة العربية نجد والحجاز والأحساء والقطيف خلال القرنين ١١٥٠ـ١٣٥٠هـ، د.عبد الله الحامد، دار الكتاب السعودي، الرياض، (د.ط)، (د.ت).

٦٥ - الشعر في مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة موضوعية وفنية ،د.مجدي محمد الخواجي. ،من مطبوعات نادي مكة الأدبي،ط١ ،١٤٢٦هـ.

٦٦ - شعر المكفوفين في العصر العباسي ، د. عدنان العلي، دار أسامة للنشر والتوزيع ،عمان، (د.ط)، ١٩٩٩م .

٦٧ - شعراء نجد المعاصرون،دراسة ومختارات عبد الله بن إدريس ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ط ١، ١٣٨٠هـ.

٦٨ - الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار إحياء العلوم بيروت، ط ٦، ١٤١٧هـ.

٦٩ - كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة (د.ط)، (د.ت).

٧٠ - الصورة الأدبية : مصطفى ناصف ، دار الأندلس ، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م .

٧١ - الصورة بين القدماء والمعاصرين (دراسة بلاغية نقدية) د. محمد عبد العزيز شادي، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ،.

٧٢ - الصورة الفنية في شعر ابن المعتز: زكية خليفة مسعود، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط١ ، ١٩٩٩م.

٧٣ - الصورة الفنية في الشعر العربي مثالاً ونقداً، تحقيق: إبراهيم عبد الرحمن الغنيم، الناشر الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة ط١، ١٤١٦هـ.

٧٤ - طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر ، دار المدني جدة، (د.ت)، (د.ت)

٧٥ - علم البيان:عبد العزيز عتيق،دار النهضة العربية،بيروت ، (د.ط)، ١٤٠٥هـ.

٧٦ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط: ٥، ١٤٠١ هـ.

٧٧ - عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق: د. عبدالعزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،(د.ط)،(د.ت).

٧٨ - فن الشعر : إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت ، (د.ط)، (د.ت).

٧٩ - في الشعر السياسي، عباس الجراري،منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،(د.ط)، ١٩٧٤م.

٨٠ - في الشعر العربي،د. حسين نصار،مكتبة الثقافة الدينية.ط ١٤٢١،١هـ، ٢٠٠١م.

٨١ - في النقد الأدبي، . د شوقي ضيف دار المعارف، مصر،ط٤ ، (د.ت).

٨٢ - في النقد الأدبي الحديث مدارسه ومناهجه وقضاياه ودراسات نقدية تطبيقية ، د. محمد صالح الشطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، ط٣ ، ١٤٢٦هـ .

٨٣ - القوافي: أبو يعلى التنوخي، تحقيق: عمر الأسعد، ومحيي الدين رمضان ، دار الإرشاد، بيروت،(د.ط)، ١٣٨٩هـ.

٨٤ - قيم ومعايير، العوضي الوكيل، الدار المصرية، القاهرة، (د.ط)، ١٩٦٥م.

٨٥ - كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ط)، ١٩٧٨م.

٨٦ - كتاب العين الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: داود سلوم وآخرون. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٤هـ.

٨٧ - كولردج: محمد مصطفى بدوي، دار المعارف ، ط: ٢، (د.ت).

٨٨ - لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ.

٨٩ - لغة الشعر بين جيلين: د. إبراهيم السامرائي،دار الثقافة، بيروت ،(د.ط)، (د.ت).

٩٠ - مجمع الأمثال، الميداني،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

٩١ - مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر الرازي،دار الجيل، بيروت ،د.ط، ١٤٠٧هـ.

٩٢ - المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها في الأغراض والأساليب، عبدالله الطيب، دار الفكر. بيروت، ط: ٢، ١٩٧٠م.

٩٣ -المسرح، محمد مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،(د.ط)، ٢٠٠٣م.

٩٤ -المسرحية الشعرية في الأدب السعودي الحديث دراسة موضوعية فنية،نوال بنت ناصر السويلم، (د.ط)، ١٤١٨هـ.

٩٥ -مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: بكر شيخ أمين، دار الشروق ، بيروت، (د.ط)، ١٣٩٢هـ

٩٦ -المعجم الأدبي : جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت. (د.ط)، (د. ت).

٩٧ -معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري ، ط: ١ ، ١٩٩٥م،

٩٨ -معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية ،الدائرة للإعلام المحدودة، الرياض، (د.ط)، ١٤١٣هـ.

٩٩ -معجم المسرحيات العربية والمعربة: يوسف داغر ، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، دار الحربية للطباعة ، بغداد،(د.ط) ، ١٩٧٨م.

١٠٠ -معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، د: إبراهيم حمادة ، دار المعارف. القاهرة : (د.ط)،(د.ت).

١٠١ - المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، المكتبة الإسلامية، إستانبول، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

١٠٢ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،جواد علي ،منشورات الشريف الرضي، بغداد، ط١، ١٣٨٠هـ.

١٠٣ -مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، الدار الذهبية القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

١٠٤ -منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تأليف حازم القرطاجني ، تحقيق: محمد بن الحبيب بن الخواجة ،تونس، (د.ط)، ١٩٦٦م.

١٠٥ - موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عاماً : أحمد بن سعيد، نادي المدينة المنورة الأدبي، ط: ١ ، ١٤١٢هـ.

١٠٦ - الموسوعة الشوقية، إبراهيم الأبياري ،مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

١٠٧ - الموسوعة العربية العالمية،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والوزيع، الرياض، ط : ١ ، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٠٨ - موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، د. صابر عبدالدائم ، مكتبة الخانجي، القاهرة ،. ط٣ ، ١٩٩٣م .

١٠٩ - نحو بلاغة جديدة ، د. محمد عبدالمنعم خفاجي ،د. عبدالعزيز شرف ، مكتبة دار غريب ، القاهرة،(د.ط)، (د.ت).

١١٠ - النفس والجنس،د. علي كمال ، الدار العربية،نشر دار واسط، بغداد ،(د.ط)، ١٩٨٣م.

١١١ - النقّد الأدبي ، د. أحمد أمين، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٦٧م .

١١٢ - النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة، القاهرة ، (د.ط)، (د.ت).

١١٣ - النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري : د. حماد حسن أبو شاويش ، دار إحياء العلوم ،بيروت ، ط١، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م.

١١٤ - نقد الشعر. قدامة بن جعفر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية،بيروت ،(د.ط)، (د.ت).

١١٥ - نهاية الأرب في فنون الأدب، ،شهاب الدين النويري ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي،مصر، (د. ط)، (د.ت).

١١٦ - الوافي بالوفيات صلاح الدين الصفدي،تحقيق: رمضان عبدالتواب، فرانس شتانير،بفسبادن ،ط٢، ١٣٩٤هـ ،١٩٧٤م.

١١٧ - وجوه ومرايا، الشاعر عبدالرحمن عثمان آل ملا ،مطابع الكفاح الحديثة، الأحساء، ط١، ١٤٢٦هـ .

١١٨ - وقفات على الاتجاه الإسلامي في الشعر العربي . عبد العزيز محمد الفيصل، الناشر المؤلف ،الرياض، (د.ط)، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م.

١١٩ - يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر، أبو منصور الثعالبي ، مطبعة السعادة، القاهرة،(د.ط)، ١٣٧٥هـ.

الصحف والمجلات:

١٢٠ - أول الغيث : مقالة عبدالله بن خميس. مجلة هجر.

١٢١ - بلابل من الشرق: صالح جودة، دار المعارف، القاهرة، سلسلة اقرأ. العدد ٣٥٥، ١٩٨٢م.

١٢٢ - جريدة الرياض.مقالة بعنوان (الفقر عرق فرنسا) الخميس ٢٢ شوال ١٤٢٦هـ عدد **١٣٦٦٧.**

١٢٣ - جريدة عكاظ ، عدد ١٨٢٨، تاريخ ١٤٢٧/٥/٢٣هـ.

١٢٤ - جريدة اليوم السعودية العدد ٦٥٤، ١٣٩٢/٧/١٠هـ،

١٢٥ - جريدة اليوم السعودية،مقالة بعنوان(ما هي الإخوانيات)،عبد الله الشباط، العدد١٠٧٢٩،ت،١٤٢٣/٨/٢٤هـ

١٢٦ - مجلة الأزهر، القصيدة العربية والوحدة الموضوعية: أحمد مصطفى بدوي، رجب ١٤١٤هـ ديسمبر -يناير١٩٩٤ – الجزء السابع - السنة السادسة والستون.

١٢٧ - المجلة الثقافية العدد ٦٦ ، الإثنين جمادى الأولى ١٤٢٥هـ

١٢٨ - المجلة العربية،عدد ٣٢١، ٢٨ شوال، ١٤٢٤هـ.

١٢٩ - مجلة الوفاق عدد٢٣٢٢، الثلاثاء ٢٠٠٥/١٠/١١م

١٣٠ - مقالة بعنوان (مع برامج النادي)، عبدالله النعيم.

الفهـــرس

المقدمة .... أ
حياته: ٢
مؤلفاته: ٥
شخصيــتــه : ٧
بواعث شاعريته: ١٤
الفصل الأول: الاتجاهات الشعرية ١٩
الشعر الاجتماعي: ١٩
شعر المناسبات والإخوانيات ٣٠
أ - شعر المناسبات: ٣٠
ب - شعر الإخوانيات: ٣٤
ج - الشعر الإسلامي: ٤٢
شعــر الوصـــف: ٤٨
١ـ شعر الطبيعة: ٤٩
٢ـ وصف البلاد السياحية: ٥١
٣ ـ وصف العلم وطلابه: ٥٢
٤ـ وصف مجالس الأنس: ٥٣
شعر التأمل والحكمة: ٥٦
١ـ شعر التأمل: ٥٦
٢ـ شعر الحكمة: ٥٨
موضوعات الحكمة في شعر عبد الرحمن آل ملا : ٦١
١ ـ الأمة الجاهلة: ٦١
٢ـ التنكر للبلاد وأصل الإنسان: ٦١
٣ـ الفخر بالأعراق والجدود: ٦١
٤ـ الذكر الحسن للإنسان: ٦٢
٥ـ الحقد: ٦٢
٦ ـ النفاق: ٦٢

٧ ـ الحسـد :.. ٦٢
٨ ـ فضيحة الإنسان لنفسه:.. ٦٣
٩ ـ إصدار الأحكام دون روية :.. ٦٣
١٠ـ الكذب في الحديث :.. ٦٣
١١ ـ الاستعجال في الملام وقبول الاعتذار: ٦٤
١٢ـ ضعف الشخصية :... ٦٤
١٣ ـ المبالغة في الذم والمدح:.. ٦٥
١٤ ـ التكبر والتواضع: ٦٥
الشعر السياسي: ٦٨
الفصل الثاني : الشعر التمثيلي....................................... ٧٥
المسرحية الشعرية... ٧٥
مسرحية (ولليل آخر) ٨٢
١ - عرض المسرحية:.. ٨٢
٢ـ الفكرة:... ٩٠
٣ - الحدث:... ٩٢
٤ـ الشخصيات :.. ٩٤
٥ـ الصراع:.. ٩٦
٦ـ الحوار والموسيقى : ٩٧
مسرحية عودة جان دارك... ١٠٥
١ - عرض المسرحية:.. ١٠٥
الفصل الأول:... ١٠٥
الفصل الثاني : ١٠٧
الفصل الثالث : ١١٠
٢ـ الفكرة : ١١١
٣ـ الحدث : ١١٤
٤ - الشخصيات : ١١٦
٥ـ الصراع : ١٢٠
٦ - الحوار و الموسيقى : ١٢١

الفصل الثالث: الدراسة الفنية.. ١٢٨
اللغة والأسلوب: ١٢٩
الصورة ١٥٠
مصادر الصورة في شعر عبد الرحمن آل ملا:.. ١٥٧
أنواع الصورة عند آل ملا : ١٦١
أولاً: الصورة الحسية : ١٦١
ثانياً: الصورة المعنوية: ١٨٩
الخيـــــال : ١٩٣
الرمـز : ٢٠٣
التجـــربة الشعرية:.. ٢١٠
- المعاني والأفكار بين التقليد والتجديد : ٢١٦
الوحدة الموضوعية والفنية:.. ٢٣٠
الموسيقى الشعرية:.. ٢٣٥
١ - الموسيقى الخارجية:.. ٢٣٦
٢ - الموسيقى الداخلية:.. ٢٤٤
الخاتمة.. ٢٥٠
المراجع.. ٢٥٥
الفهرس.. ٢٦٧